الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري



عميد أ.ح
محمود نديم أحمد فهيم

عميد . أ . ح . محمود نديم أحمد فهيم

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري

٦٤٨ - ٧٨٣ = ١٢٥٠ - ١٣٨٢

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٨٣

تمهيد

اعتاد المؤرخون والباحثون فى كتاباتهم ومؤلفاتهم عن النظم الحربية فى العصر الاسلامى ، ألا يتطرقوا الى الفن الحربى الا لماما اد أن من يتكلم عن الفن الحربى وحده يبدو جريئا الى حد التهور ، بسبب أن هذا الفن يحتاج الى خبير فيه ، أو على الأقل أن يكون من العسكريين دارسى التاريخ ، بجانب هذا قد لا تجد من يؤمنون بالعبقرية العسكرية ·

وعندما فكرت فى الكتابة عن الفنون الحربية الاسلامية بقصد تطبيق المفاهيم العسكرية الحديثة ، أو ما تدل عليه الغسكرية اخترت الفن الحربى المملوكى فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية بالذات ، لأن هذه الفترة شهدت أحداثا حربية ضخمة على المستوى الدولى عامة ومستوى الدولة الاسلامية خاصة ، ووقعت ابانها معارك عسكرية عرفها التاريخ بصفة عامة والتاريخ المصرى بصفة خاصة ، ويكفى أن نذكر منها : انتصار الجيش المصرى على جحافل المغول ، واقتلاع الخطر الصليبى الذى ظل رابضا فى الشام منذ زمن ·

وقبل ذلك وبعده ، وجدت تساؤلات كثيرة ، كان لابد من السعى العلمى العسكرى الموضوعى للاجابة عنها ، وكيف استطاعت هذه القوات المصرية تحقيق هذه الانتصارات الباهرة ، على هذه القوة المدمره الكبرى من جحافل المغول والتخلص فى الوقت نفسه من التهديد الصليبى ، ثم كيف تم استخدام هذا الفن العسكرى فى تحقيق الأسس التى نطبقها فى مفهومنا الحديث حتى تحققت لهم هذه الانتصارات ·

ورغم اهتماماتنا العسكرية فى موضوع هذا البحث ، فانه لن تقتصر هذه الاهتمامات فى العصر المملوكى الأول على الناحية الحربية فقط ، بل

ستمتد الى جوانب من الحياة السياسية ، والاقتصـادية ، والاجتماعية لهذا العصر ، فقد كان لها دورها البارز فى تحقيق نصر الجيوش ، وبما أن الموضوع أظهر كثيرا من التوضيحات كمـا أن هنـاك جوانب من الفن الحربى المملوكى مازالت تحتاج الى من يقوم بتفسـيرها واظهارها ، الأمر الذى جعل أستاذى الدكتور/عبد المنعم ماجد يوجهنى لاختيار الكتابة فى موضوع الفن الحربى المملوكى فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية ٠

ولا يسـعنى فى هذا المجال الا أن أرجع الفضل - كل الفضـل الى الأستاذ الدكتور/عبد المنعم ماجد الذى قدم لى رغم ضيق وقته كل خبراته وارشاداته البالغة الأهمية ، وكل سبل علمه وعطفه ورعايته الدائمة كما أضيف الى هذا الثناء الأسـتاذ الدكتور/ابراهيم العدوى نائب رئيس جامعة القاهرة والأستاذ الدكتور/عبد العزيز سالم ، رئيس قسم التاريخ بآداب الاسكندرية ، فلهم جزيل الشكر ، ومن الله الجزاء ٠

ولا يفوتنى أن أقدم جزيل شـكرى وامتنانى الى السـيد اللواء أ٠ح/عبد الستار أمين الذى قدم معونته فى البحث وخاصة فى الجوانب العسكرية والاستراتيجية بصدق وأمانه فنعم الاسم على المسمى فله وافر الجزاء والتحية ٠

وأسدى العرفان بالجميل الى السيدة الفاضلة زوجتى لتقديم المعاونة فى الترجمة لبعض المراجع الفرنسية بجانب ما قدمته من خدمات جليلة أثناء اعداد الكتاب ٠

مقدمة

- بعض الاصطلاحات والمفاهيم العسكرية للفن الحربي
- أسس الفن الحربي

ان الفن الحربى لأى أمة من الأمم ما هو الا مظهر من مظاهر حضارتها ، وهناك كثير من المؤرخين يضعون مقياس حضارة الأمم بمدى تطور قوتها الحربية ، ويمثل الفن الحربى فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية مكانة بارزة بين عصور التاريخ المصرى الطويل . بسبب التطورات الداخلية فى شئون الحكم فى مصر والمتغيرات الخارجية ٠

ان تقسيم الفن الحربى فى العصر المملوكى ـ بالمفهوم الحربى الحديث ـ الى الاستراتيجية العسكرية ، والتكنيك ، والشئون الادارية ، لا يختلف كثيرا عن التقسيم الحالى فى العصر الحديث ٠

« فالاستراتيجية » كلمة قديمة مشتقة من الكلمة اليونانية (Stpatos) (١) والتى تعنى كلمة جيش ، ومنها كلمة (Stpateyous) (٢) التى تعنى جندى وقد أشتق منها أيضا كلمة (Stpateyià) (٣) وتعنى خطة القائد أو الخطة العسكرية أو خطة القيادة ، ومن ثم ننتهى الى أن كلمة الاستراتيجية يرجع استخدامها الأصلى الى المجال العسكرى ٠

وفى الواقع ، منذ تعرض اصطلاح الاستراتيجية العسكرية لتفسيرات متعددة من جانب المفكرين العسكريين فى العصر الحديث ، وان كانوا يتفقون على أنها نتيجة من تضارب مصالح وارادة قوتين أو أكثر ٠٠ وعلى ذلك ، فالاستراتيجية العسكرية عندهم هى الفن الذى يمكن احدى هذه القوى من

---

(١) فى الانجليزية Stratos.

(٢) فى الانجليزيه Strategos

(٣) فى الانجليزية Strategia

السيطرة على القوة الأخرى المعادية ، بأداة فعاله تتمثل في قوة عسكرية مناسبة ، تكون على الدوام على أهبة الاستعداد لردع عدوان هذه القوة المعادية ، واجبارها على التسليم بالقوة الحربية ، أو باحترام هذه القوة • ونجد المؤرخ العسكرى الألمانى فون كلاوزفتز Von Klayzwis (١) يرى أن الاسرانيجبة هى استخدام المعارك كوسيلة لتحقيق أهداف الحرب ، أى ارادة الدولة • فى حين يرى مولتكه (Molteka) (٢) أنها فن الاستخدام الفعلى للوسائل الموضــوعية تحت تصرف القيادة أو القائد ، لتحقيق أهــداف الحرب أيضا ، وهو بهـــذا يرى أن القائد يستطيع اقناع العدو بتفوقه المطلق ، وبحتمية انهزام العدو وتسلبمه اذا دخل المعركة •

وخلاصة ذلك ، فان الاستراتيجية العســكرية لا تعنى اســتخدام القوة فقط ، بل التهديد باستخدامها أيضا ، كما أنها لا تهتم بالحرب فحسب وانما التهديد بنشوبها •

ولقد ظهر واضحا فى العمل الحربى عند المماليك تطبيق ما نعرفه حديثا بالاستراتيجية ، اذا كان هنــاك اســتخدام تكتيكى جيد للســلاح وللقوات فى المعركة ، مع وجود تأمين ادارى شامل بواسطة قوات تخصصية للشئون الادارية ، وكانت عبارة (الفن الحربى) أو (الفنون الحربية) فى مفهومها فترة المماليك قريبة الى حد كبيرلمفهومهــا فى العصر الحديث بالاســتراتيجية العســكرية ، وتطورت هذه العبارة (الفن الحربى) فى ذلك العصر المملوكى بمراحله حتى استقرت الى عبارة (فن القتال) ، ومع ذلك اســتمرت عبارة (الفن الحربى) أو (الفنون الحربية) تظهر فى كتابات المؤرخين العسكريين المعاصرين للعصر المملوكى ، بل وامتلأت مخطوطاتهم بالرسومات العسكرية التى تدخل فى الفن الحربى (٣) ، والمقصود به (فن القتال) وهو استخدام الأفراد والسلاح وخدمتهما بما يحقق النصر •

ومن الجدير بالذكر ، أن هناك أمرا هاما يميز الفن الحربى عن الاستراتيجية العسكرية ، وهو أنه اذا كانت الاستراتيجية العسكرية وليدة الفكر الانسانى ، فبالتالى تعرضت لاضــافات فى الصــياغة والاعداد والمفهوم لاســتخدام أقصى الوسائل الممكنة تحت يد القائد ، فان الفن الحربى والاسلامى بصفة عامة يؤدى بهذه الأعمال لحكم العقيدة والدين ايمانا بقول الله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**) (٤) مما يعنى أن الفن

(١) فون كلاوزفتز Von Klayzwis وهو من المفكرين والمؤرخين العسكريين الألمان •

(٢) فون مولتكه Von Molteka وهو القائد الألمانى والمفكر الذى ناقش الاستراتيجية •

(٣) محمد بن منكلى/كان ضمن المماليك الذين كانوا فى الخدمة العســكرية ، وله الكثير من المؤلفات فى المجال العسكرى بصفة عامة وعن هذه الفترة بصفة خاصة بجانب انه تدرج فى الوظائف العسكرية المختلفة •

(٤) سوره الأنفال آية ٦٠ •

الحربى قام على أسس متكاملة من عند الله ، يتولى الانسان تنفيذها ، وفى ظروف المعارك التى يتعرض لها دون أن يتعرض هذا الفن الى اضافات ·

وبعد أن القينا الضوء على بعض الاصطلاحات والمفاهيم العسكرية لكل من الفن الحربى فى العصر المملوكى والحديث ، ننتقل الى مناقشة العنصر الثانى من هذه المقدمة ، ألا وهو أسس الفن الحربى المملوكى البحرى ·

المعروف أن دولة المماليك فى مصر والشام ، كانت دولة حربية ، عقيدتها الاسلام ، وقد نشأت وتطورت فى ظل ظروف كانت تتعرض فيها أراضى الدولة الاسلامية لعدوان الصليبيين من الغرب ، والمغول من الشرق واستطاعت دولة المماليك الاسلامية الحربية أن تحقق انتصارات عسكرية ضخمة على كل منهما ، وصارت لها أمجاد فى التاريخ الاسلامى خاصة ، وفى التاريخ الانسانى عامة ، ومما لا شك فيه أن هناك أسسا متينة قامت عليها هذه الدولة ، هى التى كانت سببا مباشرا لهذه الانتصارات ، وتتلخص فيما يلى :

أولا : الجهاد :

فدولة المماليك دولة اسلامية ، والجهاد فريضة من فرائض الاسلام ، كما جاء فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية (١) فتأييد القرآن للاستعداد للجهاد ورد فى الآية **(وأعدوا لهم ما استطعتم)** (٢) ، والهدف منه تنص عليه الآية **(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)** (٣) يضاف الى ذلك أن ظروف نشأة الدولة المملوكية جعلتها متأثرة بمسيرة الجهاد التى تمسكت بها الدولة الايوبيه من قبل ، لتدافع عن العقيدة ، وترد العدوان عن أراضى الدولة الاسلامية · ولا ننسى النشأة الحربية التى نشأ عليها المماليك أنفسهم ، فقد كانوا جندا مرتزقة ، ليس لهم عمل الا صنعة الحرب ، فأجادوه ، وطوروه ، ايمانا منهم بتأكيد حبهم للقتال فى سبيل الله ·

ثانيا : الردع :

والمقصود به التخويف والترهيب ، أى الحصول على أثر نفسى نتيجة التهديد بالقوة ، كما أنه تفسير لما نصت عليه الآية السابقة قوله تعالى **(ترهبون به عدو الله وعدوكم)** ، وهو ما تنبهت اليه الاستراتيجية العسكرية الحديثة وأخذت تنادى به أخيرا ، (٤) وقد نصت الآية المشار اليها على وسيلة

---

(١) الرجوع الى صحيح مسلم ودائرة المعارف ·

(٢) سورة الأنفال آية ٦٠ ·

(٣) سوره البقره آية ١١ ·

(٤) الجنرال بوفر Bouvre استراتيجية الردع · ترجمة هيئة البحوث العسكرية المصريه ·

الردع فى قـوله تعالى (**وأعدوا لهم ما اسـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل**) ، وهو ما يعنى فى نظر العسـكريين خفة الحـركة فى القتال (١) ، لأن الخيل السريعة (٢) تعنى الكر والفر وخفة الحـركة ، وهـو أقصى ما نسـعى اليه الاستراتيجية العسكرية الحديثة ولازالت تعمل من أجله ٠

وعلى ذلك يتمثل الفن الحربى المملوكى ، بمفهومه الاسلامى السابق الذكر ، فى العناصر القتالية ، والقوة التى وضع آساسـها القرآن الكريم بالفروسية والخيل ، أو ما يسمى قوة الردع التى نشبه المدرعات فى وقتنا الحاضر ، ويقصد بها الحركة الخفيفة ، التى اعتمد عليها الفن الحربى لدولة المماليك البحرية ٠

ثالثا : المشاركة :

وقد نبعت من أن الجهاد واجب مقدس على كل مسلم ، دفاعا عن شريعة الله وعن حرية الدين والفكر ، وكان هناك الزام للاشتراك فى الجهاد ، لرد الخطر عن الأمة الاسلامية ، وبهذا كان مبدأ المشاركة فى الجهاد فى الدولة المملوكية هو المبدأ الثالث من مبادىء الفن الحربى الاسلامى ٠

ولقد نصت العقيدة العسكرية على أن الدفاع (الجهاد) واستخدام القوة العسكرية ليس مطلقا بل يهدف الى الدفاع عن الدولة الاسلامية وتأمينا لحرية الدعوة والفكر الاسلامى ٠

رابعا : التفاوض :

ولما لم يكن هدف الجهاد الا الدفاع وليس الاعتداء أو الاغتصاب ، واذا ارتضى العدو فلا يكون هناك هدف لاستمرار القتال ، طالما أن الهدف سيتحقق وذلك مصداق لقوله سبحانه وتعالى (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم**) (٣) ، فالتفاوض اذن لا يعنى الرغبة فى الاستسلام ، و انما فى تحقيق سلام الحق ، فالتفاوض الذى يمكن الاسلام فى أن يكون مركز القوة النابعة من الحق والعدل والمنطق السليم ، وهى الأسس التى سارت عليها الدولة المملوكية ، سواء مع الصليبيين أو المغول ، وحققت فيها أمجادا عسكرية ضخمة ٠

---

(١) Knaddri, The law and peace in Islam, London, 1968.

(٢) مؤلف مجهول ، قطع مبدعة الارهاب العدو فى الحرب ، مخطط أحمد الثالث باستانبول ، تحت رقم ٣٤٦٩ ٠

(٣) سورة الأنفال آية ٦٠ ٠

الفصل الأول

الظهور السياسي لدولة سلاطين المماليك

- الأصل المملوكي في مصر ٠
- ظهور دولة سـلاطين المماليك البحرية في مصر ٠
- الدعائم الشرعيـة التي اسـتند عليها الحـكم المملوكي البحري في مصر ٠

قامت الدولة المملوكية على أساس أنها دولة عسكرية قبل كل شيء ، بل يمكن القول أنها مؤسسة عسكرية والمقصود بالمماليك تلك الأجلاب الذين عرفوا المجتمع الاسلامى منذ أيام عظمة الخلافة العباسية فى بغداد حيث انهم كانوا يجلبون من وسط آسيا وغربها ، وكثر استخدامهم فى جيوش مختلفة من الدول الاسلامية حتى أصبحوا أرباب النفوذ والسلطان فى شئون الحرب والسياسة ، ولم يشذ سلاطين الايوبيين فى مصر عن غيرهم من السابقين من اخشيديين وطولونيين وفاطميين ، فى الاكثار من شراء هؤلاء الاجلاب ، واتخاذ المماليك سندا لهم فى تدعيم نفوذهم داخل البلاد وحمايتهم من الأخطار الخارجية (١) ، التى تهددهم من ناحية الدول المجاورة ٠

ويبدو من تاريخ الملك الصالح أيوب وهو السلطان قبل الأخير من سلاطين البيت الأيوبى فى مصر ، أنه أكثر من استخدام المماليك فى جيشه الى درجة فوق المعتادة وأنه اتخذ منهم حرسا خاصا له بعد أن أصبح لا يأمن على نفسه شر المؤامرات العديدة التى حاكها ضد أقاربه من أبناء البيت الأيوبى ، قبل أن يصبح سلطانا ، واستكان الصالح أيوب للمماليك الكاملية وغيرهم من طوائف المماليك الذين ساعدوه فى الوصول الى منصبه ، كل ذلك جعله لا يثق كثيرا فى هذه الطوائف بعد أن شعر من أفرادها أنهم أصحاب الفضل عليه ٠ ولذلك استقر رأى الصالح على تأليف طائفة جديدة من المماليك ترتبط به وتدين له ، بالتبعية وتعترف له بالفضل ولا تذكر أسناذا غيره ولا تخلص الا للصالح أيوب ، على أن

(١) انظر : ماجد ، **نظم دولة سلاطين المماليك** ، ٢ ص ١٩ ٠

هذه الطائفة الجديدة من المماليك الذين جلبهم من خوارزم عرفت باسم الصالحية البحرية «١» اشارة الى نسبهم اليه من ناحية و من ناحية أخرى فأغلب الظن أنهم سموا بحرية لأنهم جاءوا من وراء البحار ، اذ أن جوانفيل Joinville نفسه يرى أنهم يسمون بحرية أو رجال ما وراء البحر) (٢) وجوانفل الذى حارب المماليك الصالحية فى حملة الملك لويس التاسع ملك فرنسا وكان قائدا بالحملة الصليبية على مصر الذى أسر عندهم وغدت اليهم وهى رواية لها قيمتها من معاصر شاهد عيان ٠

واذا علمنا أن المماليك البحرية عبارة عن فئة جلبت من أسواق النخاسة بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطىء البحر الاسود وان الطريق العادى الذى سلكوه من بلادهم الى مصر عبر البحر الاسود وهو بحر القلزم الى خليج القسطنطينية ومنه الى البحر الأبيض المتوسط الى ميناء الاسكندرية أو دمياط (٣) ولقد شيد الصالح أيوب هذه القلعة وأقام فيها تحويطة صغيرة لمماليكه وبذلك استطاع أن يؤمن على نفسه شر طوائف المماليك المتطاحنة داخل مصر وخارجها ومع ذلك فان المماليك البحرية بوجه خاص لم يلبثوا أن أصبحوا مصدر قلق ورعب لذويهم من طوائف المماليك الأخرى غير البحرية فضلا عن أهل القاهرة حتى عدوا جماعةأو طائفة خطيرة حينما يوصف حكم المماليك فى السنوات التالية من مساوىء عمت مصر والشام وهؤلاء المماليك الصالحية البحرية هم الذين لقوا صدمة هجوم الصليبيين على المنصورة أو قبل ذلك فى دمياط ٠

★ ★ ★

ان هذه الانتصارات جاءت فى وقت باتت مصر فيه بدون سلطان منذ وفاة الصالح أيوب فى ١٢٤٩/٦٤٧ ، وهنا شاء القدر أن تنهض من حريم الصالح أيوب امرأة قديرة من الرقيق وصفها بعض المؤرخين بأنها صعبة الخلق قوية البأس والمراس (٤) فقبضت على زمام الدولة واستطاعت أن تقوم بدور هام خلد اسمها فى التاريخ وهذه المرأة هى شجرة الدر التى انجبت للصالح أيوب ولدا توفى فى طفولته اسمه خليل ، وحرصت على أن يدعوها الناس بهذه الكيفية ذلك أن شجرة الدر لجأت الى اخفاء خبر وفاة الصالح أيوب ، حتى لا تتأثر الروح المعنوية فى البلاد ولم يعرف هذا الخبر غيرها سوى الأمير فخر الدين يوسف بن حموقه قائد الجيش الأيوبى فى مصر ، وهكذا أشاعت شجرة الدر أن السلطان اشتد به المرض فظلت الأدوية والطعام تدخل للسلطان فى مواعيدها واستمرت

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، س ٨ ٠

(٢) D'Hisson, Des peùpls du cause, paris, 1828.

(٣) الفلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٦٩ ٠

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٩١ ٠

الأسمطه السلطانيه تمتد في أوقاتها ، كما صدرت المنشورات والأوامر الحكومية بتوقيع السلطان المتوفى واذا سأل سائل روت شجرة الدر بأن السلطان (مريض ما يصل اليه أحد (١) .

وفي الوقت نفسه بادرت شجرة الدر بارسال اقطاى زعيم المماليك البحرية فى مهمة عاجلة الى حصن كيفا بأعالى العراق لاستدعاء توران شاه (٢) بن الصالح أيوب حيث كان نائبا عن أبيه فى ذلك الحصن ، وفى تلك الأحوال القاسية التى كان فيها المصريون يعانون فى هذه الظروف من زحف الصليبيين من دمياط نحو المنصورة ، والتحموا بالجيش الأيوبى فى موقعة قرية صـنية أبى عبد الله (٣) شمال المنصورة ببضعة أميال ، حيث سقط فيها الأمير فخر الدين قائد الجيش قتيلا ، وكان فخر الدين هذا ذا آمال عريضة وأطماع واسعة فى الوصول الى منصب السلطنه ، بعد أن انتهى الى القرب من رتبة شديدة القرب من رتبة الملك نجم الدين أيوب وكانت همته تترفى الى الملك لذلك جاء مقتله على هذا الوجه خطوة ممهده أمام المماليك البحرية اذا انتقلت قيادة الجيش الى أقطاى الذى لم يقل هو الآخر طمعا فى منصب السلطنه ، وعاد أقطاى من حصن كيفا ليجد نفسه قائدا للجيش أو ما كان يسمى وقتذاك أتابك العسكر (٤) وكان قد هزم فى موقعة المنصورة التى أخذت تتطور عندئذ تطورا سريعا حاسما ٦٤٨/١٣٥٠ وذلك أن الجيش الأيوبى استغل فرصته فحاصر الصليبيين فى زحفهم من دمياط الى المنصورة وأخذ يعمل على تنظيم صفوفه واستعادة قواه وتألفت القوة الأساسية فى هذا الجيش من المماليك البحرية بقيادة ركن الدين بيبرس البندقدارى الذى اقتحم المنصورة على رأس قواده ليقوم بحركة التفاف بارعة ضد لويس التاسع Louis IX وجنوده .

ولقد قاوم الصليبيون مقاومة يائسة ، ولكن المسلمين طاردوهم فى الازقة وتعقبوهم فى الدور التى لجأوا اليها يحتمون فيها حتى أدرك لويس التاسع Louis IX أخيرا عبث المقاومة فاختار أن ينسحب الى قاعدته فى دمياط ولكن المماليك لم يتركوا الفرصة للصليبيين ينسحبون الى دمياط فى سلامة وانما تعقبوهم حتى استطاعوا أن ينزلوا ضربة كبرى بالجيش الصليبى عند

---

(١) المقريزى ، السلوك ، حـ ١ ، ص ٣٤٦ .

(٢) الخطط ، ٣ ص ، ٣٥٠ .

(٣) صنية أبى عبد الله . قرية لا تزال موجودة الى اليوم على الشاطىء الشرقى لفرع دمياط وهى التى تعرف باسم ميت الخولى عبد الله احدى قرى مركز فارسكور بمدينة الدقهلية .
انظر : العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، حوادث سنة ٦٤٨ هـ ، أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ، ص ٣٦٠ ، ٣٩٧ .

(٤) ابن واصل ، الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ورقه ٦٦ ، مخطوط رقم ١٧٠٣ ، مكتبة لندن الملكية ، قسم المخطوطات .

فارسكور (١) حيث سقط آلاف من الصليبيين ما بين قتيل وأسير (٢) وكان من بين الأسرى لويس الناسع Louis IX نفسه الذى اقتيد الى المنصورة حيث اعتقل فى دار ابن لقمان (٣)٠

فى هذه الأثناء ظهر نوران شاه (٤) على مسرح الأحداث بعد أن عاد من كيفا ، فسلمته شجرة الدر مقاليد الحكم بعد ان ظلت سنة بعد وفاة الصالح أيوب تدير شئون البلاد بكفاءة عظيمة ولكن توران شاه الذى كان مكروها من أبيه لم يحتمل شيئا من الاخلاص أو الوفاء لزوجة أبيه (٥) أو بشبئها بالمماليك البحرية ، كما نقض العهد الذى قطعه على نفسه لاقطاى بمنحه احدى الولايات عندما بشره بالسلطنة (٦) ولم يلبث أن اتهم شجرة الدر بأنها أخفت ثروة أبيه (٧) ثم تمادى توران شاه فى الاساءه الى مماليك أبيه (٨) فاعتقل كثيرا منهم ووزع وظائفهم وذلك بعد أن أوحوا اليه بأن النفوذ الفعلى فى يد أرملة أبيه ومن حولها من الأمراء ولذلك عزم توران شاه أن يضيق على المماليك البحرية مما جعلهم يفكرون فى التخلص منه لا سيما بعد أن شاهده بعضهم ذات ليلة مخمورا يضرب شموع مائدة الطعام بالسيف ويقول (هكذا أفعل بالبحرية (٩) وإن كنا نشك فى هذا الكلام حيث أنه يمكن أن يكون كلام أعوانه ٠

★ ★ ★

---

(١) وهى بلدة تبعد عن دمياط بحوالى ١٢ كم بمحافظة الدقهلية ٠

(٢) ويقال أن عدد القتلى فى موقعة فارسكور بلغ ثلاثين ألفا وقد كتب توران شاه نفسه هذا العدد فى خطابه الى جمال الدين يغمور نائبه فى دمشق وان كان يبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ولو افترضنا أن عدد القتلى بلغ نصف هذا العدد فانه يبدو كبيرا حقا بالنسبة لخسائر الحروب فى هذا العصر ٠

أنظر المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٥٧ ٠

(٣) قال الشاعر المعاصر جمال الدين يحيى بن مطروح محذرا الفرنسيين بعد ذلك الفشل :

وقل لهم ان أضمروا عودة ... لأخذ ثأر أو بقصد صحيح

دار بن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشى صبيح

أنظر ديوان مطروح ص ١٨١ ـ ١٨٢ ٠

ولا تزال ـ دار بن لقمان ـ معروفة بالمنصورة بجوار جامع الشيخ الموافى ٠

(٤) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٤٩ ؛

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٣٧١ ٠

(٦) المقريزى ، السلوك ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ٠

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ص ٣٧٠ ٠

(٧) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ص ٣٧١ ٠

(٨) David, Invasion of Egypt by Louis IX P. 60.

(٩) المقريزى ، السلوك ، ٢١١ ص ٣٥٩ ٠

وفي ذلك الوقت بلغت أعباء شجرة الدر أشدها ، لذلك تآمرت هى الأخرى مع أجنادهـا وأرسـلت الى أمراء المماليك تقول لهم (اقتلوا توران شـاه وعلى رضاكم) (١) وانهى الأمر بمقتل تورانشاه وهو يعانى آلام الموت حيث قال قبل مونه (خـذوا ملككم ودعونى أرجع حصـن كيفا) (٢) ولكن المماليك البحريـة لم يستجيبوا لندائه وأجهزوا عليه ٠ وكان يتولى حصن كيفا بأطراف العراق ٠ ولقد وقع الاختيار على شجرة الدر لتشغل منصب السلطنة عسى أن يضع هذا الاجراء حدا لمطالب الأمراء الأيوبيين فى السلنطه فى القاهرة ، وقبل أن تدير شجرة الدر السلطة على أنها زوجة الصالح أيوب وأم ولده خليل حرصت على أن تلقب نفسها لا بلقب السلطانه فحسب بل كذلك (شجرة الدر عصمة الدين أم خليل الصالحية (٤) لتأكيد استمرار الصلة بالبيت الأيوبى ، وبالتالى محى أى اعتراض من المطالبين الشرعيين بمنصب السـلطنة من بنى أيوب ثم عرض المتآمرون بعد ذلك منصب اتابكية العسكر على الهذبانى الكردى فرفضه لحاجة فى نفسه لم يستطع تحقيقها وعندئذ تخطى المتآمرون اقطاى الذى شـغل هذا المنصب فعلا أيام توران شـاه ، خوفا من بطشـه وعرضوا الوظيفة على ايبك التركمانى ، أحد الأمراء المغمورين الذى قبل هذا التعاون مع العهد الجديد والذى أصبح بمثابة شريك لشجرة الدر فى الحكم ٠

ومن الواضح أن قيام شجر الدر فى السلطنة كان البداية العملية لدولة المماليك لأنها كانت بحكم أصلها أقرب الى المماليك منها الى الأيوبيين وهكذا يمكن القول بأن دولة المماليك قامت فعلا فى شعبان ٦٤٧/مايـو ١٢٥٠ على يد امرأه ذكية أرمينية أو تركية الأصل (٤) وان جاءت هذه البداية مصحوبة بثورة أبناء البيت الأيوبى فى كل مكان ، وكانت أول ما فكرت فيه السلطانه الجديدة هو انهاء ذيول الحملة باقرار مبادىء الاتفاقية التى سـبق عقدها بين توران شاه ولويس التاسع ؛ لذا عقدت شجرة الدر معاهدة جديدة بدلا من المعاهدة السابقة ،

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٦ ، ص ٣٦٤ ٠

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ ص ٣٧١ ٠

عبد الملك أيبك ، كنز الدروب ، ٨/١ ص ٢٢ ٠

أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ٣ ص ١٩٠ ٠

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٨٨ ٠

(٣) توجد بالمتحف البريطانى عملة ذهبية ضربت فى القاهرة فى عهد شجرة الدر سنة ٦٤٨ هـ وهذه العمله تحمل القاب الملكة التى ذكرناها ، انظر

(٤) ابن أيبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ١١٨ ورقة ، ٢٢ مخطوط ٠

المقريزى ، السلوك ، ٢/١ ص ٣٦٢ ٠

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ ص ٣٧١ ٠

أبو الفدا ، المختصر فى أحوال البشر ، ٣ ص ١٨٠ ٠

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٨٨ ٠

فلم يلبث المفاوض المصرى وهو الأمير حسام الدين أبو على الهذبانى (١) مندوب شجرة الدر فى التفاوض مع الملك لويس التوسع على تسليم دمياط أو اخلاء سبيله ومن معه من كبار الأسرى لقاء فدية قدرها ثمانمائة ألف دينار يدفع نصفهم قبل الرحيل ويدفع النصف الآخر بعد وصوله عكا (٢) ٠ ويقال ان زوجة لويس التاسع استطاعت أن تجمع نصف الفدية المتفق عليها ٠

ومن ثم سمح لملك فرنسا بالابحار الى عكا ومعه فلول جيشه عقب قيام الدولة الجديدة وحلف الأمراء للسلطانة الجديدة يمين الولاء فأصبحت كافة الأمور فى قبضتها وصدرت المراسيم المنشورات باسمها ، وضربت السكة باسمها والتى كان اسمها المستقر عليه « المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين » (٣) وأحاطت حكمها بسياج من الشرعية لم يخفف من شعور الناس قيام امرأة على الحكم وهو ما لم يألفه المسلمون ، ولم يشفع لشجرة الدر أنها تمسكت بلقب المستعصمية نسبة الى الخليفة المستعصم العباسى بما يشير الى أنها أرادت أن تتعلق بالخلافة العباسية لتجد لنفسها سندا جديدا من اطلاق سراح لويس التاسع فضلا عن أسرافها فى توزيع الاقطاعيات والمناصب والعطايا على المماليك أصحاب الفضل الأول فى وصولها الى السلطة ٠

★ ★ ★

وكان أن انطلق أول صوت للمعارضة من دمشق حيث رفض المماليك الأتراك (التيمورية) (٤) نسبة الى تيمورلنك ، أن يقيموا يمين الولاء للسلطانة شجرة الدر ، كما امتنع الأمير جمال الدين نائب السلطنة بدمشق عن الاعتراف بسلطنة شجرة الدر ، وكان تورانشاه هو الذى عينه فى هذا المنصب وهو فى طريقه من كيفا الى مصر ولم يكن غريبا أن يستعين هؤلاء المتردون بالملك الناصر يوسف الأيوبى ملك حلب ، وأقوى أمراء بنى أيوب فى الشـام ، وهنا اغتنم النـاصر يوسف الفرصة للانتقام من المماليك الذين أيدوا عمه تورانشاه واغتصبوا السلطة من سادتهم بنى أيوب أصحابها الشرعيين ، ومن هنا انقسمت مصر والشام الى قوتين متنازعتين الأولى بأيدى المماليك والثانية بأيدى الأيوبيين ٠

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٦١ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٨٩ ٠
(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٣٧٤ ٠
(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٩١ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٦٢ ؛
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٣٦٢ ؛
Lanepoole, History of Egypt in the middle ages, P. 255.

(٤) نسبة الى قلعة تيمور قرب الموصل ٠

وبداية من ذلك الوقت لم يقر الخليفة المستعصم بالله العباسى فى بغداد قيام امرأة فى حكم المسلمين فأرسل الى أهل مصر يعنفهم على اختيار امرأة تحكمهم وقال لهم عبارته المشهورة (اذا كان الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا) (١) ، وللخروج من هذا المأزق تم الاتفاق فى القاهرة على أن تتزوج شجرة الدر من أتابك العسكر (عز الدين ايبك) على أن يترك له وظيفة السلطنة حيث أثبت أيبك أنه أصلب عودا وسط عواصف المعارضين سواء فى داخل البلاد أو خارجها بالرغم من اتخاذ اجراء شكلى وهو اشراكه معه فى السلطنة أميرا أيوبيا فى السادسة من عمره هو الأشرف موسى ، ثم شاءت المقادير أن تتعرض البلاد الاسلامية لمواجهة هذا الخطر الجديد وهو خطر التتار فأرسل رسولا الى الملك الناصر يوسف صاحب دمشق يأمره بمصالحة المعز أيبك وأن يتفقوا معا على حرب التتار (٢) ٠

ولم تلبث أن تمخضت هذه الجهود عن عقد معاهدة بين الطرفين ٦٥٩/١٢٥٣ وتم الاتفاق فى هذه المعاهدة على أن يكون للمصريين الى الأردن وللناصر ما وراء ذلك وأصبح للمصريين غزة والقدس والساحل كله (٣) ومعنى ذلك أن يكون الجزء الجنوبى من فلسطين بما فيها القدس والأجزاء الساحلية فى نابلس تكون من نصيب السلطان أيبك ، وهكذا نجح المماليك فى اجتياز العقبة الأولى الأساسية التى اعترضت طريق سلطانهم فى القاهرة ٠

الا أن الأمور لم تهدأ لأيبك فى داخل البلاد بالسرعة التى كان يرجوها لأن عبث المماليك بالنظام والقانون لم يلبث أن أدى الى اثارة الكراهية لحكمهم حيث اتخذت هذه الكراهية شكل ثورةجامحة قام بها العرب مطالبين أنهم أحق بالملك من المماليك ، وقد كفى أننا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج على البلاد (٤) وقد رفض الاعراب أن يخضعوا لحكم المماليك الذين هم من الرقيق (٥) ، وهنا نجد أيبك قد اعتمد على المماليك البحرية فى مكافحة خطر الأيوبيين ثم القضاء على الأعراب الأمراء الذين ضوعف نفوذهم فى الدولة حتى صار من العسير اخضاعهم لارادة السلطان أو الاطمئنان الى زعميهم اقطاى ، ولم يلبث المماليك البحرية أن تمادوا فى التعنت حتى غدت القاهرة ومصر الوسطى قليلة الأمان ونزل بالناس فى البر بلاء لا يوصف ما بين قتل ونهب وسلب بحيث لو ملك الفرنج بلاد مصر ما ازدادوا من الفساد وما فعله البحرية (٦) ٠

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ٢/١ ص ٣٨٦ ٠
(٢) السبكى ، طبقات الشافعية ، ٥ ص ١١٣ ٠
(٣) المقريزى ، السلوك ، ٢١١ ، ص ٣٨٦ ٠
(٤) المقريزى ، البيان والاعراب بأرض مصر من الأعراب ٠
(٥) نفسه ، السلوك ، ٢١١ ، ص ٣٨٦ ٠
(٦) المقريزى ، البيان والأعراب بأرض مصر من الأعراب ٠

. ومن الواضح أن السلطان أيبك كان فى أول أمره مضطرا الى موارة المماليك البحرية وزعيمهم أقطاى طالما كان فى خوف من الأخطار الخارجية والداخلية التى نواجهه ولكن موقفه نغير تجاههم عندما اطمأن الى جانب الأيوبيين وقضى على الأعراب (١) ، لهذا أخذ المعز أيبك فى التهديد للتخلص من أقطاى واستعان بطائفة من مماليكه المقيمة فى قلعة الجبل (٢) ولكن اذا كان أيبك قد تخلص بهذه المؤامرة من منافسه أقطاى من المماليك البحرية وذعروا لقتل زعيمهم والقاء رأسه عليهم من قلعة الجبل فاجتمع زعماؤهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى وسنقر الأشقر وغيرهم ، وفرروا آلفرار الى بلاد الشام حيث حرضوا الناصر يوسف وغيره من أمراء بنى أيوب على مهاجمة مصر ، لذلك ظل أيبك ثلاث سنوات فى حالة تأهب تام واستعداد لصد أى هجوم مفاجىء من الشام على أطراف دولته فى فلسطين ومصر ، كما عاد مرة أخرى الى التلويح بتبعيته للخلافة العباسية فأرسل بعثة الى بغداد تطلب الخلع من الخليفة ثم جدد الهدنة القديمة مع الصليبيين وعقد تحالفا ازدواجيا مع بدر الدين لؤلؤ أمير حلب على أن يتزوج أيبك من ابنة هذا الأمير ، ولكن مشروع الزواج سرعان ما أثار شعور الغيرة فى قلب شجرة الدر التى ساءها جحود أيبك بعد أن تنازلت له عن السلطنة وساعدته فى الوصول اليها ، فلم تتردد فى تدبير مؤامرة الانتقام وانتهى الأمر بقتله (٣) فى الحمام ، ولم تلبث أسرار الجريمة التى ارتكبتها شجرة الدر أن ظهرت على الرغم من انكارها وتجاهلها فتعرضت هى الأخرى لنفس المصير لتلحق بأيبك بعد ثلاثة أيام من مقتله ، وأحدث مقتل أيبك وشجرة الدر فراغا كبيرا داخل البلاد باثارة مشكلة شغل منصب السلطنة والمعروف عن المماليك أن نظامهم لم يتغير مطلقا الى المبدأ الوراثى فى الحكم لأن السيادة فى عرفهم يجب أن تكون للأقوى ولكن هناك الظاهرة التى لم تتكرر طوال التاريخ وهى أنهم كانوا يلجأون غالبا عقب وفاة السلطان أو مقتله الى اختيار ابنه محله ، وذلك أمر مؤقت حتى يتم الاتفاق بين كبار الأمراء على من يلى السلطنة وعندئذ يسهل عزل الابن والتخلص منه بالنفى أو العزل ، وهكذا تولى على بن أيبك منصب السلطنة وهو فى الخامسة عشر من عمره فى حين عين الأمير سيف الدين قطز أقدم مماليك أبيه نائبا له وتطورت الأحداث الخارجية تطورا خطيرا بسبب تهديد المغول لقلب العالم الاسلامى ، مما عجل بوضع نهاية لعهد المنصور على بن أيبك وقيام نائبه قطز فى منصب السلطنة مما يؤكد مبدأ العصبية (٤) والسلطنة للأقوى وأن دولة

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ٢١١ ص ٣٨٦ .

(٢) نفسه ، الخطط ، ٢ ص ٣٦ .

(٣) ابن أيبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ٢١٨ ورقة ٢٢ (مخطوط)

(٤) العصبية اكدها ابن خلدون حيث أجازها للمماليك ، انظر : بن خلدون ، مقدمة ، ص ٨٧ .

المماليك دولة عسكرية بنيت أساسا على الحروب كما سيوضح بعد ذلك • وبذلك قامت دولة سلاطين المماليك البحرية ، وان كانت هذه الدولة لا يمكن أن تقوم الا بتولى أيبك نفسه •

★ ★ ★

وهذه الدولة قامت على الدعائم الشرعية ، متمثلة فى مسألة احياء الخلافة العباسية لتأكيد نقل المماليك للسلطنة الشرعية حتى تسود السلطة الشرعية للحكم لهم فى العالم الاسلامى ، بحيث أنه قد اسنند عليها استمرار الحكم المملوكى فى مصر ، حيث تغلبوا على العقبات التى وقفت أمامهم وذلك مثل التغلب على العدو فى مصر ، كما تغلب على معظم أبناء البيت الأيوبى بالشام •

ثم أظهرت للعالم مقدرتها الحربية بالانتصار على المغول فى عين جالوت وأحاطت نفسها منذ قيامها فى مصر والشام بآيات الولاء للخلافة العباسية حتى اعترف بسلاطينها اعترافا تاما فأكسبهم ذلك الاعتراف شرعية للحكم ، وأحاطهم بسند يحميهم ممن عسى أن يفكر فى انتزاع السلطنة منهم •

تلك عوامل البقاء التى قامت عليها الدولة المملوكية الأولى عندما صار الظاهر بيبرس سلطانا على مصر سنة ٦٥٨/٦٧٦ ، ١٢٦٠/١٢٧٧ ثم أضاف السلطان الجديد عوامل أخرى لا يستطيع القيام بها الا حاكم بعيد النظر موهوب قوى الشكيمة شديد الحزم ، وتلك العوامل هى ما أتم بيبرس بناءها والتى أقام عليها سلاطين المماليك بعد ذلك تاريخهم الطويل •

ونجد أن أول ما قابل بيبرس اثر اعلانه سلطانا ، ثورتان داخليتان فى وقت واحد تقريبا أواخر ٦٥٨/١٢٦٠ أحداهما بدمشق والأخرى بالقاهرة فاستغلهما بيبرس استغلالا قوى دولة المماليك داخليا وخارجيا فى آن واحد • أما الثورة الأولى فأساسها الاجتماع على ما حدث من مقتل قطز وقام الأمير علم الدين سنجر ــ ملقب بالملك المجاهد ــ وركب شعار السلطنة على المنابر وضربت له السكة وأخذ فى تحصين قلعة دمشق استعدادا للقتال ، ولم يكتف بذلك بل أرسل للأمير حسام الدين لاجين العزيزى الجوكندار نائب حلب والملك المنصور صاحب حماه والملك الأشرف موسى صاحب حمص ليدخلوا فى طاعته ولشد أزره ، فرفضوا اجابة طلبه ، وغالبا خشية بيبرس ، ولم تقطع رسل السلطان فى كيفية اقناع الثائر بلزوم الطاعة ، فقرر بيبرس أن يحرر جيشا للقضاء على تلك الثورة قبل أن يستفحل الأمر •

وعاد الجيش من دمشق الى القاهرة بالأمير مغللا بالاصفاد فى صفر ٦٥٩/ يناير ١٢٦١ حيث اعتقل بقلعة الجبل بعد شهر واحد من اعلان الثورة وولى بيبرس أستاذه علاء الدين البندقدارى نيابة دمشق حيث انطوت منذ ذلك الوقت

تحت لوائه (١) وهكذا قضى على احدى الحركات الانفصالية ، وكان نتيجة ذلك أن شق الثوار شوارع القاهرة ليلا وهم ينادون (يا العلى) وفتحوا حوانيت السيوف بين القصرين وأخذوا ما بها من سلاح واقتحموا اسطبلات الجنود وأخذوا منها الخيول فأرسل بيبرس من الجنود ما كفل الحوطة على الثوار والقبض على جميع زعمائهم حتى اذا ما همدت الثورة أمر السلطان بصلب الكورانى وهو من زعماء الثورة وعلقه على باب زويله (٢) ٠

هكذا قضى بيبرس قضاء تاما على البقية الباقية من الحركة التى ظلت تعمل على هذه الخلافة السنية الباقية فى مصر وغيرها من البلاد منذ عهد صلاح الدين بدليل خلو المراجع العربية من أخبار حركة مشابهة فى مصر والشام طول العهد المملوكى الأول وحتى الثانى ، ولقد ظهر ما قام به بيبرس ليس على دوره فقط فى اخماد الحركة الشعبية ولكن فى تثبيت الحكم المملوكى ٠

بل ان بيبرس جعل الدولة المملوكية تبدو ع لى أنها صاحبة فضل على العالم الاسلامى وذلك باظهار تعلقه باحياء الخلافة السنية المنهارة بعد زوالها من بغداد على يد هولاكو وجنوده وليظهر بيبرس أمام العالم الاسلامى ؛ وان مصر صاحبة الخلافة ، ويجعل لمصر النفوذ والزعامة على البلاد الاسلامية كما جعل من دولته الناشئة دولة شرعية يجب المحافظة عليها ، على أن ثمة تغيير قد حل بفكر بيبرس ازاء الخلافة العباسية وخلاصته ، أن تقام الخلافة العباسية بمصر فتستفيد الدولة المملوكية من وجودها بالقاهرة ، وتتجنب خطر اقامتها بعيدا فى بغداد مما يدل على هذا التغير أن جماعة من المغاورة وهم مماليك الخليفة المستعصم الذين فروا من وجه التتار بزعامة مقدمهم الأمير سيف الدين سلار (٣) الى الحجاز وصـلوا الى القاهرة بعد وصول العباس أحمد بشهر واحد فقط ، وكان حضورهم الى مصر بناء على طلب بيبرس والحاحه ، وأصل هذا المملوك من بلاد القيشان ، اشتراه الخليفة الظاهر العباسى ، ثم انتقل لخدمة المستعصم وترقى وأصبح واليا على أواسط الكوفة ومكة ٠

وبعد سقوط بغداد فى يد هولاكو لجأ الى الحجاز ثم جاء الى مصر بناء على طلب بيبرس كما سبق أن أوضحنـا فدخلهـا وزملاؤه المغاورة حيث أكرمهم بيبرس ، ولقد تمتعت القاهرة زمن ذلك بشهرة ونهضة علمية واسعة ساعدت على احياء مركز الخلافة العباسية ولذلك يقول جلال الدين السيوطى (الايمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت حين صارت مصر دارا للخلافة ، عظم أمرها وكثرت

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٨ ، ٣٤٩ ، ٤٤٥ ، أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ٣ ص ٢١٠ ٠

(٢) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٩ ٠

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٩ ٠

شعائر الإسلام فيها وصارت مسكنا للعلماء ومحطا لرجال فضلاء (١) وبالاضافة الى شــهرة القــاهرة الدينية والعلمية فهناك شـــهرتها التجارية التى جعلت « هولاكو » يسميها « كروان سراى » فى احدى رسائله (٢) أى محط الرجال والمتاجرة والمال ، اذ أصبحت بفضل قيام الخلافة بها مركز نشاط تجارى واسع فضلا عن نشاطها القديم ٠

ولقد قام السلطان بيبرس بتنفيذ سياسة السيطرة على الأراضى الحجازية تدعيما للشرعية ، كما فعل جميع الحكام الذين اســتقلوا بمصر كالطولونيين ، والأخشيديين ،والفاطميين ، ثم سار الأيوبيون على نفس هــذه السياسه حتى لقبوا أنفسهم بلقب (خدام الحرمين) فلم يقبل بيبرس أن يتخلى عن هذا اللقب للمماليك فقام أولا بعدة اصلاحات بالحرم النبوى الشريف وأرسل الكسوة الى الكعبة (٣) كما أرســل الصــدقات والزيت والشـــموع والطيب ٠٠ الخ (٤) ولم يكتف بيبرس بالعناية بالحرمين الشرفين بل أمر بارســال الصناع وآلات العمارة الى مسجد الصخرة بالقدس حيث يوجد مسجد ابراهيــم الخليل عليه السلام (٥) وأخرج ما كان فى اقطاعات الأمراء من أركانه (٦) كما أمر ببناء مشهد فى (عين جالوت) عرف بمشهد النصر (٧) ، تخليدا لذكرى الانتصار العظيم الذى حققه المسلمون هناك ٠

ولم يبق بعد ذلك من المشاكل التى واجهت بيبرس وهو ســـلطان دولة المماليك سوى بقايا الأيوبيين على الرغم من اعلان المنصور صاحب حماة ، والأشرف صاحب حمص ولاءهما لبيبرس ، الا أن الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب حصن الكرك (٨) لم يقلع يوما عن مفاومة سلاطين المماليك فى عهد أيبك التركمانى ، اعتقادا منه أنه أحق منهم فى ملك مصر والشام ، فلما جاء بيبرس

---

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ٦٦ ٠

(٢) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩ ٠

(٣) العينى ، عقد الجمان ، ص ٥٠٢ ، ٥٤٤ ٠

(٤) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ص ٥١٢ ٠

(٥) قبر ابراهيم الخليل وقبره فى بلد الخليل بفلسطين واســمها الأصلى حبرون وهى قرب بيت المقدس ـ ياقوت ـ معجم البلدان ، ص ٤٢٨ ٠

(٦) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٤٥ ، ١٤٦ ، ٥٠٢ ٠

(٧) نفســه ، نفس المصدر والجزء ، ص ٤٤٦ ، العينى ، عقد الجمــان ، الجزء الخاص بحوادث سنة ٦٥٦ ، ٦٧٣ هـ ٠

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ٠

الى السلطنة عزم على القضاء على المغيث عمر وازالته (١) ازالة كافيــة لتتحقق بذلك سيطرته ، لولا أن بعث المغيث برسالة الى الخليفة الحاكم بأمر الله المقيم بالقاهرة يسأله الشفاعة ، فكتب الخليفة الى بيبرس يشفع له فقبل بيبرس الشفاعة . يعنى للمغيث والكرك معا (٢) غير أنه يبدو أن المغيث ظل على نيته القديمة نحو المماليك وسلطنهم فكتب الى هولاكو سرا يحضه على فتح الشـــام ويطلب أن يقيمه عليها ملكا تابعا (٣) ولكن بيبرس علم بأمر هذه المكاتبات المتبادلة بين هولاكو والمغيث عمر ، فعهد بيبرس الى السياسة والمداورة ، فأرسل الى عمر رسالة أكبر فيها الايمان والمواثيق وأن يرعى ذمته ولا يمس بأذى (٤) وطلب اليه الحضور الى معسكر بفلسطين ، وعلى الرغم من تشـــكك المغيث فى مواثيق بيبرس فانه اضطر الى الذهاب الى حضرة بيبرس فى معسكره عند بيسان ، حتى لا يبدو جاحدا لحق المعاملة وناكرا لجميل الخلافة والسلطان . وقد وصل المغيث عمر الى الدهليز السلطانى فى جمادى الأولى ٦٦١ مارس ١٢٦٣ ، فى بيسان فقابله بيبرس وأكرم وفادته وسار الى جانبه حتى قارب الدهليز ، وهناك قبض عليه واعتقله ، ثم جمع بيبرس مجلسا حضره كبار الأمراء الشافعيين وقاضى قضاة دمشق والمؤرخ شمس الدين فلكان وأطلعهم على الكتب المتبادلة بينه وبين هولاكو ثم احضر الفقهاء الذين حملوا تلك الكتب . ثم أخرج بيبرس فتـاوى الفقهاء بوجوب قتل المغيث عمر (٥) وأرسله مصفدا فى الحديد الى القاهرة حيث قتل (٦) واستولى على الكرك . فى نفس الوقت عين لهم واليا من قبله وبذلك خلا الجو لدولة المماليك من آخر مناوىء لها من ناحية الأيوبيين .

لم يكن من المنتظر أن يقف بيبرس عند هـــذا الحـد من التمكن للـدولة المملوكية فى الداخل والخارج وهو يعلم أن المغول ســوف يتحركون لمعركة عين جالوت وأن الصلبيين سوف يعملون كذلك لاثارة ملوك أوروبا مثل فرنسا

---

(١) أبو الفـداء المختصر فى أخبـار البشر ، ٣ ص ٢٦٦ ، يروى أبو الفداء أن هذا الجزاء نتيجة اعتداء وقع من المغيث على امرأة الظاهر بيبرس بالكرك .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ ص ٤٠٠ .

(٣) مفضل ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٥٤٠ .

(٤) مفضل ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٥٠٠ .

المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٥) أبو الفداء المختصر فى تاريخ البشر ، ٣ ص ٢٩٩ ، ويروى أبو الفداء أن المغيث حمل الى امرأة الظاهر بيبرس التى قيل أنه اعتدى عليها بالكرك بقلعة الجبل فامرت جواريها بقتله .

نفسه ، نفس المصدر ، ص ٥٠١ .

(٦) المقريزى ، السلوك ، ص ٤٩٢ .

وما قام به لويس التاسع ملك فرنسا فى أواخر أيام الأيوبيين وأن هذين الخطرين احدهما أو كلاهما ما يعرض الدولة المملوكية للزوال .

★ ★ ★

والخلاصة لكل هـذا : فقد وضح أن دولة المماليك نشـأت وترعرعت كمؤسسة عسكرية فى جو مشحون بالأخطار الخارجية والداخلية ، ومع ذلك استطاعت أن تتغلب على كل الأخطار وأن تثبت أقدامها بواسـطة الانتصارات .

الفصل الثاني

النشأة العسكرية للمماليك

- الأصل المملوكى لدولة سلاطين المماليك البحرية
- التربية والنشأة
- التدريب القتالى
- السلاح
- الزى والملابس
- الاقطاع
- الجاميكيات

ان النظرة العميقة للأصل المملوكى البحرى تكشف لنا بانهم يرجعون الى جنسيات ترجع غالبيتها الى أنهم مجلبون من شبه جزيرة « **القرم** » **وبلاد القوقاز والقفجان** وآسيا **الصغرى** وفارس وتركستان (١) **وبلاد** ماوراء النهر ، فكانوا خليطا من الأتراك والجراكسه . وان كان هناك من المصادر المعاصرة التى تقول أنه ربما كان أصلهم من العرب وسكنوا هذه المنطقة (٢) ولقد كان المماليك يمثلون الطبقة العسكرية الممتازة التى فرضت سيادتها على البلاد المصرية وأهلها ، وشجع التجار على جلب هذه الجموع المتباينة الأصول ، كثرة الأموال التى لم يتردد السلاطين والأمراء ببذلها بسخاء رغبة منهم فى الاكثار من المماليك حتى يكونوا سندا يعتمدون عليه لتقوية مركزهم داخل البلاد وخارجها بواسطة تجار المماليك ، وحيث أن استمرار تيار الوافدين من تلك الأجناس لا ينقطع بسبب ازدياد حاجة السلطان الى اقتناء المماليك واستخدامهم فى الجيش فضلا عن ثراء الدولة المملوكية ، وتواتر الأخبار بأن سلطتها ووظائفها ميدان فسيح لكل ذى موهبة ، كل ذلك كان سببا لاجتذاب عدد كبير من أجناس مختلفة الى مصر حتى انتشرت فى بلاد التركستان الروايات والقصص عن ذلك ، أما عن أحوال المماليك فى مصر . وما يذاع عن ثروة الناس بالقاهرة من أنه كان باعثا لكثير من أهل تلك

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ ،٢ ص ٢٧٩ ؛

Lane-pool, History of Egypt in the middle ages. P. 255.
Les villes marchandis aux : Xivene et Xveme siecles pernoud psefee de Reine crousset, Paris 1948 pp. 50-54, 68 spp. 71.

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٥٨ ؛
ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ١٧٩ .

البلاد فى تركستان على بيع أولادهم (١) حتى يكونوا فى حاشية سلطان مصر ، ومن ذلك نرى السلطان المنصور قلاوون أرسل يعرف نجار المماليك « بأن من أحضر منهم مماليك وجوارى فله من قيمتهم فوق ما يزيد على ما يريد لرغبتنا فى تكثير الجنود (٢) » ، واشتهر فى عصر المماليك مجموعة من التجار عرفوا بحسن بضاعتهم واجلابهم ، فاذا كان بالمملوك المجلوب عيب ، أحجم الشارون عنه وانحط سعره ، فقد قيل ان الظاهر بيبرس عندما عرضه التاجر على المنصور محمد الأيوبى رفض شراءه لبياض فى احـدى عينيه (٣) وكان هؤلاء الأجـلاب من المماليك ينسبون دائما الى أستاذهم أى الى أسـماء الذين اشـتروهم بالمال ، فبيبرس البندقدارى نسبة الى أستاذه البندقدارى أول من اشـتراه من تاجره بحماه ، والمماليك الاشرفية الخليلية نسبة الى السلطان الأشرف الخليل والناصرية نسبة الى الناصر محمد وهكذا ٠٠٠

وربما نسب المملوك الى تاجره الذى جلبه ، اذا كان التاجر مشهورا ذائع الصيت مثل يلبغا السلمى نسبة الى سالم وهو أحد التجار المعروفين ومثل المماليك العثمانية نسبة الى عثمان فخر الدين وهو من كبار التجار الذين جلبوا كثيرا من المماليك والجوارى الى السلاطين (٤) وربما نسب المـملوك الى قيمته التى اشترى بها ، اذا كان مبلغا كبيرا يسـتحق الظهور ، مثل قلاوون الألفى الذى اشتراه الأمير علاء الدين أقسنقر بألف دينار « وغالى فى قيمته لحسن صورته وسمى الألفى (٥) ولقد كانت بيزنطة ومدن ايطاليا لها مستعمرات على البحر الأسود وقد تخصصت فى بيع المماليك مثل الجنوبيين الذين لهم ميناء « كافاه » Cava على بحر قاروں حيث كانت تجارتهم من المماليك تتضمن الجورجين واللان والألبانيين حتى أن البابوية هددتهم بعقاب الدنيا والآخرة ٠

ولقد عرفت مصر هؤلاء التجار الأجانب (٦) بلقب « خواجه » أو « خواجا » أو « خواجكية » وفيه يقول المؤلف القلقشندى أنه يعنى التجار الأجانب ومعظمهم

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ ص ٣٧٩ ٠

(٢) ابن الفرات ، تاريخ الدول المملوكية ، ١ ص ٨٥ ٠

(٣) المقريزى ، السلوك ، ١/٢ ص ٦٤٧ ؛
ابن واصل ، مفرج الكروب ، ورقة ٤٤٠ (مخطوط) ٠

(٤) ابن القاضى شهبد ، الأعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٤ ورقة ٢٧٣ «مخطوط» ٠

(٥) بيبرس الدودار ، زبدة الفكر ، ٩ ص ١٤١ ٠
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ٣ ورقة ٣٧ « مخوط » ٠

(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٦ ص ١٣ ٠
انظر : ماجد ، طومان باى ، ص ١٧ ٠

كان من الأوروبيين النصارى أو اليهود وفى بعض الأحيـان من الايرانيين (١) حيث كان هؤلاء التجار يأتون غالبا عن طريق البحر الأبيض ويدخلون القاهرة عن طريق الاسكندرية أو دمياط ، بينما نجد المسلمين من هؤلاء التجار يأتون عن طريق البر أما أماكن أسواق تجار المماليك فى القاهرة (٢) ، حيث نجـد سوق خان الخليلى والذى مازال باسمه حتى الآن فى حى الأزهر وكذلك نجد سوقا آخر يسمى خان سرور حيث كان يشرف عليها تاجر المماليك أو معلم تجار المماليك وهم الذين يشترون المماليك من « الخواجكية » لعرضهم فى السوق وكان من بينهم تاجر الخاص من الرقيق (٣) وكان عمله الأسـاسى شراء وبيع وجمع المماليك للسلطان والذين يعتبرون من المحظوظين حيث يدفع السلطان ثمنهم من بيت المال وان كان أحيانا من ماله الخاص وبأسعار أكثر ارتفاعا من أسعار السوق المحلية فى ذلك الوقت ، ولقد كان السلطان يفضل شراء المماليك صغار السن الذين يسمون أجلاب (٤) أو جلبان أو مشتروات ، ومعناها جلبهم أو شراؤهم من بلاد أخرى ، حيث تختلف أسعارهم طبقا لقيمتهم وكذلك قيمة أسعار العملات المعروفة فى ذلك الحين ٠

هذا ولم يكن السلطان يعتمد على جلب مماليكه من المشتروات فقط بل كان يحصل على مماليك السلطان سـلفة الذى توفى أو عزل اما بالاسـتيلاء أو بالشراء (٥) ويعدهم من مماليكه ، حيث يسـمون قرانيص (٦) ٠ وفى بعض الأحيان يسمون مماليك قرانصة أو مماليك سلطانية ٠ أما مماليك السلطان الذى يستولى عليهم من مماليك الأمراء بعد ابعادهم بالوفاة العادية أو بقتلهم فيسمون

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٦ ص ١٣ ٠
انظر : ماجد ، طومان باى ، ص ١٧ ٠

(٢) ابن تغرى بردى ، منتجات عن حوادث الزهور فى مدى الأيام والشهور « حوادث تحقيق » popper طبعة Calfornia ١٩٣٠ ص ٢٢٨
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٦٩ ؛
انظر : ماجد ، نظم السلاطين ، ص ١٣ ٠

(٣) ابن شاهين ، زبده كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق ، باريس ، سـنة ١٨٩٦ ، ص ١١٦ ٠
انظر ماجد ، نظم ، ١ ص ١٤١ ٠

(٤) زبده ، ص ١١٦ ، حوادث ص ١٩١ س ٣٠ ٠

(٥) ابن تغرى بردى ، حوادث ، ص ٣٤٠ ، ص ٦٧٢ ؛
انظر : ماجد ، نظم ، ج ١ ص ١١٤ ٠

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٥ ؛
ابن تغرى بردى ، حوادث ، ص ٢٥٠ ، ص ٣٣٥ ؛
بيبرس الدودار ، زبده ، ص ١١٦ ؛
انظر : ماجد ، نظم ، ١ ص ١٤ ٠

بالمماليك السيفية (١) • أما عن المماليك الذين يشتريهم الأمراء فانهم يسمون مماليك الأمراء أو أجناد الأمراء ، كما سنرى فيما بعد •

ويرى القلقشندى أن معظم هؤلاء المماليك من أجلاب القبجاق ، وهو لفظ يدل على القبيلة الذهبية ولكن المقريزى يروى أنهم أتوا بالأخص من بلاد التركستان وكلتا الروايتين صحيحة حيث أن القبيلة الذهبية تملكت جزءا من تركستان شمال خوارزم وأراضى السهول الشمالية ولهذا أطلق القلقشندى على مملكة توران خوارزم ، القفشاق (٢) واذا قلنا أن هؤلاء المماليك من أهل تركستان فانهم فى الواقع أتوا الى مصر من بلاد القبجاق من جنوبى الفلجا • ومهما يكن فان حسن العلاقة بين بيبرس وبركة خان سهلت على بيبرس الحصول على أولئك المماليك القبجاق أو القفشاق دون غيرهم •

وكان الحصول على أولئك المماليك القبجاق تتطلب الوصول الى السواحل الشمالية للبحر الأسود بدون صعوبات ، واستطاع بيبرس بسفاراته وهداياه أن يحصل على اذن من الملك البيزنطى ميخائيل باليولوج بمرور سفينتين مشحونتين بالمماليك عبر البسفور الى البحر الأسود ذهابا وايابا مرة فى السنة (٣) ثم ان بلاد القبجاق كانت أصلح البلاد للحصول على اعداد كثيرة من المماليك اذ كانت شعوب تلك البلاد بدائية وظلوا يصيفون بأرض ويشتون بأخرى لقلة المراعى الدائمة وقسوة المناخ ، ويعانون ضيقا فى العيش ونقصا فى المواد الغذائية وكان من الطبيعى فى ذلك الوقت أن يبيع بعض الأهالى أولادهم وبناتهم أو يستبدلوهم بالغلال لسد جوعهم (٤) ويضاف الى ذلك ، القفجاق كانوا يغيرون على جيرانهم الشراكسة والروس والمجر واللان ويأسرون منهم ما استطاعوا للبيع فى الأسواق النخاسية البيضاء (٥) حتى صارت قاعدة مملكتهم مدينة سراى (٦) Saria فرصة عظيمة لتجار الرقيق الترك والشراكسة والروس

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ؛
ابن تغرى بردى ، حوادث ص ١٩١ ، ٢٣١ •
(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٥٨ •
(٣) Heyed : Histoire du commerce du levont au age Tome II, pp. 556-557.
(٤) العصبية أكدها ابن خلدون حث أجازها للماليك ابن خلدان ، مقدمة ص ٧٨ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ •
(٥) Heyed : p. cit II 550.
(٦) الرمزى ، تلفيق الأخبار ، ص ٤١١ ، ص ٤١ (كانت سراى تقع فى شمال بحر قزوين وقد تم بناؤها فى عهد بركة خان وتصفها الروايات العربية بأنها مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ومساجد فيها طوائف مختلفة مثل الروس والمغول والروم والشراكسة لكل طائفة منها السكن على حده كان التجار الغرباء من أهالى العراق ومصر والشام وغيرها يقيمون كل فى مكان خاص محاط بسور حفاظا على أموالهم وبضائعهم) •

والمجر اللان(١) وهذا هو السر في كثيرة الأجناس التى تكونت منها الطبقة المملوكية فى مصر فى زمن هذه الأجناس التى كثر فيها عنصر القبجاق فملا بيبرس صفوف جيشه حتى بلغ عدد ٥ أربعين ألف فارس (٢) ٠

فيحدثنا المؤرخون فى هذا أن جماعات المغول القفجاق قدمت مستأمنة مصر فى عهد بيبرس وانضمت الى الجيش وسميت تلك الجماعات بالوافدين أو التتر المستأمنة وقد جعل منهم فى أول الأمر مائتى فارس عام ٦٦٠ - ١٢٦٢ ثم مايزيد على الألف وثلثمائة فارس بعائلاتهم سنة ٦٦٠ - ١٢٦٣ (٣) رحب بيبرس بهؤلاء الجند وخلع عليهم وأكرمهم وأنزلهم فى دور بنيت لهم خصيصا بالقرب من اللوق الظاهر بمدينة القاهرة وقت ذاك ثم أكرم كبراءهم وأنزلهم بين جملة البحرية ومماليكه (٦) وجلب هؤلاء التتار ومعهم نظمهم وعاداتهم التى كان لها أثر كبير فى النظم المملوكية وذلك فى قول المقريزى « ثم كثرت الوافدية أيام الملك الظاهر بيبرس فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول وانتشرت عاداتهم وطوائفهم (٧)، وعلى هذا الأساس تكون الجيش المملوكى من عدة جنسيات يقودهم قائد منهم عرف بأتابك العسكر وكلمة آتابك معناها « الأمير الأب » كما وصفها القلقشندى والتى صارت تعنى فى ذلك الوقت قائد الجيش على اعتبار أنه أبو العسكر ٠ ان هذا المعنى يتفق وطابع دولة المماليك التى اعتمدت فى المقام الأول على العلاقة بين الأستاذ ومماليكه ٠

★ ★ ★

وكانت دولة المماليك تولى النشأة والتعليم للمماليكها أهمية كبرى بسبب دورهم الحربى الهام الذى قامت به فى الدولة المملوكية البحرية ، وان لم تقدم لنا المصادر التاريخية عن أسلوب التعليم المملوكى كثيرا (٤) فلقد اتصفت تربيتهم ونشأتهم العسكرية الأولى بكثير من المعالم المميزة حيث كان التاجر اذا قدم بالمماليك الى القاهرة قام بعرضهم على السلطان ، فاذا اشترى السلطان عددا من المماليك أرسلهم أولا لفحصهم للتأكد من سلامة أجسامهم قبل أن يسمح لهم بالاختلاط مع المماليك السابقين ، حتى اذا ثبت أنهم فى صحة جيدة أنزل منهم طبقة جنسه وتقارب موطنه ، بحيث لا تجمع الطبقة الواحدة سوى المماليك وذوى

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٩٧ ٠
(٢) نفسه ، نفس المصدر ، ١٩٧ ٠
(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢٢١ ٠
(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ٠
(٥) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٤١٣ ٠
(٦) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١ ٠
(٧) نفسه ، الخطط ، ٢ ص ٢٢١ ٠

الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد ليتلقوا التعليم الدينى والحربى ، ويتسلمه المقدم على الطبقة برسم كتابه أى برسم تعليمه القراءة والكتابة ومايتبع ذلك من حفظ القرآن الكريم والالمام بالسنة الشريفة فعندما ينزل المملوك على بنى جنسه ينسلمه الطواشى (١) المقدم على الطبقة وهؤلاء الطواشيه « الخصيان » وهم المسئولون عن تربية المماليك وفى بعض الأحيان يسمون (الأغا) (٢) وجمعه أغاوات فاذا حدث من أحد المماليك ما يسىء الأخلاق استدعى السلطان الأغا وكلفه بمعاقبته ، وكذلك تمتع الطواشى فى المجتمع المملوكى بمكانة عالية لاحترام المماليك له ، بحيث لا يجرؤ أحدهم أن يمر من بين يديه كائنا من كان (٣) وكذلك كان لكل طباق فقيه أو مؤدب فقيه أو مؤدب (٤) يتردد عليهم لتعليمهم القرآن والخط وأحكام الدين وآداب الشريعة بالاضافة الى العلوم الأخرى ويعودهم على التمسك بالدين وملازمة الصلوات والأذكار ، حيث كان

---

(١) الطواشى ، كلمة تستعمل تدل على كلمة خصى ويقول المقريزى أنها تركية واصلها « طواشى » ومن الواضح أن اشارة المقريزى هذه يقصد بها « تاووجى » فى تركيا العثمانية ومعناها « خادم » ومن ثم فان الكلمة طرأ عليها التغيير فى المعنى وطرأ عليها كلمة خادم وهى لا تشير الى الخاصية التى يعرف بها الخصى من حيث وظائف الأعضاء ، بل تشير الى الخادم بعينه وهو عامل من عمال الدولة يشغل وظيفة محددة جرت العادة بأن يتولاها خصى ، ولذلك نجد هذه الكلمة مستعملة فى لغة الادارة المصرية حيث تدل على رتبة حربية فى الحرس « خواصى » ولا تستعمل كلمة خادم معها أبدا .

أنظر : دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ، مجلد واحد ، طبعة وزاره التربية والتعليم ، ص ٣١٦ ؛

أنظر : ماجد ، نظم ، ص ١٦ ،

Ency : Art Tauâshi (14. P. 740);

المقريزى ، خطط ، ٣ ص ٣٤٧ ؛

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ، وأفاد معناها « الأب الأمير » .

(٢) أغا معناها فى اللغة التركية الشرقية الأخ الكبير وعند قبيلة « آكا » معناها « الأب » وليس لها معان أخرى فى اللهجات التركية .

Inscriptions de l'orkhon d'ickifrees-v (Thomson) p. 98.

ومعنى أغا التركية العثمانيه الرئيس أو الشيخ أو السيد وعمل هذا اللقب من صف الضباط الى رتبة نقيب وكذلك يطلق لقب أغا على خصيان قصر السلطان وكان يمنح فيما سبق للضباط العظام وكان أغاوات القصر ينقسمون الى سود يطلق عليهم « قرة أغالد » والبعض يطلق عليهم « آق أغالد » وكان رئيس الأغاوات البيض يسمى « قبوآغا » وكان غالبا قائدا للجيش أنظر : دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ، المجلد ١٧ طبعة دار الشعب ص ٥٤٤ ؛

أنظر : ماجد ، نظم ، ١ ص ١٦ .

(٣) أبو المحاسن ، النجوم ، ٨ ص ٢٨٨ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٣٣٩ ؛

أنظر : ماجد ، نظم الفاطميين ، ١ ص ١٩٨ ؛

نفسه ، نظم المماليك ، ١ ص ١٦ .

التصوف منتشرا بين المماليك حديثى الاسلام وكذلك خدام الطباق أو الطواشى أو الأغا (١) الذين يشرفون على تربيتهم ٠

واهتم السلاطين بالاشراف على مماليكهم اشرافا مباشرا فراقبوا حركاتهم وسكناتهم وعاقبوا الخارج على الآداب عقوبة صارمة (٢) وكثيرا ما ذهب أحد السلاطين بنفسه الى طباق المماليك ليفاجئهم بالزيارة أو يتفقد أحوالهم ، ولقد كان الاشراف العام على الطباق لشخص يسمى مقدم الطباق يسند اليه معاقبة غير الطائعين ، وكان له هيبة قوية على المماليك وان كان الاشراف العام على الأطباق للأمير ، وكان الأمير من الأمراء المماليك ، وهو مقدم المماليك وكان له نائبه حيث يعتبر مقدم الطباق مسئول أمامه (٣) ٠ وكان عليهم أن يذهبوا الى الحمام يوما فى الأسبوع وكان لتعليم المماليك فى الطباق نظام دقيق مرتب فليس لهم أن يخرجوا من الطباق اطلاقا لا سيما ليلا ٠ وكانوا يأكلون اللحم والأطعمة والفواكه والحلوى والفول المسلوف وغير ذلك ٠ ويتسلمون كسوات (٤) فاخرة ، ومع ذلك فلقد كان لهم مرتب ضئيل بين ثلاثة الى عشرة دنانير فى الشهر ويظهر من هذا ان السلاطين لم يضنوا على مماليكهم بالأرزاق والأموال بل نظروا اليهم نظرة أبوه مشبعة بالحنان والعطف ٠

أما طباق المماليك فكانت بساحة الايوان بالقلعة واشتملت كل طبقة منها على عدة مساكن قد يصل اتساعها الى ألف مملوك ، وتذكر المصادر التاريخية ان الظاهر بيبرس بنى القلعة طبقتين تطلان على رحبة الجامع كما انشأ برج الزاوية المباشر لباب القلعة وشيد بجواره طبقة المماليك (٥) ولكن السلطان محمد بن قلاوون ما لبث أن أمر بهدم ما يقع بين الطبقتين من مبان لكى يجمع فيها فئات المماليك السلطانية (٦) ٠

---

(١) ماجد ، نظم المماليك ، ص ٥٧

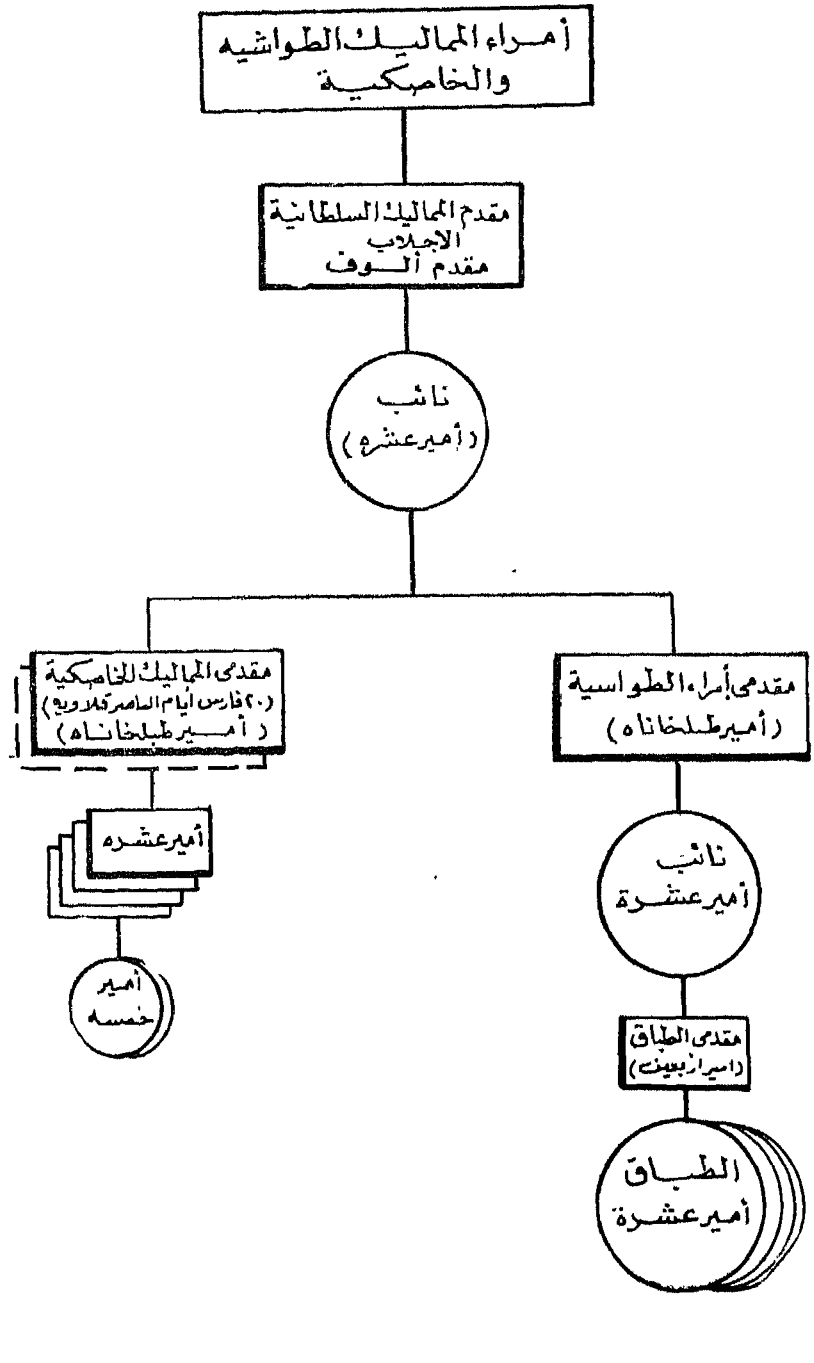
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٤ ؛
بيبرس دودار ، زبده ، ص ١٢٢ ؛
المقريزى ، حوادث ، ص ٨٣ ٠

(٣) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٦ ؛
زبده ، ص ١٢٢ ؛
حوادث ، ص ٨٣ ٠

(٤) أبو المحاسن ، النجوم ، ص ٥٠٩ ٠

(٥) نفسه ، حوادث ، ص ٢٤٠ ، ٣٣٥ ٠
ابن شاهين ، زبده ، ص ٥٧ ٠

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٥١ ٠


أمـراء المماليـك الطواشيه
والخاصكيـة
مقدم المماليك السلطانية
الاجلاب
مقدم ألــوف
نائب
(أميرعشره)
مقدمى المماليك للخاصكية
(٢٠ فارس أيام الناصر قلاوون)
(أمـــير طبلخانـاه)
مقدمى أمراء الطواسية
(أميرطبلخاناه)
أميرعشره
نائب
أميرعشـرة
أمير
خمسه
مقدمى الطباق
(امير اربعين)
الطبـاق
أميرعشرة

والواقعَ أن الطواشية كانوا هم المسئولون تماما عن تربية المماليك وهنا يجب ألا نخلط بينهم وبين الخصيان ، وبالرغم من أنه كان يطلق عليهم نفس الاسم ، وعرفت طائفة الطواسية فى عصر السلاطين الأيوبيين ، اشتركوا فى الحملات والاستحكامات العسكرية ، وذكرهم ابن مماتى فى كتابه قوانين الدواوين أنهم من بين المسئولين لوحدات الجيش الأيوبى (١) • ويمكننا هنا تحديد أن الخصيان كانوا مسئولين عن تطبيق النظم المحددة حتى النواحى الصحية أى أنهم يعتبرون الضباط والاداريين أو أركان حرب الوحدة فى الوقت الحالى ، أما الطواشية فهم مسئولون عن الاشراف على التدريب (٢) طوال فترة تدريبهم أثناء الدراسة والتدريب فى الطباق •

ولقد كانت الدراسة فى الطباق (٣) أربعة أو خمسة عشر شهرا وان كانت تمتد فى بعض الأحيان الى عدة سنين ، فاذا انتهت الدراسة اعتق المملوك ، ويكون الاعتاق بالجملة ، ويقام له احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء وذلك بناء على شهادة نسمى اعتاق أو عتاقة (٤) فيسلم المملوك سلاحا وفرسا ولباسا خاصا « قماشا » واقطاعا يبقى له طوال حياته ، وحينئذ يسمى عتيقا أو معتوقا وجمعها معانيق (٥) أو معتق باسم أستاذه (٦) أما رفاقه فكانوا يعرفون فى ذلك الوقت باسم خشداشيه ومفردها خشداش (٧) وهى ما تعرف باسم الدفعة حاليا • وكان من المعروف لدينا ان المماليك عاشوا فى فى مصر طبقة منفصلة عما حولهم واحتفظوا بشخصيتهم ولم يختلطوا بأى عنصر من عناصر السكان (٨) • وكذلك لم يسمحوا لأهالى مصر وسكانها بالانخراط فى صفوفهم حتى أنهم لم يندمجو اجتماعيا بسكان مصر ولم يتزوجوا منهم الا فيما ندر ، ولقد اقتصرت الجندية عليهم فقط وذهبوا الى مدى أبعد من ذلك ، حيث منعوا المصريين مهما عظم شأنهم أو كانت مكانتهم من الانخراط فى الجيش كجند محاربين وكانوا

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٥٧

(٢) وهم يعسرون ضباط العمليات والتدريب فى وفتنا هذا •

(٣) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٥٦ ؛

أبو المحاسن ، النجوم ، ص ٦ ، ١٢ ؛

David Aylon : studies of structure of the mamluk Army, II B.O.S.A. V15 (1953) p. 465.

(٥) أبو المحاسن ، النجوم ، ص ٥٠٩ •

(٤) نفسه ، حوادث ، ص ٢٤٠ ، ٣٣٥ •

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٥١ ؛

أبو المحاسن ، حوادث ، ص ٧٢٠ •

(٧) ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٨ •

(٨) المقريزى ، السلوك ، ص ٣٨٨ ، ٢٩٩ ؛

أنظر • ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٧ •

يقصرونهم على الأعمال الكتابية (١) أو الادارية أو الوحدات المساعدة للوحدات المقاتلة وأن نغير ذلك فيما بعد ، ولا سيما فى معارك المصير كما سنذكر فيما بعد مثل معركة عين جالوت ٠

ومع ذلك كان فى بعض الأحيان يأخذ المصريين ويضمهم الى مماليكه حيث يمكن أن يكــون أهلهــم باعوهم اليه من شـــدة الجوع ، وكانوا يسمون أولاد الناس وأن كان من المعروف لدينا أن المماليك عاشوا فى مصر طائفة منفصلة عما حولهم واحتفظوابشخصيتهم ولم يختلطوا بأى عنصر من عناصر السكان (٢) ٠

★ ★ ★

أما عن التدريب القتالى فلقد كان الجيش المملوكى يعتمد على الفروسية التى كانت الأســـاس للفن الحربى فى ذلــك الحين ، حيث تمثل خفة الحركة والمرونة والقوة الضاربة ٠ وكان تعليم المملوك الفروسية يتم فى الطباق ، ويذكر ابن قيم الجوزية (٣) ت ٧٥١/١٣٥١ ، ان عمــاد الفروسية أربعة أشياء وأكد ذلك من قبله نجم الدين حسن الرماح المعروف بالأحدب ت ٦٩٥/١٢٩٥ ـ ١٢٩٦ فى كتاب الفروسية (٤) الأول ركوب الخيـــل والكر والفر ، والثانى الرمى بالقوس ، والثالث الطعن بالرماح ، والرابع الضرب بالسيف ، ومن استكمل تلك الأحوال فقد استكمل الفروسية وهى فعلا نفس المراحل التى كان يتم بها تدريب المملوك الى أن يصل فارسا (٥) ٠

وعند تدريب المملوك على ركوب الخيل يبدأ بأن يقيم المعلم تمثالا لظهر الخيل من الطين أو الصخر أو الخشب ، ويعلمهم كيفية الركوب والجلوس وهو درس « الجلسة الصحيحة » (وهو يمثل تدريب التمثيل بالتفسير فى القوات المسلحة حاليا) ثم يكلف أحدهم بالوقوف أمام هذا التمثال ، ويقوم هذا المملوك الذى تحت التدريب بتكرار ما قام به المعلم والذى يبدى الأخير ملاحظاته حتى يتقن المملوك الركوب والجلسة الصحيحة ، وذلك بمراقبة باقى المماليك الذين تحت التدريب ، ثم يكرر ما فعله الأستاذ مع باقى جماعة المماليك (المجموعة التى تحت التدريب) حتى يضمن المعلم أن الجميع قد أتقنوا تماما كيفية ركوب

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٢٠ ٠

(٢) المقريزى ، السلوك ، ص ٣٨٨ ، ٢٩٩ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٧ ٠

(٣) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٢١ ، تحقيق عزت العطار ، القاهرة ١٤٩٢ ٠

(٤) حسن الرماح ، الفروسية ، مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٣٨ فنون حربية ٠

(٥) حاتم مزار بك ، كتاب الكمال فى الفروسية وآداب العمل بذلك ، مخطوط ميكروفيلم ، ورقة ٢ وما بعدها ، مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٤٦ فنون حربية ٠

الخيل والجلسة الصحيحة فى ذلك · وفى **الخطوة الثانية** يضع المعلم سرجا على ظهر التمثال ويدرب المماليك كيفية الركوب عليه خاصة بعد حملهم السلاح ومعدات الحرب والقتال فان اطمئن المعلم الى اجادة ممالبكه لذلك بدأ تعليمهم الضرب بالقوس فى حالتى الكر والفر مع اختياره نوعية هادئة ومطيعة من الخيل وبالأخص فى بدء تدريبه لمماليكه على الكر والفر ثم يندرج بهم فى التدريب حتى يستطيع الجميع السيطرة على أكثر الخيول شراسة (١)

وبجانب ذلك كان يشترط فى الفارس أن يكون على علم تام بأخلاق الدواب والأمراض التى يمكن أن تصيبها وأسبابها وطرق علاجها علاجا سليما (٢) ، وهى ما كانت نعطى فى صورة محاضرات · أما عن تعليم وندريب المماليك على الرمى **وهى المرحلة الثالثة** من الندريب على الفروسية ، وكان المعلم يحضر قوسين لسهمين فيأخذ أحدهما ويعطى الآخر للملوك ، ثم يعلمه كيف يأخذ القوس وكيفبة التدريب على حمله (طريقة التمثيل بالتفسير) هذا تحت مراقبة باقى مجموعة المماليك التى تحت التدريب (٣) ·

فاذا أتقن المملوك ذلك ، عقد الأستاذ على الوتر من غير سهم يتبعه فى ذلك التلميذ ، ويطلق الوتر فاذا أتقن المملوك ذلك يأخذ الأستاذ فى التعليم طرق انطلاق السهم بدون ريشة ، وذلك فى خمسة أقواس متدرجة الليونة فاذا أتقن المملوك الرمى فانه يرمى من (قلب القوس) على غير هدف ، حيث يخرج الى الصحراء ويرمى فى الفضاء وعلى غير هدف كذلك ، وهو بذلك ينظر الى مسيرتها فى الهواء فان رآها صحيحة غير مضطربة رجع الى أستاذه ليدربه على رمى الأهداف منفردا ثم مشتركا مع غيره من المماليك ، وذلك حتى يستفيدوا من رميهم ويتجنبوا الأخطاء التى أدت الى فشل بعضهم فى اصابة الهدف ·

ثم تأتى فى **مرحلة متقدمة** من التدريب على الرمى وهو الرمى بالقوس التى يكون من الصعود الى الهبوط والعكس ، ثم الرمى على الأهداف الثابتة وهو متحرك يليها الأهداف المتحركة وهو ثابت ، والعكس حتى يصل الى الرمى على الأهداف المتحركة وهو متحرك فى الاتجاه المضاد ، الى أن تدخل بعد ذلك المسافات القصيرة والطويلة ، الى أن ينتهى من التدريب على الرمى على الحصون

---

(١) ابن قيم الجوزيه ، الفروسية ، ص ٨ ؛
ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ؛
تحقيق عبد الغنى ، القاهرة ١٩٦٩ ·

(٢) ابن قيم الجورية ، العروسية ، ص ١٠٢ ·

(٣) ابن سيدة ، المخصص ، ٦ ص ٥٣ ، ٥٤ ؛
ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ٣١ ·

والقلاع والمراكب فى البحر (١) . ولقد كان على الرامى أن يكون على علم بالقسى وأنواعهـا والأوتار وأصنافهـا وما يلحق بها من أعطال الـتدريب على كيفية اصلاحها (٢) ، ويدرب كذلك على اصلاح كل عطب بها على مختلف أشكاله وأنواعه وهو أرقى أنواع التدريب فى وقتنا الحالى مع اختلاف السلاح أو المعدة .

ولقد كان تعليم المملوك استخدام الرمح من أهم الفنون للحرب وهى نعتبر **المرحلة الرابعة** فى تدريب الفارس ، ونهاية المطاف فى تدريبه على اتقانهـا ، ايمانا بأنه لا تحسن صفات الفارس وتتم الا بالعمل بالرمح أو كما قيل وهو من الفروسية كالرأس على البدن (٣) ولقد كان معلمى الرمح يعلمون المماليك طرق العمل بالرمح راجلين ، واذا ما اتقنوا ذلك نعلموه راكبين (٤) .

وسبيل المدرب الى ذلك أن يعلم كل مملوك كيفية امساك الرمح ودخوله من تحت الابط الأيمن على أن يقف معتدل القامة ويجعل طرف أسـنان الرمح فى ابهامه اليسرى ويجعله على سـاعده ثم يعمل البنود (التدريبات) التى دربه عليها أستاذه (٥) أما أسـلوب تعليـم المماليك للرمح راكبين فيبدأ بتدريب الفارس على أخذ رمحه بيمينه وعنان فرسه بشـماله مع دنوه للسرج ، ويضع الحديدةالتى أسفل الرمح بالأرض ، ويبتعد عنه قليلا ثم يصدر قدمه اليسرى فى ركابه اليسرى ، ويعتمد على الرمح وينهض ليسوى قاعدة الظهر فى وسط السرج ثم يأخذ فى تسوية ثيابه بيمينه (٦) عند الخروج للتدريب فى المناورات ، يبدأ المملوك فى تسيير فرسه فى دوائر الميدان ، فيسير أولا فى الدائرة الواسعة ثم يتدرج فى الدخول الى الدوائر الضيقة ، وهذه العملية تحتاج من الفارس ، وفرسه الى تدريب طويل وشاق ، كما يحتاج الى فرس قوى ومطيع وحسن

---

(١) ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ؛
تحقيق عبد الغنى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣١ ؛
ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ١٩٨٠ ؛
ابن سيده ، المخصص ، ٦ ص ٥٣ ، ٥٤ .
(٢) طيبغا اليونانى ، بغية الرامى ، وغاية المرامى (فى الرمى بالقوس والنشاب والبندقية ورقة ٤٨ مخطوط رقم ٥ فنون حربية بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛
ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، ورقة ١٢ ـ ١٣ ؛
ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ١٦ .
(٣) ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، ورقة ١٢ ـ ١٣ ؛
ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ١٦ .
(٤) ابن منكلى ، الأحكام المملوكية ، مخطوط ، ورقة ٣٢ .
(٥) طيبغا ، الجهاد ـ الفروسية ، ورقة ٢٢ وما بعدها ؛
ابن سيده ، المخصص ، ٦ ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(٦) ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، مخطوط ، ورقة ٥٤ ؛ الطبرى ، الجهاد والفروسـية ص ٦٩ .

الحلق ، فاذا أتقن المملوك ذلك الدوران دربه أستاذه على طرق الكر والفر بيمينه ويساره وكيفية مواجهة الخصوم والاقران لابطال طعنانهم وذلك بعد معرفته بشروط الطعن الصحيح والأماكن القاتلة وكنيتها (٢) ·

ويبدأ **تعليم الضرب بالسيف** بعد شرح المعلم ويقوم بجلب طين ناعم ، ثم يحمى النار عليه عدة أيام ثم يقوم بعجنه ويقيم منه حائطا وعلى المملوك أن يضرب في أول يوم خمسة وعشرين ضربة وفي اليوم الثانى خمسين ضربة دفعة واحدة وهكذا وبنفس النسبة حتى يضرب ألف ضربة دفعة واحدة (٢) وتتبع ذلك المرحلة محاولة قطع اللباد فوق ذلك الحائط ، فيقطع المبتدىء ذلك اللباد طبقة بعد الأخرى ، وتزداد عدد الطبقات من اللباد يوما بعد يوم حتى تصل عدد الطبقات الى مائة طبقة وهو بكامل هيئة اللبس الميدانى ·

فاذا فعل المملوك ذلك انتقل الى قطع الورق بالسيف على المخدة ، وذلك بأن يقوم المملوك بوضع ورقة على المخدة ويأخذ فى ضربها ، ثم يأخذ عشرين طبقة من الورق ؛ ثم يأخذ صفيحة ويكسوها بهذا الورق ويأخذ فى ضربها حتى تتقطع طباق الورق ويصل الى الصفيحة (٣) · واذا ما اطمئن المعلم الى مستوى المماليك نقلهم الى العمل بالسيف على الخيول ، ولكى يتدرب المملوك على ذلك يشرع ، فى نصب عود من القصب الرطب ثم يبتعد عنه ويجعله عن يمينه ، ثم يجرى بفرسه بسرعة فاذا حاذى هذا العود ضرب بسيفه ما يوازى منكبه ويكرر ذلك عدة مرات حتى يبقى منه طول ذراع ، ثم يعيد المملوك نفس التدريب فاذا ما أتقن وضع خمس نشابات عن يساره ليضربها بسيفه ثم خمس أخرى عن يمينه ويقوم بطعنها بيمينه ويساره (٤) وأخيرا يشرع المعلم فى تدريب الفرسان على العمل بالسيفين معا ، ثم تدريبهم أيضا على طرق الضرب بالسيف مع غيره من الأسلحة الأخرى (٥) وهنا يصبح المملوك مقاتلا أى جاهزا للقتال وان كان ينقصه خبرة القتال · ولكنه يكون قد اكتسب المهارات القتالية تلقائيا ·

وكان المماليك المتخرجون يقسمون أقساما ، لكل جماعة منهم باش أو نقيب ، أما الذين يصلون الى الامارة وهى مرتبة تهيىء للوظائف الكبرى الحاكمة فى البلاط والجيش ، أو حتى للسلطنة نفسها وكان المفروض أن المملوك لا يحصل

---

(١) المقريزى ، السلوك ٣/١ ص ٨٨٦ (حوادث ٦٩٩ هـ) ·

(٢) وهو ما يسمى فى الوقت الحالى ، التدريب بزيادة الدفعات ، وهى أحدث نظرية فى التدريب الحديث ·

(٣) بكتوت الرماح ، ت ١٣١١/٧١١ ، نهاية السؤال والأمنية فى التعليم أعمال الفروسية مخطوط بالمكتبة الأهلية برقم ٢٨٢٨ ·

(٤) الحمدى ، اللفحات السبكية ، ص ٦٩ ·

(٥) مجهول ، خزانة السلاح ، المخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٢٠ فنون حربية ؛ كتاب الخيول والفروسية ·

على الامارة الا بعد أن ينتقل من مرتبة لأخرى فلا يليها الا وقد تهذبت أخلاقه وصبغت آدابه بروح الاسلام وبرع في فنون القتال ، ومع ذلك كان منهم من كان بعد ذلك لكثرة علمه في مرتبة فقيه أو أديب أو حاسب .

★ ★ ★

أما بشأن الأسلحة التي استعملها المماليك في القتال والتدريب فقد كان أهمها السيف ، ولقد استعمله المماليك كما استعملته الأمم الأخرى واتخذوا منها الطويل والقصير ، والعريض والرقيق وكانوا يعلقونه في الجنب كما كان متبعا في عهد الدولة الأيوبية (١) . كذلك استعمل المماليك الخنجر ، والطبر والبلطة والفأس في حروبهم فالخنجر آلة تشبه السكين الكبير المنحنية أو المستقيمة ، ولقد عرفت أيضا بالنمشاه أو ما يسمى أيضا النمجاة أو النمجة (٢) والطبر جمعها أطبار (٣) وهو لفظ فارسي معناها الفأس وجملة الأطبار بمثابة الحرس الخاص للسلطان ، يلازمه في الاحتفالات والمواكب ويسمون بالطبرداريه ، ويرأسهم أحد أمراء العشرة ويسمى امبرطر ، (٤) والطبر أو الطبرزين هو سلاح يشبه الفأس أو البلطة برأس نصف مستدير يركب في قضيب من الحديد أو الخشب المتين ، والبلطة تختلف عن الفأس في أن امتداد سلاح البلطة مع يدها . أما الفأس فامتداد سلاحها يتعارض مع يدها ، وكانت تستعمل في قطع الأخشاب ، وتمهيد الطرق أمام الجيوش حينما تكثر الأشجار ، أما الرمح والذي يعتبر من أهم الأسلحة ، ايمانا منهم بأنه لا يحسن الفارس ويتكامل الا بعمل الرمح وكما

---

(١) كان السيف الاسلامي يصنع من الحديد ويطلق عليه « سيف أنيس » أو « صلب سيف فولاذ » وكان مستقيما كالسيف العربي القديم المصنوع من الحديد ، وله حد من الصلب ، كما برهنت عليه بوفرة الرسوم المعاصرة وخاصة في الرنوك حيث نجد السيف المستقيم مستخدما طوال العصر المملوكي البحري وحتى نهاية القرن الرابع عشر . وظل السيف القديم المستقيم هو المستخدم طوال العصر المملوكي في أثناء الاحتفالات الرسمية حتى نهاية العصر وقد اشتهر باسم « بداوى » وكان يحمل دائما أثناء مواكب السلاطين والخلفاء . ولكن السيوف المقوسة الطرف Sabre ظهرت في عصر المماليك البحرية . ويوجد دليل على وجود هذا النوع من السيوف المقوسة الطرف Sabre « حسام » والسيوف المقوسة الحد « أحدب » Skimter منذ أواخر القرن الثالث عشر . وكان مقبض هذه السيوف بسيط الشكل ، وهو مقبض يمتاز في الغالب برمانة مرتفعة لها عروتان .

أنظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٢/١٣٣ .

(٢) ابن اياس ، النجوم ، ٢ ص ٢٧٣ ؛

Dozy : Supple, 2 p. 724.

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٨ — ٤٦٢ ؛

بكتوت الرماح ، نهاية السؤال ، ص ١٨/١٩ ؛

أنظر : ماجد ، نظم السلاطين ، ١ ص ١٦٨ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ١٢ ؛

ابن هزيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ٣ ؛

ابن سيدة ، المخصص ، ٦ ص ٥٣/٥٤ .

قيل أنه من الفروسية كالرأس على البدن ، أما الدبوس وجمعه دبابيس (١) وهو عمود حديد له رأس مقوسة ذات أضلاع ، وهو آله من آلات الحرب فى العصور الوسـطى تشبه الابرة وكانت تصنع من عود طوله حوالى قدمين من الخشب الغليظ فى أحد طرفيه رأس من الحديد قطرها ثلاث بوصات تقريبا (٢) .

وكان المماليك يستعملون فى حربهم القوس والنشاب (٤) والمقلاع أيضا ، فالقوس (٣) قضيب من الخشب شد طرفاه بخيط أقصر من القضيب فيقوسه والسهم قطعة مدببة من الحديد ذات نصول مثلثة الأركان ، والنركاس جمعها تراكيس أو تراكيش (٥) نوضع فيها النشاب ، والمقلاع عبارة عن كفة من الجلد أو القماش ، اما بيضاوية أو مستديرة لها طرفان فى الأول أو ثلاثة فى الثانية وتربط من طرف فى الكفة ويترك الثانى مرسلا ، وطريقة استعماله هى ان يجعل لكل حبل عروة عدا حبل واحد يظل متروكا ويمسك بالأصابع فتصير الكفة معلقة ثم يلقى طرف الحبل من الأصبع فينطلق الحجر (٦) ومع ذلك لم يفت المماليك كثرة استعمال النشاب فى حروبهم .

وهناك أدوات حربية استعان بها المماليك فى حروبهم ضد الصليبيين والنار ، منها المنجنيق جمعه مجانيق أو منجنيقات بنوعيها الصغار والكبار ، وهى آلات قاذفة على الأعداء من مساحات مختلفة الابعاد طبقا لأشكال وأنواع المجانيق ويتركب المنجنيق من ثمان وعشرين قطعة من الخشب يعمل منها قاعدة وفوقها القائمين على الجانبين ، وينصل هذان القائمان بعرضه ؛ ثم يركب على هـذه العرضة سهم يراعى فى وضعه عليهأ أن يكون أحد طرفيه قصيرا والآخر طويلا ،

(١) طيبغا اليونانى ، بغية الرامى وعاية المرامى ، ص ٤٨ ؛
ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، ق ١٣/١٢ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٣٥ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ١٦٨ ؛
Dozy : Supple, 1 p. 483.

(٣) ابن اياس ، النجوم ، ٣ ص ٩ ؛
المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ٨٨٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٢٨ ؛
Dozy : Supple, Dict. 1, p. 20.

(٤) ابن اياس ، النجوم ، ٣ ص ٩ ،
المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ٨٨٦ .

(٥) طيبغا الأشرفى ، عنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب ، ق ٤ ؛
ابن منكلى ، الأحكام المملوكية ، ق ٥٠ .

(٦) ابن أرنبغا ، الأنيق فى المنجنيق ، ق ٣٨/٣٧ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٧ .

ونقفل الجهة الطويلة ويركب الكفه التى يوضع عليها الحجر المعد للقذف بعد أن يحدب حتى - يجعل عاليه الدفع وعندئذ يخلى السهم فينطلق نحو الهدف (١) ٠

وكانت المجانيق تحمل على الابل بعد فصل أجزائها بعضها عن بعض ثم تركب عند الحصار (٢) ولدينا وصف منجنيق قد حمل على مائه عجلة ، حتى سمى بالمنصورى (٣) ولم يكن يرمى من المنجنيق الأحجار فقط ، بل كان يقذف منه حديد وقدر فخارية أو زجاجات تملأ بالنفط والزرنيخ والأفيون وترمى على الأعداء فيقوم مقام الغازات الخانقة (٢) ومن هـــذه القذائف ما يرمى باليد كالقوارير المصنوعة من الزجاج التى تملأ بالنفط والصبر وبذور القرطم المقشور فاذا أريد القاؤها تشعل ثم ترمى بواسطة سلسلة فاذا انكسرت على شيء اشتعلت النار فيه ومن الطريف حقا أنه فى الأوساط العسكرية ، ان هذه القوارير لم تعرف الا حديثا جدا أى بعد الحرب العالمية الأولى وهى ما تسمى بالزجاجات « ملتوف » وهى أسهل وأسرع وسيلة لمقاومة الدبابات فى العصر الحديث ٠ وكانت تستخدم فى العصر المملوكى بأسلوب أكثر تطورا باضافة الصبر والقرطم المقشور ٠ وكذلك وجدت فى هذا العصر أيضا الجرخ (٥) وجمعها جروخ وهى آلة حربيـــة لرمى السهام والنفط والحجارة ويقال لمستخدميها من الجند جرخى (٦) وهو ما يصح أن نطلق عليه السهم النارى ٠

وكانت هذه الأسلحة على اختلاف أنواعها تحفظ فى دار أطلق عليها اسم الزردخاناه أو السلاح خاناه ومعناه بيت الســـلاح (٧) أو حواصل الذخيرة ، وتحتوى هـــذه الدار على مختلف أنواع الأسلحة كالســيوف والقسى العربية والنشاب والدروع المتخذة من الزرد ، ويحمل اليها كل عام ما يصنع من الأسلحة

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم ، ٦ ص ٢٥٦ ٠
(٢) أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، ٤ ص ٢٥/٢٦ ؛
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٩ ٠
(٣) ابن اردبغا ، الأنيق فى المنجنيق ، ص ٩٠/٩١ ؛
نفسه ، نفس المصدر ، ص ١٠٣ ؛
أنظر : زيدان ، تاريخ المدن الاسلامية ، ١ ص ١٤١/١٤٢ ٠
(٤) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ١٠٣ ٠
(٥) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٠٦ ٠
(٦) ابن اياس ، الخطط ، ١ ص ٣٠٢ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٧٣ ، ٤ ص ١١/١٢ ، ٤ ص ١١/١٣ ٠
أنظر : ماجد ، نظم سطبن ، ١ ص ١٦٦ ٠
(٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١١ ، ٥ ص ٤٥٦ ـ ٤١٢ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٦١ ؛
خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٢ ؛
الخالدى ، المقصد ، ورقة ١٣٢ ؛
Ency : (Art — Silahdan) T. 4 p. 442.

من مختلف الجهات محمولا على ظهور الجمال ويحمل الى القلعة ويكون فى يوم معلوم ، ولقد أفرد لهذه الدار فى قلعة الجبل عدة قاعات خصص كل منها لنوع معين من هذه الاسلحة ٠

وكان لكل أمير من الأمراء زردخاناه خاصة به وبجنوده ، ولكنها لم تكن مثل زردخاناه القلعة ، بل كانت صورة مصغيرة منها (١) ويرأس هذه الدار أمير من أمراء المئين ويطلق عليه اسم « أمير السلاح » يعاونه جماعة من الموظفين عرفوا باسم السلاح دار (٢) ويشتغل فيها جماعة من الصناع يختص كل منهم لنوع معين من أنواع السلاح ويعهد اليه بأمر صنعه ومهمته اصلاحه اذا أصابه تلف ويطلق على كل منهم اسم الزردكاش (٣) وهو لفظ أعجمى معناه حامل السلاح ، وكانوا يعملون فى الزردخاناه (٤) باستمرار سواء كانت البلاد فى حالة حرب أو حالة سلم (٥) ٠ وكان **أمير السلاح** يلي أتابك العسكر فى المرتبة أحيانا ٠ مما يدل على مكانته حتى كان السلطان يلقبه بالأخ (٦) ٠ ونجد أن أمير السلاح كان تحت يده جملة موظفين منهم **ناظر خزانة سلاح (٧) والمباشرون (٨)** وشاد (٩) وهو ما يعرف باسم شاد الزردخاناه وقد أوضح الخالدى اختصاصات هذا الموظف اذ يقول : أنه هو المتحدث على استعمال آلات الحرب والمخاطب للملك عن المقصود ، ويستدعى الأصناف من جهاتها سواء من مصر أو من الشام ، وله الأمر على الصناع للبارودية وصناع الزردخاناه والفولاذية ونحوهم مما يعني الاشراف أيضا على صناع كل صنف من السلاح ما يعملون باستمرار على انتاجه واصلاحه (١٠) ٠ وقد كان اذا صنع السلاح حمله الحمالون على رؤوسهم ويزف فى القلعة فى يوم مشهود (١١) ٠

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم ، ٧ ص ١٨٤/١٨٥ ٠

(٢) القلقشندى صبح الأعشى ، ٤ ص ١٢ ٠

(٣) أنظر Dozy : Supply. Dict. A. 2.

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٦٢ ــ ٥١٢ ٠

(٥) نفسه ، نفس المصدر ، ٧ ص ٤٦٢ ٠

(٦) الخالدى ، المقصد ، ورقة ١٣٢ ؛

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١١ ؛

المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٦١ ٠

(٧) الخالدى ، المقصد ، ق ١٣٣ ،

أنظر : Lame-pool ; The art of the saracens :

(٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ١٠ ٠

(٩) الخالدى ، المقصد ، ق ١٢٨ ٠

(١٠) خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ، ص ١٢٢ ٠

(١١) ابن اياس ، خطط ، ١ ص ٧ ؛

Dozy : Supple, 2 p. 94.

ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٧ ٠

ويبدو أن خزائن السلاح كانت توجد فى أماكن أخرى غير القاهرة ، مثل قصر السلاح فى الاسكندرية (١) . وكانت تلك الوظيفة من الوظائف الكبرى فى عهد الخلفاء العباسيين الذين أخذوها عن الدولة الساسانية (٢) .

★ ★ ★

أما عن ملابس القتال أو ما يعرف باسم الهيئة الميدانية حاليا فلقد كان اذا دعى الجنود الى القتال لبسوا ملابس الحرب (٣) وهى بخلاف الملابس العادية للجنود فى الأوقات العادية مثل الخدمة والاستعراض وخلافه ، على أن أهم ما يسترعى النظر فى عهد المماليك البحرية ، تلك العناية الفائقة بالملابس ، التى كانت تحاط وتزين بجوانب بواسطة الخياطين الرسميين والخلعيين الذين يصنعون الخلع الملوكية . وقد نهض المماليك بصناعة المنسوجات التى كانوا يصنعون منها ملابسهم ، حتى كان للمصريين عالمية فى هذا المضمار ، وكذلك كان المماليك يستعملون الفراء وكان لها سوق عرفت بسوق الفرائين (٤) يسكن فيها صناع الفراء وتجاره عرفت باسمهم .

وكان يوجد فى سوق الجمالين الصغير بالقاهرة كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان ، وأصناف ثياب القطن ، وبه عدد من الخياطين والرفائين . وكانت سوق أمير الجيوش فى عصر المماليك أكبر أسواق القاهرة ، بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحياكون والرسامون (أى حوانيت النطريز) ويباع فى هذه السوق سائر الثياب المخيطة (٥) . ومن ذلك يبلغ اهتمام المماليك بالملابس الثمينة ، وقد اختلفت ملابس المماليك الأمراء عن الاجناد . ولقد تغيرت وأدخل عليها بعض السلاطين التغييرات والتحسينات المختلفة ، وتنوعت أشكالها باختلاف المواقف والمناسبات ، فهناك ثياب خاصة بالخدمة السلطانية أى من يعمل بالبلاط السلطانى ، وأخرى بالسفر ، وثالثة بالسرحات والعيد وغير ذلك (٦) . ولقد حافظ المماليك وبصفة خاصة الجنود منهم على لباس الرأس ، الذى اتخذوه من أيام بنى أيوب وهى الكلوته (٧) الصفراء وكذلك الكليندات (٧) وهى لباس للرقبة تشد الكلوتة التى فوق الشعر وتمنعها من السقوط أو الحركة .

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٢/١١ .
(٢) النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٣٧ .
(٣) خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ، ص ٤٠ .
(٤) ابن اياس ، الخطط ، ١ ص ٣٠٢ .
(٥) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ١٠٣ .
(٦) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ١٠١ .
(٧) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٨٨ .
(٨) الكلوتات ؛ جمع كلوته وهى طاقية صغيرة من الصوف مخلوطة بالقطن .
أنظر : أبو المحاسن ، النجوم ، ٧ ص ٣٣ ؛
المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٩٨ .

وكانت ذوائب شعورهم مرخاه خلفهم ، وظل ذلك متبعا حتى عهد الناصر ولقد أخذت طريقة لبس الكلوتة ، أشكالا مختلفة ، كما كان لونها يتغير حيثما يراه كل سلطان ففى عهد السلطان قلاوون أضيف لبس الشاش (١) على الكلوتة ، ثم فى عهد ابنه خليل تغير لون الكلوتات من الصفرة الى الحمرة وأصبحت العمائم تلبس فوقها ؛ مع بقاء لبسها فوق ذوائب الشعر الملفاه فى أكياس من الحرير الأحمر وكان يطلق على كل منها اسم « الديوفة » وتعلق على الرأس من الخلف ، وتوضع فيها حواصل الشعر بعد تصفيفها وحفظها على نحو ما كان سائدا فى الأيوبيين (٢) وفى عصر هذا السلطان كانت الكلوتة لها شأن عظيم من الناحية الرسمية ، كما أصبحت معروفة كلباس رأس للأمراء (٣) وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون استحدثت العمائم الناصرية وكانت عمائم صغيرة حتى لا تعوق الجندى فى أثناء القتال ، وأصبح لبس العمائم أمرا شائعا ، حتى صار نزعها أو تغييرها من العار ، ولكن بطل ارخاء ذوائب الشعر حين حلقها الناصر محمد فى أواخر حكم دولته ، فقام الأمراء والجنود بتقليده وحلقوا رءوسهم (٤) . ففى عصر « يلبغا الخاصكى » نائب السلطان فى أيام الأشرف شعبان صارت الكلوتة والمنديل الذى يلف حولها أكبر حجما ، سميت فى ذلك الحين « طرخانية » (٥) وذلك للتمييز بينهما وبين الموضة القديمة من الكلوتة الصغيرة التى أطلق عليها اسم الناصرية (٦) .

كما ظهر أيضا فى العصر المملوكى لباس آخر للرأس عرف باسم الشربوش وكانت له المكانة الأولى اذ يعتبر بصفة خاصة الطابع المميز بطبقة الأمير ، وقد

---

(١) الكليندات . جمع كليندة ، وهى لباس الرقبة التى تربط تحت الذقن لمنع الكلوتة التى فوق الشعر من الحركة .

(١) انظر : المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٩٨/٩٩ .

(٢) نفسه ، نفس المرجع والجزء والصفحة ؛

ماير ، الملابس المموكية ، ص ٥٢ ، ترجمة صالح الشيتى .

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٩/٤٠ ؛

السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ٧٤ – ٩٨ ؛

المقريزى ، الخطط، ٣ ص ١٦٠ .

(٤) ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٣ ، ترجمة صالح الشيتى .

(٥) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٧ ؛

ابن اياس ، بدائع الزهور . ١ ص ١٢٠ ؛

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٧ ، ترجمة صالح الشيتى .

(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ١٠٠ .

(٧) ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٥ ، ترجمة صالح الشيتى

وصف « المقريزى » الشربوش بأنه « مثل شيء يشبه التاج » • ويبدوا كما لو كان مثلث الشكل يوضع على الرأس بغير عمامة (أى لا يلف حوله منديل ويعطى عندما يمنح أى مملوك رتبة فارس) • وكان من المألوف أن يمنح السلطان خلعة تتناسب ومرتبة الفروسية ثم يضع على رأسه شربوشا (١) • وعلاوة على ذلك ، كان لبس (الشربوش) والقباء يعتبر طابعا مميزا للغاية للأمير المسلم حتى ان الصليبيين كانوا على استعداد لارتدائها فى سبيل اظهار شيء من الصداقة والود لصلاح الدين (٢) وتشير النصوص الى أن لبس الشربوش وجد فقط فى عصر الأيوبيين والمماليك البحرية ، ويؤكد المقريزى بانه (استمرار لبس الشربوش) أبطل فى عصر المماليك الشراكسة (٣) •

والنوع الثالث من لباس الرأس « الطاقية » وجمعها « طواقى » وكانت تشبه الكوفيه وبغير عمائم وهى التى كان يرتديها أصلا الصبيان والبنات فلبسها الرجال والنساء (٤) ، وكان ارتفاعها سدس ذراع تقريبا ، وقمتها بدون مسطح • ولقد لبسها العسكريون من جميع الطبقات فى عصر الشراكسية وعرفت باسم الشركسية ، حيث حدث بها تغيير بسيط فى الجزء الأعلى فصنعت على هيئة قبة صغيرة ، محشــوة بالورق زينت باعداد من العندس بعرض يبلغ ذراعا تقريبا (٥) ، وهناك لباس رأس آخر طالما اهتم المستشرقون بأمره وهو «الزنط» وكان ينطق « الزنت » أو زنط وقد اعترف دوزى (٦) بجهله اياه ، ولو أنه ترجم اللفظ فى ملحق قاموسه بمعنى كلوت ، كما ظن بوبر poper أنه كان « القباء » وهو عبارة عن قماش يستعمل كغطاء للرأس (٧) ولكن طبقا لما أورده

---

(١) المقريزى ، ص ٩٩ ؛
نفسه أ ، السلوك ، ١ ص ٤٩٣ ؛
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥١ ، ترجمة صالح الشيتى •
(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ١٢ ص ٥١ وما بعدها ؛
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥١ •
(٣) أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ٣٧ ؛
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٨ •
(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٤٣٢ •
(٥) المقريزى ، السلوك ، حوادث ١٩ ربيع الأولى ٨٤٠ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٥ ص ٢٠٩ ؛
مايرا ، الملابس المملوكية ، ص ٥٩ •
(٦) Dozy : Suppl, 2 p. 96.
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٢١ ؛
أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ٤٥٧ •
(٧) القباء ثوب طويل يغلق من مقدمته بزراير ومفتوح حول الرقبة بفتحة مستديرة ، وكان يلبس فوق الثياب ، ويشبه المعطف وله أكمام خفيفة ، قيل أن المنصور قلاوون أمر بتعييرها بأكمام واسعة • وقد ذكر المقريزى أن الأمير سلار أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون •
أنظر أبو المحاسن ، النجوم ص ٣٣١٠٧

ابن اياس(١) والمقريزى (٢) ، يمكننا أن نقرر أن الزنط عبارة عن قلنسوة حمراء ، وقد وجد منذ بداية القرن الناسع الهجرى أو على الأقل فى منتصفه ، حين أشير لأول مرة أن الزنط لباس رأس للطبقات الدنيا حيث حدث فى سنة ١٤٣٧/٨٤١ أنه حرم على الفلاحين أرتداؤه مرتين (٤) وبعد مضى الوقت أصبح طابعا مميزا للزى العسكرى الجركسى ، أما لباس المماليك معظمها الأبقية التترية (٤) وكانت خفيفة الأكمام ومصنوعة من مختلف أنواع الآقمشة ، ويذكر ابن شاهين عن زيهم ، أنه اختلف من طائفة لأخرى حتى بلغ المائة ، وذلك على عكس ما يقال ، الذى كان لبس سلطانهم أو أميرهم أو خدمهم واحدا (٥) ، كذلك يذكر المقريزى أن زى الأمراء والعسكر اختلف فى دولة المماليك (٦) ، وان كان يبدو أن زيهم قد بدأ يأخذ شكلا متجانسا منذ قلاوون (٧) وفوق الاقبية كانت النكلاوات ثم القباء الاسلامى وكان يوجد فوق هذا القباء كمران (٨) بحلق وابزيم (٩) كما كانوا يشدون الوسط بحزام يعرف باسم « منطقة » أو ما يعبر عنه أيضا بالحياصة جمعها حوائص (١٠) حيث يعلق فى الجانب الايمن منها حقيبة كبيرة « حولق » جمعها حوالق (١١) تثبت فيها مناديل .

وكان زى الأمراء والمقدمين وأعيان الجند مع نقاوته يختلف بعض الشيء عن زى الجندى (١٢) فكان الأمراء يلبسون السلاريات وعليها قيادات ، وكان السلارى

---

(١) ابن اياس ، السلوك ، ١ ص ٤٩٤
أبو المحاسن ، النجوم ٧ ص ٣٣١ ،
المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٩٩ ،
خليل بن شاهين ، زبدة كشف المماليك ، ص ٨٨ ؛
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٢ .
(٢) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ٣٥٢ .
(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٩/٤١ ؛
Mayer, Mamluk Costume, p. 21.
(٤) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ٣٥٢ .
(٥) أبو المحاسن ، بدائع الزهور ، ٧ ص ٣٣١ .
(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٩ ـ ٤١ .
(٧) خليل بن شاهين ، زبدة كشف المماليك .
(٨) Mayer, Mamluk costume, p. 21..
(٩) الابزيم : حديد تكون فى طرف الحزام تداخل الطرف الآخر .
(١٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٢٧ يوجد سوق للحوائص يسمى سوق الحواصين .
أنظر : المقريزى ، الخطط ، ٣ ص
ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٣ .
(١١) Quat, Sult, 11, p. 152.
Dozy, Vet., pp. 248-249.
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٣ .
(١٢) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ١٥٢ ،
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٣ .

يصنع من الأقمشة القطيفة أو الحريرية أو الصوفية الملونة ، وكثيرا ما كان يطرز بالأحجار الثمينة ، والسلارى مع النخفيفة يكونان زى الأمراء بصفة عامة (١) فكانوا يلبسون فوق ثيابهم نوبين تبريزى « قباءين » الأعلى قصير والأسفل طويل ويكون أكمام الأول اقصر بلا تباين كبير . وكان زيهم فى الصيف الملابس البيضاء من الحرير الرقيق « الفضفاض » (٢) والشرب (٣) والاسكندرانى (٤) وفى الشتاء يلبسون فوقها ثياب من الصوف الملون والقطيفة « الكشمير » (٥) وقماش له وبر جمل (٦) أو شعر سنجاب (٧) ولا سيما المغزول بأنواعه : فنك (٨) ، وقاقم (٩) ، سن (١٠) سمور (١١) ، قندسى (١٢) ويكون الحزام فى المنطقة أو الحياض من الذهب أو الفضة ، مرصعة بالفصوص والجواهر (١٣) .

ولقد وضح مما تقدم أن تفاوت درجة الملبوسات توضح درجة الأمير ولدينا وصف تفصيلى وعلى الأخص لزى أمراء المئين (١٤) . وهم الذين كانوا يتولون السلطة ويتميزون بالأناقة الباهرة . فقد كان « القباء » الأعلى من قماش أملس

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ، ٣٥٢ ،
Mayer, Mamluk costume, p. 23.

(٢) وهو من الحرير أو النيل المصقول أى الرفيع .
أنظر : Dozy : Suppl, 2 p, 680.
ماجد ، نظم السلاطين ، ١ ص ١٦٣ .

(٣) وهو نوع من القماش الشفاف تدخله خيوط حريرية أو مذهبة (ما يسمى بالشيفون حاليا) .
أنظر :
ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٣ .

(٤) Marzouk : History of texile industry in Alex 1956 p. 60;

(٥) Dozy : Suppl, 2 p. 481.

(٦) Ibid, I p. 406.

(٧) Dozy : Suppl., 2; p. 481.

(٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٠ ؛
Dozy : Suppl, 2, p. 285.

(٩) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ١٦٨ ؛
Ibid., I p. 406.

(١٠) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ١٦٨ .

(١١) هو فرو أو قماش من الوبر اشتهرت صناعته فى الأندلس بمدينة سرقسطة الذى يسمى بالسرقسى .
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٤ .

(١٢) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ١٦٩ .

(١٣) نفسه ، نفس المرجع والجزء ، ص ٣٥٢ ،
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٢٧ .

(١٤) المقريزى ، خطط ، ٣ ص ٣٦٩ ؛
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين ، ١ ص ١٦٤ .

(أطلس) (١) لونه أحمر بزخرفة « مطرز بزركشة » وهو من الحرير المذهب ، أما عن القباء التحتانى ، فقد صنع من قماش أملس (لونه أصفر محلى بشعر سنجاب مبطن داخله وأطرافه سنجب (٢) بفرو وقندس (٣) وكذلك الحزام والمنطقة تكون من ذهب وضعت فيها قطع معدنية هندسية « بواكر » (٣) مرصعة بالزمرد واللؤلؤ · أما فى أرجلهم فكانوا يلبســـون خفــا فوق آخــر يقال له البكمان (٥) وكان هذا البكمان يصنع من الجلد البلغارى (٦) الاسود ، كما كان يثبت فى هذه الأخفاف المهاميز التى كانت تصنع من الحديد أولا ولما زادت ثروة الجند وكثرت وذلك عن طريق الاقطاعات أو الهبات أصبحت من الفضة المكلفة بالذهب (٧) ثم اتخذت المهاميز من الذهب الخالص (٨) ·

وكان يوجد نوع آخر من الأحذية ، كان على ما يظهر أكثر ثقلا من الخف يطلق عليه اسم « برجيل » (٩) أو مركوب (١٠) وكان من المألوف صنعه من جلد مراكشى أحمر اللون ، له مقدم رفيع يلتوى لأعلى (١١) وبناء على ذلك أمكن القول بأن زى الجندى فى العصر المملوكى عامة والبحرى خاصة قد بلغ درجة كبيرة من حسن الرونق ، وبديع التنسيق حتى أصبح جمال هندامهم مضرب الأمثال فى مصر وغيرها من الأقطار ·

---

(١) يقال حرير أطلس ، يعنى حرير به خيوط ستان ، أى حرير ناعم جدا

انظر . Dozy : Suppl, 2 p. 281.

(٢) Dozy : Suppl, I, p. 634.

(٣) Ibid., II, p. 410.

(٤) بواكر مفردها بكاريه وبها فتحات من المعدن لتعلق فيها الأسلحة

انظر :

(٥) بكمان وهو خف ثانى يلبس فوق الخف الآخر ·

انظر : المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٩٨ ؛

Dozy : Suppl, Dict, p. 664;
Ibid, art, p. 156.

(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤١ ·

(٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ص ٢١٧ ،

Mayer : Mamluk costume p. 64.

(٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤١ ·

المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٧/٩٨ ؛

Mayer :Mamluk Costume, p. 66.

(٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤١ ·

المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٩٨ ؛

Dozy : Dict Vet, art. p. 156.

(١٠) المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢١٧ ؛

Mayer : Mamluk Costume p. 64.

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤١ ؛

المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢١٧/٩٨ ·

(١١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤١ ·

أما اذا نجهزوا للحرب ، فكانوا يلبسون آلة الحرب (١) (وهو ما يسمى الآن لبس الميدان) فقد كانوا يلبسون على رؤوسهم الخودات (٢) منها الفارسية « خوذ » والعربية « ببض » لان هذه الأخيرة على شكل البيض ، وهى تصنع من الجلد أو الحديد ولدينا بالمتحف الحربى جميع أشكال هذه الآلات الحربية ، ولقد استخدموا « الترس » أو الدرقة (٣) بجانب القفاز ، لاتقاء ضربات العدو ، وتصنع هذه الآلات من جلد البقر أو الملط (٤) وهو حيوان يعيش فى الصحارى ، ويمكن أن تكون « الدرقة » فقط من الخشب أو الحديد ، أما القفاز فهو لحفظ كف اليد فهو يصنع من الجلد المقوى بالحديد والخشب • أما على أجسادهم فكانت تلبس الدروع ، وتسمى بالفارسية • « زرديات » جمع زرد أو زرادة • وكانت هذه الدروع لها أسماء متعددة أغلبها فارسية رزديات (٥) وهى تغطى الجسم كله ، وقرقلات (٦) أو كراغندات (٧) أو بكابز (٨) وهى كلها أسماء دروع ربما قد تكون مبطنة ، وهناك كذلك الجوش وهى عبارة عن صدر بغير ظهر هذا بجانب أنهم كانوا يضعون « المضمضم » وهى خوذة مسدولة على قفا المحارب وأذنيه لوقاية العنق ويبدو أن لبس الدروع فى المجتمع المملوكى كان امتيازا خاصا بالارستقراطية العسكرية

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٣٠ •

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٢٥٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٥ ؛
ماجد ، نظم السلاطين ، ١ ص ١٦٩ ،

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٦ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٢٧٣ •

(٤) ابن هذيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق وتعليق عبد الغنى ، دار المعارف ، ص ٢٣١/٢٣٢ ؛
Dozy : Suppl, 2, p. 550.

(٥) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٠٨ ؛
Mayer : Mamluk Costume, p. 37.
ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٠٧ •

(٦) قرقلاوون ومفردها قرقل وهى كلمة فارسية وتعنى درع ؛
أنظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ١٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١١ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزهرة ، ٦ ص ٢٥٦ •

(٧) كزاغندات ومفردها كزاغندة وهى كلمة فارسية تعنى درع •
أنظر : المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٢٥٣ ؛
ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ٢٧ ؛
Dozy : Supple. 2, p. 542.

(٨) ابن اياس ؛ بدائع الزهور ، ٣ ص ١٦

حيث أورد أسامة بن المنقذ (١) الآتى : التى أمكن بواسطتها معرفة درع أمير يرجع على الأقل الى غضون العصر الأيوبى ، وكان يشتمل على خوذة Khudha ، وقميص من الزرد (درع أو زرد) وجوارب طويلة تكسو الساق يطلق عليها اسم رانات (٢) Ranat وطماقات للأرجل يطلق عليها اسم « ساق الموزة » أو « كلسات الزرد » وأحذية برقبة طويلة « خفا » مزودة بمهماز بينما كانت أسلحة الأمير تحوى على سيف وخنجر ويطلق عليها اسم « دشن » Doshan أو (سيخ) Sikh أو سكين ورمح أو قنطاريه Gantariya وحربه وترس أو درقه .

وكان يوجد ثلاثة أنواع من الدروع (٣) ، كانت مستعملة فى الغالب آنذاك وهى قميص الزرد ، والدرع ذو الرقائق المعدنيـــه ، أو البريجانديز . وكان أكثر الأنواع شيوعا القميص المصنوع من الزرد الخالص ، الذى لم يتخل عنه ، وظل مستخدما فى الشرق غالبا حتى نهاية العصر المملوكى ، هذا على أنه كثيرا ما ورد ذكر أقمصة الزرد فى المصادر عن العصـــور التى سبقت عصر المماليك البحرية دون تقديم أية مواصفات تفصيلية عنها وخاصة خلال العصر الأيوبى ، ولكن عن طريق الاشـــارات العرفية يمكن أن نســـتنتج منها انهم كانوا يرتدون قميصا واحدا أو اثنين معا ، قصارا أو طوالا ، على أن بعضا منها لم يكن بالطويل فحسب بل كان يصل الى الأرض ويطلق عليها اسم زرديات أو زردية بسـيطة كانت تغطى ساقى الفارس (٤) وكانت حلقات هذا النوع وسلاسل الزرد التى ترجع الى عصر مبكر تحمل أحيانا زخارف مطبوعة ، وبعض هذه الزخارف كان بارزا فى هيئة خطوط أو قنوات ، أو حبيبات أو نصوص كتابية . وكانت كل حلقة من الحلقات للزرد تبرشم أحيانا بمسمارين من المعدن ينفذان رأســا من

---

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٢٥/١٢٦ . أوردان قطعا من السلاح والدروع كانت متاعا سابقا للمماليك المتوفين وزعت فى السنة التاليه فيما بين حرس السلطان والجاميكية كذلك ؛ أنظر . ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٣٥٩/٣٦٠ .

(٢) نفسه ، نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) رجل يرتدى درعا يطلق عليه باللغة العربية الفصحى « مدرع »
أنظر . ابن المنقذ ، الاعتبار ، ص ٣٢ .
ولكن الكلمة المألوفة لرجل يرتدى درعا هى « لابس » أو « ملبس » أى انه يرتديه .
أنظر : نفسه ، نفس المصدر ، ص ٤٨ ــ ٥١ .
كذلك كزاغند Kazaghand
أنظر : المقريزى ، السلوك ، طبعة زيادة ، ١ ص ٥١٧ ؛
السيوطى ، تاريخ الملك الأشرف قايتباى ، طبعة ١
فارموند Warhmund ، ص ١٣ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٤١٩ .
Quat, Sult I, p. 133.

(٤) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤١٩ ؛

ناحيه لأخرى (١) ، وكانت أقمصة الزرد تقوى برقائق مســـطيلة من المعـدن تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض ، ويطلق عليهـا اســم جوش (٢) . وقد عرفت منذ زمن بعيد (٣) ولكنها كثرت فى عصر المماليك البحرية (٤) كذلك من بعدهم خلال عصر المماليك الشراكسة ، وربما اقتصر استعملها على الدروع التميمة الخاصة بالأمراء العظام (٥) .

أما عن الدروع المصنوعة من المعدن الخالص ـ ونقصد النوع الثانى ـ فان معظم المؤرخين أقروا انه ليس من الأسلحة أو المعدات الشرقية ؛ وبالرغم من أنه لم يرد ذكره فى كتب الأدب المتعلقة بالقرون الوســطى ، والتى اعتمد عليهـا المؤرخون فى آرائهم بأنها من الصناعات العسكرية الأوروبية وأنه قد شــاع استعمالها أو توطدت تماما فى أوروبا (٦) ، الا أننا نرى أنه قد قل استعمالها فى العصر المملوكى البحرى حيث أن المقاتل المملوكى اعتمد أســاسـا على خفة الحركة التكتيكية والتى يحققها له الزرد ، وهناك من الدلائل على أنهم كانوا على علم تام بالزرد ، حيث يتضح أن جيرانهم المباشرين وهم أتراك آسيا الصغرى ، قد ألغوا ارتداءه ولدينا على ذلك نقش يوجد فى شنلى كشــك Cinic Köak فى استانبول (٧) ، وعلى الطرف الآخر زودت نوافذ الزجاج المدهون بكنيســة القديس دينيس Denis بباريس حيث يظهر أهمية هذه النوافذ فى رسومها فقط حيث يشاهد فيها أمراء المسلمين يقاتلون فرسانا من المسيحيين ويرى فى كل من الصددين الدرع نفسه هو الغالب ، ويمكن أن نفسر ذلك على أنها أحد أمرين : أما درع من المعدن الخالص أو جازران Gazerans وهو درع من الجلد مكسو بصفائح كبيرة من المعدن تشبه تماما تلك المجموعات المختلفة من الدروع

---

(١) عبد الرحمن زكى ، بعض قطع الأسلحة ، مجلة المقتطف عدد أبريل ١٩٤٠ ؛ ستوكلن Stocklien ، أسلحة فى متحف طوباى سراى (مجلة الفن الاسلامى) . Art Islamica

(٢) هذا هو التفســير لكلمة جوشن goushan وقد استدل عليه من ترجمة القاموس التركى ، حيث نقرأ عنها فى الجزء الثالث ص ٦٠٩ ، قال الفقيه المترجم : ان الجوشن فى بلاد فارس هو اسم لنوع الجلد من الدروع مصنوعة على خيط قميص الزرد الذى يطلق على زره ولكن رغم أنه على طراز قميص الزرد ، وضع بين كل واحـدة وأخرى قطعة صغيرة من القصـدير (تنك Tencke) وربما وجـد دليل آخر عن التعبير بلفظ « صفائح الجوشن » أى رقائق الجوشن المعدنية .

(٣) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

(٤) المقريزى ، السلوك ، ص ٥٦٣/٦٣٦ .

(٥) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١ ص ٢٥٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٤١٣ .

(٦) R. chuabes, F.M. Kelly : A short history of Costume and and armoure, London, 1931, p. 62.

(٧) Kuhne Die Sammlug Tuskisher and Islamischer, Berline, 1938, p. 16.

الخشبية أو المعدنية . Splint armour التى استخدمها تتار آسيا الوسطى والمغول (١) .

ومن المؤكد تماما أن الدروع ذات الصفائح المعدنية كانت معروفة تماما فى العصر المملوكى البحرى ، ولكن قلت أو ندر استعمالها وذلك لثقل وزنها وأنها نعوق حركة الفارس المرنة ، ونحد من خفة حركته ، وتبطىء سرعة فرسه ، أما شيوع استخدام الزرد فى عصر المماليك البحرية فكان أساس خفة الوزن مع كفاءته النامة فى وقاية لابسه من ضربات العدو مهما كانت قوتها ، وبهذا فان الزرد يحقق خفة الحركة التكنيكية مع الوقاية والحماية الكاملة من أى ضربات وهى أساس مكونات الجيش المملوكى البحرى .

أما عن النوع الثالث من الدروع وهو البريجاندين الذى يطلق عليه اسم كاجغاند Kagaghand الذى أشير اليه كثيرا فى العصر المملوكى المبكر (٢) فهو لابد أن يكون حلة شائعة الاستعمال فى تلك الأيام ، ويبدو أنه كان فخما الى درجة حملت السلطان على ارتدائه كذلك (٣) ، حيث كان من قميص الزرد الذى كان يلبسها والد أسامة ، بحيث كان القصير منها فوق الطويل . كما كان لكل منها كسوة من الكتان ، فضلا عن كونه محشوا بنفايات الحرير وشعر الأرنب (٤) فهى فى الحقيقة تشبه دروع البريجاندين فى تلك الصناعة العادية التى تحل محلها حلقات من الزرد ، أما البريجاندين الحقيقى فقد كان شـائعا فى العصر المملوكى البحرى وكثيرا ما تشير اليه النصـوص التاريخية ، فيقول المقريزى : « فلما هب أربعة آلاف عربى من قبيلة مرة ، جاءوا بصحبة الأمير بن حاجى من العراق لنصرة قلاوون ٦٨٠/١٢٨٠ ، وكانوا يرتدون دروعا من البريجـاندين الأحمر من «الأطلس المعدنى» وديباج من آسيا الصغرى وهو الديباج الرومى (٥) وهناك نموذج محفوظ فى المتحف الوطنى بمدينة فلورنسا ، وهذا النموذج عبارة عن سترة قصيرة ، لا يزيد طولها عن ٧٠ سم ، مصنوعة من القماش المتين جدا

---

(١) أنظر : بحث B. Thordman عن « الدروع الآسـيوية فى أوربـا » مجـلة (Acta Archaelogica) ٤ ص ١٢٨ .

(٢) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٩٠/٢٥٣ .

(٣) كان من المألوف أن يرتديه صلاح الدين دائما أثناء ركوبه ، حيث كان له ياقة عريضة . ولم يكن من المستطاع أن يقطع ، وليمكن أن ينفذ منه ليلحق بالجسد .

أنظر : المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٢٥٣ ؛
Mayer : Mamluk Costume (Kunding Ceneve — 1952), p. 72.

(٤) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٩٠ .

(٥) نفسه ، الخطط ، ١ ص ٣٩٧ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٣٥١ ؛
المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٣٩٧ .

ولها أكمام طويلة ، وياقة عريضة وهى مكسوة بالمحمل الأحمر الفرمرى المرصع بمسامير نحاسية صغيرة ٠

تلك هى أسلحة ومعدات القتال المستخدمة فى العصر المملوكى البحرى سواء أكانت أسلحة مستخدمة فى القتال أو معدات وملابس قتالية والتى كان لا يستخدمها غير طبقة العسكريين (١) ٠

★ ★ ★

ان العنصر المميز للمؤسسة العسكرية المملوكية فى مصر كان الاقطاع ، ويرى بعض المؤرخين ان « **الاقطاع** » مصطلح عرف عن النظم الأوربية فى العصور الوسطى ، حيث لم يقبلوا فكرة قيام نظام اقطاعى فى غير هذه الجهات وغير هذه العصور ٠ واذا نظرنا الى استعمال هذا اللفظ بعمق لوجدنا أنه لا يختلف عن غيره من المصطلحات مثل الارستقراطية أو الديمقراطية باعتباره طريقة أو وسيلة من وسائل الحكم ، وليس هناك ما يمنع من دراسة هذه الوسيلة فى جهة من الجهات ، أو زمن من الأزمنة ٠

ولقد عرف الاسلام الاقطاع وجرت عليه دراسات مستفيضة عن أصله وأنواع الأراضى المرتبطة به ، ودارت مناقشات بين الفقهاء على أحكام الأراضى التى صارت فى حوزة المسلمين (٢) ، فالأراضى بعد وقوعها فى أيدى المسلمين جرى تقسيمها ، وذلك أما لدراسة وجوب الضريبة المفروضة عليها أو لحساب ملكيتها ، ففى الحالة الأولى كانت الأرض تنقسم نوعين : أرض عشر ، وأرض خراج ٠

واشتملت **أرض العشر** على كل ما استطاع المسلمون حيازته ، وما أسلم عليه أربابه ، وما ملكه المسلمون من المشركين وجرى تقسيمه بينهم ٠ هذا فضلا عن الأراضى التى بقى المشركون على امتلاكها مقابل الجزية ، فاذا باعوها لمسلم سقط الخراج وأصبحت أرض عشر (٣) ، وهذه الأراضى تعتبر ملكا يجرى البيع والانتقال من يد الى أخرى وتخضع لقوانين الوراثة (٤) ٠

أما أرض الخراج فتشمل الأرض التى يملكها المسلمون عنوة ولم يجر تقسيمها وقفا لصالح المسلمين واذا بقيت فى أيدى أصحابها فرض عليها الخراج ، ويضاف الى ذلك ما يملكه المسلمون عنوه من الأراضى لجلاء أهلها عنها

---

(١) لو اتسع المجال عندنا لتكلمنا عن زى رجال الدين وزى النساء وزى العامه بالتفصيل ، ولو أنه خارج موضوعنا ٠

(٢) جرير والفرزدق ، نقائض ، نشر A. Bevan ؛ ليدن ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ ، ص ٤٦٢/٤٦٤ ٠

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٥/١٥٦ ٠

(٤) Lampool, Snn K. slandlord and peasant un Porsia, (Sxford 1953), p. 20.

فتصبح بالاستيلاء عليها وقفا ، ويضرب عليها الخراج ويكون أجرا يدفعه من يقوم عليها مهما كان معاهدا • أما الأرض التى جرى الاستيلاء عليها صلحا ، فتظل فى أيدى أربابها بعد تنازلها عن حق ملكيتها للجماعة الاسلامية ، ويكون الخراج المفروض عليها أجرا (١) •

ثم كانت اصلاحات عمر بن العزيز (٩٩ ـ ١٠١ = ٧١٧ ـ ٧٢٠) اذ أقر فكرة أن أرض الخراج ليست ملكا عاما لكافة المسلمين ، ويشترك فى حيازتها المقيمون عليها ، فيقيمون بها مقابل دفع الجزية ، وبذلك أبقى على الأرض متماسكة وأمر بمنع بيع أراضى الخراج للعرب ابتداء من سنة ١٠٠ هـ ـ ٧١٨ م حتى لا تكون ضياع معفاة من الخراج (٢) أما أرض الصوافى وهى أصلا ما يصطفيه القائد لنفسه خارجا عن الغنيمة من الأسرى والسبى والأرض •

وبقيام الدولة العباسية حـدثت تغيرات كبيرة فى توزيع الأراضى ، حيث زادت أراضى الصـوافى واختص زعيم الجماعة الاســلامية ســواء الخليفة أو عامل الاقليم بمســاحات كبيرة من الأراضى بالفتح أو المصـادرة أو الشراء ، وكذلك من السياسة المالية الجديدة ما كان قاصرا على الجيش العباسى من تغير وقتذاك ، فالجيش أصلا كان يتألف من العرب ، والوظائف المدنية والعسكرية فى أيديهم ، وشملت نفقات الجيش والرواتب • ثم دخل الجيش عناصر أجنبية من المأجورين وعدد من المماليك وما لبث أن ازداد العنصر التركى ، وكانت تجرى على الجند الرواتب مما يحصل من الضرائب (٣) فالجند والأمراء صاروا يتقاضون فى أول الأمر خراج الأرض ، على أن تطابق لرواتبهم أو على الأقل جزء منها • فلما زادت المشقة فى جمع الخراج أخذوا الضياع والاقطاعات ، والى جانب ماحصل عليه الجند من اقطاعات ، اســتطاع القادة الترك باعتبارهم مقطعين أن يظفروا بصفقات كبيرة وان يتولوا خراج الأقاليم التى قطع فيها ضيعانهم ، وما لبثوا أن امتنعوا عن دفع ما هو مطلوب منهم من ضرائب الى بيت المال ، وترتب على ذلك أن الادارة المالية المركزية غدت عديمة الجدوى (٤) ومع ذلك فلم يكن الاقطـاع وراثيا من حيث المبدأ ، ولا يعطى مدى الحياة ، وان كان يجوز أن يظل الجندى على اقطاعه حتى وفاته الا أنه ليس لأبناء الجند الحق فى هذا الاقطاع •

---

(١) الماوردى • الأحكام السلطانية ص ١٥٣ ـ ١٥٤ •

(٢) الخوارزمى معاتيح العلوم ص ٦٢ ؛
الجهشيارى • كتاب الوزراء والكتاب (القاهرة ١٩٣٨) ص ٢٧ ، ٢٨

(٣) Lambton. op. cit., p. 25.

(٤) الصولى أخبار الراضى والمتقى ص ١١٨ ، ١٩٨ •
Lambton, op. cit., p. 50.
ابن مسكويه • تجارب الامم ، ٢ ص ١٠١ ؛
ابن الأثير • الكامل فى التاريخ ، ٨ ص ٣٤٢ •

وفى مصر ظهر عند الفاطميين نظام آخر من الاقطاع حيث حل العسكريون فى جباية الخراج مكان المدنيين وحصلوا بهذه الطريقة على جهات ذات ميزة ضرائبية يطلق عليها اسم اقطاع يجوز تغيرها أو تجزئتها ، وتخضع أرض الخراج للاستغلال · على أن المقطع ملزم بأن يدفع لبيت المال مقادير معينة للانفاق منها فى المصالح الأخرى ·

ومن العرض الموجز ، السابق نجد أننا **نعارض ما أشار به عماد الدين الأصفهانى ، وعنه نقل سائر المؤرخون** ، الى أن السلاجقه هم الذين أدخلوا النظام الاقطاعى فى العالم الاسلامى حيث قال أن نظام الملك وهو الوزير السلجوقى ، أدرك عند توليه الوزارة أن الملك كان قد أختل نظامه ، والدين قد تبدلت أحكامه ، وقد خرجت المماليك بين أفعال هده وأدبار ملك ، ولم يكن لأحد من قبل اقطاع ، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ولا يصبح منها ارتفاع لاعتلالها ، فقرها على الأجناد واقطاعها ، وجعل لهم حاصلا وارتفاعا ، فتوافرت روانبهم على عمارتها ، عادت فى أقصر مدة الى أحسن حالة من حالتها · وربما قرر لواحد من الجند ألف دينار فى السنة فوجه بعضه على بلدة فى الروم ، وبعضه وجهه فى أقصى خراسان ، وصاحب القرار (١) راض ·

والاقطاع بهذه الصورة على اعتباره قطعة من الأرض تغل خراجا ثابتا · وان نظام الملك فى رأى عماد الدين الأصفهانى ما هو الا اقطاع ، ومن المحتمل أن سبب ذلك « كثرة الاضطرابات والتسيب الذين أحاطا بالبلاد فى هذه الفترة أو أنه صعب عليه فهمها وتمحيص تاريخها » ولم يحاول المؤلف التعمق فى أصولها · وان كان عماد الدين الأصفهانى نفسه قد برر قيام هذا النظام الى الحالة التى بلغها الموظفين والعمال وقتذاك من اضطراب وفساد ، ومن الممكن أن يكون ما أوضحه عماد الدين عن الاقطاع فى عبارته السابقة انما ينطبق تماما وما جرى تغير وتعديل للاقطاع بعد نظام الملك ، اذ استغرق التغير قرنا من الزمان تحول فيه الاقطاع الى ما انتهى اليه من صور حربية · فعماد الدين صنف كتابه فى العصر الذهبى للاقطاع الحربى ، وتعرض فيه الى الناحية النظرية لا الى الواقع الذى يرجى فعلا من نظام الملك ، حيث أن الاقطاع الذى أجراه نظام الملك لم يكن يشمل كل العسكريين ، فالعلماء (الارقاء) لم يكن لهم اقطاعات وكذلك نجد أن طبيعة الاقطاع من حيث المبدأ هو الخراج الاقطاعى لا الأرض ·

وليس للمقطع سيطرة على المشتغلين بها ، ويخضع لسلطة الحكومة وعليه ألا يسىء لعمال اقطاعه ، ويجوز نزع الاقطاع منه اذا لم يحقق المقطع بالالتزامات المفروضة عليه ، ولقد كان لمصر حالة خاصة ، ذلك عندما وضعه صلاح الدين

---

(١) عماد الدين الأصفهانى ، تاريخ دول الاسلام ص ٥ ٥ـ ٥٦ ؛
أنظر : ماجد ، نظم فاطميين ، ص ١٣ ·

الأيوبى ، أجرى على كل موارد البلاد ونقل اليها ما هـو معروف لمدن الاقطاع السلجوقى ، حيث عرفت مصر نوعين من الاقطاع زمن صلاح الدين وخلفائه : **الاقطاع الادارى** الذى اختص بكل أمراء الأسرة الحاكمة وكبار أمراء الدولة فهو **الاقطاع الحربى** حيث اقترن بما يؤديه المقطع من خدمات حربيه ، ويخضع لسيطرة الحكومة المركزية ، ولم يكن وراثيا ، ومن النادر أن يمنح مدى الحياة . ولقد اكتملت النظم الاقطاعية الحربية فى الشرق الأوسط فى عصر سلاطين المماليك ، حيث نشأ المماليك فى ظل هذا النظام الاقطاعى زمن الأيوبيين ، وأقاموا دولتهم الاقطاعية الكبرى على انقاض دولة أساتذتهم من الأيوبيين ، حيث اعتبرت الأرض ملكا للسلطان وجنوده .

هذا هو ما كان من جذور النظام الاقطاعى المملوكى الممتدة من النظام الاقطاعى الأيوبى ، وان كان يبدو أن صلاح الدين رأى ضرورة تكرار عملية اعادة النظر فى توزيع الاقطاع وذلك سنة (٥٨١/١١٨٥) حيث قال عماد الدين الأصفهانى « وشرع السلطان فى اقطاع البلاد والتوقيع بها على الأجناد » (١) وكانت مصر توزع اقطاعا بين السلطان وجنوده فى العهد الأيوبى ، وبجانب الاقطاع السلطان أو الخاص السلطانى ، نجد اقطاعات بقية أفراد البيت الأيوبى ثم اقطاعات الأمراء والجند (١) وهكذا كانت لأحوال البلاد المصرية حتى أواخر أيام صلاح الدين ، وحتى اذا ما وصلنا الى عهد السلطان نجم الدين الأيوبى نجد نظام الاقطاع الأيوبى ينمو نموا كبيرا وأصبح ثابت الأركان (٣) ولقد كان الاقطاع الأيوبى موردا من موارد الدولة ، اذ كان من المتبع فى جميع تلك الاقطاعات الأيوبية بأنواعها أن يمنح الاقطاع مقدارا بما يغله من نقد ومحصول وفقا لعبرته ، والعبرة هى مورد ما يحصله الاقطاع ، وكانت الوحدة النقدية فى ذلك العصر هى ما يسمى باسم الدينار الجيشى لا الدينار العام (٤) .

★ ★ ★

ولقد كان الاقطاع فى العرف المملوكى ، وفى عرف الدولة الاسلامية ، أمرا شخصيا بحتا لا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه . فكان المقطع يحل فى الاقطاع محل السلطان للتمتع فعلا به وايراداته فقط ، بل يؤول الاقطاع الى

---

(١) أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، ٢ ص ٦٢ .

حسنين ربيع النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ص ٢٩ .

(٢) طرخان النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ص ٣٦ .

(٣) حسنين ربيع . النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ص ٣٢ .

(٤) صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٤٢ .

السلطان بمجرد انتهاء المدة المتفق عليها ، أو بسبب وفاة المقطع اذا كان الاقطاع مدى الحياة (١) ٠

وقد جرت العادة أن يتولى السلطان بنفسه الحاق المماليك بالخدمة وترتيب درجاتهم ، فاذا حضر أمامه من يطلب الاقطاع ، ووقع اختياره على أحد ، أمر ناظر الجيش بالكتابة ، فيكتب ورقة تسمى « المثال » (٢) وهى عبارة عن ورقة أو وثيقة رسمية تصدر من ديوان الجيش الى كل جندى أو مملوك ، فينال مقدار ما خصه بالفدان من الأرض الزراعية التى يستغلها فى الاقطاع ويبين بها حدودها واسم الاقليم والقرية ٠ وكان « المثال » أول ما يكتب من الأوراق الرسمية ايذانا باعطاء أحد المماليك اقطاعا من الاقطاعات الخالية ، ويخرج من ديوان الجيش ويقدمه ناظر الديوان الى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل فاذا شمله السلطان بالموافقة أرسله ناظر ديوان الجيش الى ديوان النظر لتسجيله وحفظه فيه ، ويكتب بذلك ما يسمى فى اصطلاح العصر المملوكى باسم « مربعة » (٣) وهى ورقه مربعة الشكل يكتب فيها اسم المعين على الاقطاع ورتبته وعدد أجناده ، وغير ذلك من التفصيلات اللازمة ثم ترسل المربعة الى ديوان الانشاء ، فيحولها كاتب السر على من يكتب بها « منشور » الاقطاع وذلك عن طريق المدارا (٤) وهو آخر الأدوار التى يمر بها المثال ، وهذه الوثيقة الأخيرة هى التى تجعل الاقطاع أو الخبز (٥) كما كان يسمى أحيانا ــ شرعيا على المقطع الجديد (٦) ٠

وكانت اقطاعات الحلقة التى تخرج بها المنشورات من ديوان الجيش وقفا على أجناد الحلقة دون سائر طوائف الجيش المملوكى مثل المماليك السلطانية الذين كانوا يمنحون الرواتب المنتظمه ، ومماليك الأجناد الذين كانوا يعيشون فى كنف أساتذتهم (وسوف يأتى الكلام عنها بالتفصيل فى الفصل الثالث) ٠

---

(١) المقريزى : السلوك ،-١ ص ٤١١ ٠

(٢) نفسه ، خطط ، ١ ص ٨٧ ؛
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٨ ص ٩١ ٠

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ ص ٥١ ؛
ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ص ١٢٠ ٠

(٤) مدارا جمع مدبر ، وهى طائفة من الأعوان بديوان الانشاء مهمتهم سحل الأمكنة وادارتها على كتاب يدون من كتاب الديوان ، صبح الأعشى ، ١ ص ٣١٩ ٠

(٥) المقريزى ، السلوك ، ص ٦٤ ــ ٦٥ ؛
حسنين ربيع : النظم المالية فى مصر فى زمن الأيوبيين ، ص ١٧ ٠

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١٣ ص ١٥٣ ؛
المقريزى : خطط ، ٢ ص ٢١٧ ؛
نفسه : السلوك ، ١ ص ٤٩٠ ٠

ولقد كانت أرض مصر تنقسم الى أربعة وعشرين قسما أو قيراطا ، ويمكن أن تكون موزعه كالآتى : أربعه قراريط للسلطان ، عشرة قراريط للأمراء ، العشر الباقيه للأجناد (١) وظلت الحال كذلك فى صدر دوله المماليك البحريه حتى آلت السـلطنه الى المنصور « حسـام الدين لا جين » سنه ٦٩٦ هـ-١٢٩٦ م وكانت الاقطاعات قد اضطربت أمورها منذ عهد السلطان خليل بن قلاوون ، بدليل ما أورده بيبرس بصدد « بدر الدين بيدرا » نائب السلطان فى ذلك العهد ٠

وذلك أن السلطان خليل كان قد فوض هذا الأمير نيابه السلطنه سنه ٦٨٩ هـ-١٢٩٠ م ٠ « فحدث فيها وأخذ اقطاع الامير حسام الدين طرنطاى وعدته وما كان له من المشتروات والجمادات بنواحي الاعمال واستضاف الى ذلك كثيرا من نواح اشتراها لديوانه من قاطعيها فى البلاد واستحوذ عليها ، وانبسطت يد نوابه فى الأعمال ، احتجزوا له كثيرا من جملة الأموال ، بحيث لم يبق اقليم الا ومعظمه فى ايديهم ، والمقطعون لا يصلون لهم الا ما يتصدقون به عليهم فتضرروا وكرروا الشكوى وأكثروا منها (٢) ٠

فلما أيقن السلطان « لاجين » بصحة هذه الشكوى أمر بمسح البلاد المصرية للمرة الأولى فى دولة المماليك وللمرة السادسة فى تاريخ مصر الاسلامية (٣) فمسـح (راك) وقسمها تقسيما آخر عرف « بالروك الحسـامى » (٤) وكان أول روك للأرض المصرية ، ويرجع السبب فى هذا الروك الى أن الأمراء كانـوا كثيرا ما يأخذون من اقطاعات الأجناد ، فلا يصل الى الأجناد منها شيئا ويعتبر ذلك الاقطاع من دواوين الأمراء الذى يحتمى بها قطاع الطرق ، وتثور بها الفتن ، وتقوم بها الهوسات (المشاجرات) ، ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية وتصير كلها للأمراء ليستخدموها ، فأبطل السلطان ذلك ، ورد تلك الاقطاعات

---

(١) المقريزى : خطط ، ١ ص ٨٧ ؛

ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ص ٦٤ ٠

(٢) بيبرس الدادار : زبده الفكر ، ٩ ق ١٤٥٠ ٠

(٣) كان أول روك لها سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م وتم على يد الملك بن رفاعة عامل الخراج فى مصر فى خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى وكان الروك الثانى فى خلافة هشام بن عبد الملك تم حوالى سنة ١١٠ هـ ٧٢٨ م على يد عبد الله بن الحبحاب ، بينما كان الروك الثالث على يد ابن مدبر فى خلافة المعتز بالله العباس ٢٥٣ هـ ـ ٨٦٧ م ، وجاء الروك الرابع فى عهد الأفضل بن أمير الجيوش فى العصر الفاطمى وتم سنة ٥٠١ هـ ـ ١١٠٧ م وكان آخر روك قبل العصر المملوكى هو الروك الصلاحى نسبة الى صلاح الدين وتم سنة ٥٧٢ هـ ـ ١٢٧٦ م ٠

طرخان : النظم الاقطاعية ص ٥٦ ٠

(٤) الروك كلمة قبطية أصلها رويقة ومعناها الحبل وقد اصطلح استعمالها للقيام بعملية قياس الأرض بالحبل ، كما أن كلمة روش مشتقة من اللفظ الديموطيقى « روح » ومعناها تقسيم الأرض ٠

أبو المحاسن ٠ النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٤٢ حاشية ١ ٠

على أربابها من الأجناد ، وأخرجها بأسرها من دواوين الأمراء (١) حيث قسم (لاجين) الأرض تقسيما آخر جعل بمقتضاه للأمراء والأجناد أحد عشر قيراطا ووزع عشرة منها ، وأبقى القيراط الحادى عشر لزيادة اقطاع من ينضح فيما بعد أنه قد حاق به شيء من الغبن · وجعل للسلطان أربعة قراريط كما كانت الحال فى الروك السابقة ، وخصصت النسعة قراريط الباقية ليكون بها فرقا جديدة فى الجيش (٢) ·

ولقد انتهى هذا الروك بعد مجهود دام ثمانية وخمسين يوما فى سنة ٨ رجب ٦٩٧ هـ – ٥ فبراير ١٢٩٨ م وزعت مثالات الأمراء ، وفى اليوم الثانى وزعت مثالات مقدمى الحلقة وفى اليوم الثالث وزعت مثالات أجناد الحلقة ، واقطعت البلاد تبعا لهذا الروك للأمراء والأجناد كاملا ولم يستثن سوى الجوالى والمواريث الحشرية لأنها اعتبرت من المخصصات السلطانية ، ولم تدخل الأجناس سوى (الأوقاف) ضمانات الاقطاعات اعتبارا منها وقفا على أعمال البر والخير (٣) · ولم يرض الأمراء عن هذا الروك فقد ذكر المقريزى (٤) أن السلطان لاجين تولى فرض المثالات على الأمراء والمقدمين ، « فبان له فى وجوههم التغير لقلة العبرة » (٥) ·

أما مثالات الأجناد منذ تولى أمر توزيعها « منكوتمر » نائب السلطان (٦) فلم يجد أحدا منهم يعترض على مقدار اقطاعه خوفا منه واستمر منكوتمر فى عملية التوزيع هذه عدة أيام وكان لاقطاع الأمراء والجند ، أما باقى البلاد فيستغلها مقطعا كيفما شاء أو حتى نقودا يحصلها من بعض البلاد ، الا أن الجند لم يرضوا عن مقدار نصيبهم فى الاقطاعات وشكوا محتجين على ما أصابهم من ظلم ، فتصدى لهم منكوتمر ، وأمر بسجن المحتجين ، حيث يقول المقريزى فى ذلك « شق ذلك على الأجناد وتجمعت طائفة منهم ورموا مثالاتهم وقالوا انا لم نعتد بمثل هذا ، فأما أن تعطونا ما يقدم بكفايتنا والا فخذوا أخبازكم (أى اقطاعاتكم) واما نخدم الأمراء أو نقيم بطالين ، فحنق منهم منكوتمر ، وأمر الحجاب فضربوهم وأخذ

---

(١) المقريزى · خطط ، ١ ص ٨٨ ·
طرخان : النظم الاقطاعية ص ٩٧ ·
(٢) نفسه السلوك ، ١ ص ٨٤٢ – ٨٤٣ ·
ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ص ٣٩٧ ·
(٣) المقريزى · السلوك ، ١ ص ٨٤٥ ·
(٤) نفسه · نفس المصدر والجزء ص ٨٤٥ – ٨٤٦ ·
(٥) العبرة وهى متوسط حصيلة الاقطاع (انظر المقريزى : خطط ، ١ ص ٨١ – ٨٧ ·
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٨ ص ٩٣ ؛
أنظر : طرخان : النظم الاقطاعية ص ١٠٣ ·
(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ص ٣٩٧ ·

سيوفهم وسجنوهم ، وبالغ في الفحش ، وصار ينظر الى الأمراء ويقول « من منكم يشتكى من خبزه (١) حتى أعرف السلطان ، ولو أننى أعرف ما يقول له السلطان » فأما أن يرضى يخدم وأما الى لعنة الله » ، فعرف الأمراء أنه يعنيهم فسكتوا على مضض (٢) كما يقرر أبو المحاسن أن « منكوتمر » جلس ليفرق المثالات على العسكر فكان كل من يقع له مالا لا سبيل للمراجعة فيه ، فمن الجند من سعد ومنهم من شقى (٣) .

ولقد أشار ابن اياس الى ذلك بقوله « وكانت ضواحى مصر يومئذ مقسومه على أربعة وعشرين قيراطا منها أربعة قراريط للسلطان ، وعشرة للأمراء والاطلاقات وعشرة للجند كلهم مرسمه السلطان للتاج المذكور ، أن يكفى الأمراء والجند بعشرة قراريط ، على أن يزاد الذى يشكى من الأجناد قيراطا وبقى للسلطان ثلاث عشرة قيراطا ، فشكوا الجند من ذلك وضجوا (٤) فبعد أن كان متحصل الاقطاع الواحد فى عهد السلطان قلاوون يتراوح من عشرة آلاف درهم عن الاقطاعات الصغيرة وثلاثين ألف درهم عن الكبيرة فأصبح ما يتحصل من أكبر الاقطاعات بعد عمل الروك الخاص عشرين ألف درهم ونتناقص كلما صغرت مساحة الاقطاع ، لذلك قلت أرزاق الجند ولم يرض الأمراء عما نزل بهم من الظلم فى هذا الروك وما زاد من سوء الحالة أن منكوتمر لم يقبل شفاعه من الأمراء فيما حبسه من الأجناد ، فعولوا جميعا على شق عصا الطاعة (٥) ، ونشر روح التذمر والخطر فى البلاد ، و القضاء على كل من السلطان لاجين ونائبه منكرتمر » (٦) .

ولم يجد افراج السلطان عن الأجناد المحتجين ووعده بزيادة اقطاعاتهم واقطاعات الأمراء نفعا ، بل ان هذا الروك من أهم العوامل التى أدت الى القضاء على السلطان لاجين ، ولقد روى أبو المحاسن عن ذلك « وكان عمل الروك وتفرقته من أكبر الأسباب فى فتك الأمراء بالسلطان « لاجين » وقتله وقتل نائبه منكوتمر ، وكان هذا الروك أيضا سببا كبيرا فى أضعاف الجند بديار مصر واتلافهم ، فانه لم يعمل فيه عمل طائل ، ولا حصل لاحدهم زيادة يرضاها ، وانما

---

(١) المقريزى : السلوك ، ١ ص ٦٤ – ٦٥ ،
طرخان النظم الاجتماعية ص ١٠٤ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ١ ص ٨٤٥ – ٨٤٦ .

(٣) أبو المحاسن : المنهل الصافى ، ٣ ص ٢٦٧ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ص ٣٩٧ .

(٥) طرخان . النظم الاجتماعية ص ١٠٤ ؛
على ابراهيم : دراسات فى تاريخ المماليك ص ٣٣٥ ،

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ص ٣٩٩ .

توفر من البلاد جزء كبير عندما قتل الملك المنصور « لاجين » والتى قسمها الأمراء زيادة على ما كان بيدهم (١) .

وفى شهر شعبان ٧١٥ هـ ـ ١٣١٥ م شرع الناصر محمد بن قلاوون فى عمل الروك الذى عرف باسم « الروك الناصرى » نسبة اليه ، وهو الروك الثانى فى تاريخ دولة المماليك البحرية والسابع فى تاريخ مصر الاسلامية .

وكان سبب هذا الروك أن « أصحاب بيبرس الجاشنكير وسيلار وجماعة البروجيين حيث كان خبز الواحد منهم من مائتى ألف مثقال فى السنة الى ثلثمائة ألف مثقال ، فأخذ السلطان أخبازهم وخشى العنف وقرر مع ناظر الجيش روك البلاد » (٢) .

ولقد أشرف على تقسيم الأراضى فى هذا الروك أربع لجان ، تضم كل لجنة منها ثلاثة أو أربعة من الأمراء يعاونهم عدد من المستوفين والكتاب والقياسين ، وقامت هذه اللجان بما عهد اليها خير قيام ، فضبطت الأرض ومسحتها وأحصت غلتها وخراجها ، وما فرض عليها من الأشياء الأخرى من الدجاج والعسل والخراف والكشك والكعك والبرسيم والعلف للدواب ، وانتهت هذه اللجان من مهمتها بعد عمل متواصل دام خمسة وسبعين يوما (٣) .

وكان من أثر ذلك أن زيدت أنصبة الأمراء والأجناد عما كانت عليه فى الروك الحسامى فأصبحت أربعة عشر قيراطا بعد ان كانت أحد عشر ، وخصصت العشرة قراريط الباقية للسلطان ومماليكه وكتبت مثالات بقراريط الأمراء والأجناد عما كانت عليه فى الروك . وقام السلطان الناصر محمد ابن قلاوون فى ٢٢ ذى الحجة سنة ٧١٥ هـ ـ ١٣١٥ م بتوزيعها فى قلعة الجبل ، وكان كلما جاء أحد المستحقين فى الاقطاعات يسأل عن اسمه واسم التاجر الذى أحضره الى مصر والأمير الذى التحق بخدمته فى حداثة سنه ، والمواقع الحربية التى اشترك فيها حتى يستوثق من شخصيته ثم يسلمه مثالته وكان ذلك يتم بحضور كبار الأمراء فان حاول أحدهم التأثير على السلطان فى أثناء توزيع المثالات ، وذلك بالاطناب فى شجاعة أحد الأجناد حتى يزيد مقدار ما يمنح له من الاقطاع ، عمد السلطان الى اعطائه دون ما يستحق حتى لا يجسر أحد على التكلم فى حضرته ، فلم يكن

---

(١) أبو المحاسن : المنهل الصافى ، ٣ ص ٩٥ ؛ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ١ ص ٣٩٩ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٤ ص القسم الأول ص ٢٢١ ؛
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٢ ص ١٧٩ .

(٣) العينى : عقد الجمان ، ٢٣ القسم الأول ص ٥٤ ؛
المقريزى : خطط ، ١ ص ٨٨ .

للوساطة أو الأغراض الشخصية أثر فى مقدار ما يمنح للأجناد من الاقطاعات وانتهى توزيع هذه المثالات فى آخر المحرم (٧١٦ - ١٣١٦ م) (١) .

وقد اشتد الناصر فى معاملة كل من حاول رد « مثالته » ويقوم بالشكوى من جراء ما أصابه من الاقطاع فكان جزاؤه أن يعاقب بالضرب والحبس والحرمان من نصيبه ، وذلك كما فعل السلطان « لاجين » ونائبه « منكونمر » مع المحتجين على أنصبنهم فى « الروك الحسامى » وقد أدى هذا الروك على الرغم من زيادة عدد القراريط التى منحها الأجناد من الأراضى الى نفس النتيجة التى أدت الى عمل الروك الحسامى اذ أنه قد زيد فى هذا الروك أكثر الأجناد ولكنهم أخذوا اقطاعا غير الذى كان لهم (٢) .

كما أن كثيرا من الأمراء ممن بلغ اقطاع الواحد منهم ألف دينار قد هبط الى مائتى دينار ، على حين زادت أنصبة الكثير منهم رغم عدم استحقاقهم لتلك الزيادة ولقد وزعت اقطاعات بعض الأمراء والأجناد فى أماكن متباعدة اضعافا لهم ، ذلك لكى يضمن السلطان تمركز السلطة فى يده وكان هذا تدبير بعض الأقباط الذين أسلموا ، وهم المعروفون باسم « المسالمة » وهؤلاء قربهم الناصر اليه (٣) .

وقد عبر المقريزى عما حاق بالأجناد من غبن يرجع سببه الى عدم مراعاة الناصر جانب الدقة فى توزيع المثالات فى هـذه العبـارة فانه كان يعطى المثال كيفما وقعت يده عليه (٤) . وفيما أورد المقريزى أيضا وأبو المحاسن عن احجام الأمراء تبليغ السلطان استياء الأجناد من هذا الروك ، وعما نال أحد اتباعه من التعذيب البالغ على أثر ابلاغ مولاه أمر هذا الاستياء ، وان كنا نتبين أن عدم اعلان الأجناد وتذمرهم من أنصبتهم فى هذا الروك ، كان راجعا قبل كل شىء الى ما عرف عنه من الصلابة ومهما قيل عن الروك الناصرى ، فلا يساورنا فيه أدنى شك ان مصر كان يسودها الاضطراب والفوضى قبل القيام به ، وخاصة اذا عرفنا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اعتبر ما كان يقدمه الفلاحون من دجاج وعسل وخراف وكشك وكعك وبرسيم وعلف للدواب وهو ما كان يعرف بحق الضيافة (٥) ، وكان جزءا مقررا من القيمة المستحقة لكل من الأمراء من الأجناد فى اقطاعتهم . وكان بجانب الاقطاع حق الضيافة هذا ؛ نجد الرواتب اليومية أو السنوية من اللحم والتوابل والخبز والشعير والشمع والسكر (٦) .

---

(١) المقريزى : خطط ، ١ ص ٨٨ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٨ .

(٣) ابراهيم طرخان . النظم الاقطاعية ص ١٠٥ .

(٤) على ابراهيم . دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ص ٣٣٦ وما بعدها ؛ خطط ، ١ ص ٩٠ ، ٩١ .

(٥) المقريزى . الخطط ، ٣ ص ٣٥١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ ص ٥١ .

وقبل أن نحدد مقدار ما تناله طبقة الأمراء والأجناد معا من حيث عدد القراريط التي تخصهم من أرض مصر ، فأننا نوضح أنه كان هناك بعض الأمراء أو الجنود من طبقة المماليك الذين لا يستطيعون القتال أو القيام باعباء وظيفة الدول لكبر سنهم أو ضعف قدرتهم فيسمى الواحد منهم « طرخانا » وحالته طرخانية وجمعها طرخانيات وهؤلاء لا يتسلمون اقطاعا أو قيمة اقطاع ، وانما مبلغا من المال « معلوما » (١) وهو ما يعرف★ بالجامكية ٠

★ ★ ★

أما الرواتب أو ما كانت تسمى جامكيات وهي ما تعرف بالرواتب الجارية في كل يوم أو كل سنة من اللحم والتوابل والخبز والشعير والزيت والشمع والسكر (٢) وهو ما جاء في كل المصادر الأخرى (٣) ٠ ويمكننا في هذا المجال أن نوضح مقدار ما تناله طبقة الأمراء والأجناد معا من حيث عدد القراريط التي تخصهم من أرض مصر فلقد كان المثال الذي يمنح للأمير يحدد منه للأمير ثلث الاقطاع وللأجناد التابعين له السلطان ، ولم يكن للأمير أو لأحد من أتباعه أن يطلب الى أحد الأجناد التنازل له عن شيء من اقطاعه اللهم الا اذا رضي بذلك عن طيب خاطر ، بل حتم على كل أمير أن لا يفصل أحد من أجناده من غير أن يعرض أمره على نائب السلطنة بالقاهرة أولا ، فان رأى ما يستدعي اخراجه من حاشية الأمير التابع له ، أمر باخراجه وعين من يحل محله في خدمة ذلك الأمير (٤) ٠

ويبدو أن ذلك الاجراء قد اتبع وصار وكأنه قانون لضمان عدم التجاء أحد من الأمراء الى طرد أجناده بقصد زيادة نصيبه في الاقطاع المخصص له ٠ ولقد قررت مخصصات الأمراء من مستغلات الاقطاعات بحسب رتبهم في الجيش وفي خدمة السلطان سنويا كالآتي :

أمير مائـــه من	٨٠٫٠٠٠ دينار	الى	٢٠٠٫٠٠٠ دينار
أمير طبلخاناة من	٢٣٫٠٠٠ دينار	الى	٣٠٫٠٠٠ دينار

(١) ماجد . نظم دولة المماليك ، ص ١٤٣ ٠

(٢) المقريزى : الخطط ، ٣ ص ٣٥١ ٠

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١٣ ص ٤٨ ،

ابن اياس : بدائع الزهور ، ٣ ص ١٦ ٠

★ وهو أصح تعبير جاء في الكتب الحديثة والتي سبق أن تكلمنا عنها في الفصل الأول والجدير بالذكر هنا أن نوضح الجامكية وتشمل الراتب والرواتب ٠ فأما الراتب فهو ما حدده تماما المقريزى في قوله الراتب المالي أو دراهم الكسوة ٠

المقريزى : خطط ، ٢ ص ٢١٥ ٠

(٤) نفسه ، نفس المصدر والصفحة ٠

أمـير عشرة	٧٠٠ دينار	الى	٩٠٠٠ر٩	دينار
مقـــدم حلقـه	٢٥٠ دينار	الى	٥٠٠ر١	دينار(١)

وبجانب هذا كما ســـبق أن أسرنا الى ما كن مقررا للأمراء المعيين فى خدمة السلطان من الرواتب الســـلطانية من اللحم والتوابل والعليق والزيت والكســـوة والشـــمع ، كما كان للمماليك الســـلطانية وأجنـــاد الحلقة رواتب مماثلة (٢) من عند السلطان ، ولكن مقاديرها كانت تتفاوت زيادة ونقصانا ولقد كانت رواتب هؤلاء الأمراء والمماليك الأجناد لم تكن لها علاقة بما يمنحون من اقطاع وانما كان يمنحها لهم السلطان على سبيل النفقة ، لذلك كانت تمنح أحيانا فوق الاقطاع الذى لهلابناء الأمراء فبطلق له من طرف السلطان (دنانير ــ خبز ــ لحم ــ علبق الى أن ينأهل للاقطاع فى جملة الحلقة) (٣) .

ولقد كان من المعتاد فى حالة وفاة أمير أن يصـــبح اقطاعه شاغرا ويأمر السلطان بمنح الاقطاع أحد المستحقين من الأمراء ، فتكتب « رقعة » فى ديوان الجبش بذلك الاقطاع ونرسل الى ديوان الجيش بالقاهرة ، فيتولى ناظر الجيش عرضها على السلطان ، فان أقرها كنب عليها كلمة (يكتب) وعلى أثر ذلك تحرر مربعة من ديوان الجيش وهو ديوان مستقل للجند ، وكان للأمراء موظفون لادارة اقطاعاتهم ، ولم يكن للدولة نفود عليها أو اشراف الا حين تقطعها الى أمير آخر ، على أن فى عصر المماليك لم يكن هناك مساوىء واخطار الاقطاع الأوربى وذلك لأن أرض الاقطاع لم تكن وراثية ، وفضلا عن ذلك فان الأمراء لم يقيموا فيها ، وهذا ما أضعف كثيرا من نظام الحكومة المركزية (٤) فى أوربا .

ولم يكن من حق من يقطع اقطاعا فى عصر المماليك أن يتصرف فيه بالبيع أو أن يتنازلعنه لغيره ، حيث أنه لم يزد كونها أرض استغلال ، وظل هـــذا النظام متبعا طوال هذا العصر المملوكى ، ولما ساءت الأحوال فى عهد أولاد الناصر حدث فى أثناء سلطنة شعبان بن الناصر محمد سنة (٧٤٦ــ٧٤٧/١٣٤٥ــ١٣٦) أن كثيرا من أجناد الحلقة كانوا يتنازلون عن اقطاعاتهم للآخرين (٥) بمال أو مقايضه الاقطاعات بغيرها ، فكثر الدخلاء فى الأجناد ، وبذلك انتشرت السوقه

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ ص ٥٠ .

(٢) طرخان : النظم الاقطاعية ص ١٥٢ ، ص ٢٠٨ .

(٣) القلقشندى . صبح الأعشى ، ٤ ص ٥٠ ــ ٥١ .

(٤) على ابراهيم : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٥) المقريزى : الخطط ، ٢ ص ٢١٩ ؛

ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية ص ١٦٧ ؛

David Ayalon, Studies on the structure of he mamluse As 2 my II B. Soavol 5 p. 453.

والارذال فى الاقطاعات حتى صار أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وسلبت منهم أراضى اقطاعاتهم (١) ٠

ولقد رخص لمن أراد أيضا فى ذلك العهد أن يندمج فى الحلقة من جند الأمراء أن يدفع لبيت المال رسما بقدر ايراده سنة كاملة ، وان كان الأمراء أدركوا خطر هذا العمل ، حيث من الممكن أن يؤدى هذا الى تحول معظم جندهم الى أجناد حلقة ، وبذلك يفل عدد جندهم ، فلجأوا الى السلطان وأبلغوه وجهة نظرهم فأقرهم وأبطل العمل بهذا النظام (٢) ٠

وفى عهد السلطان حسن بن الناصر محمد فتح باب المقايضات للجند مرة أخرى الذين يبيعون اقطاعاتهم بغرض الحصول على المال واستولى بذلك كثرة من العامه على بعض الاقطاعات وقد بلغ ثمن الاقطاع الواحد فى بعض الأحيان عشرين ألف درهم ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا حتى كانت أيام السلطان صالح بن ناصر محمد الذى سمح للأجناد ببيع اقطاعاتهم والمقايضة عليها بالأموال ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل انه كانت هناك جماعة عرفوا باسم المهسين وكانت مهمتهم تنحصر فى ترغيب الأجناد فى بيع اقطاعاتهم ، وقد بلغ عدد هؤلاء الوسطاء نحو نلسمائة (٣) وكانوا يتقاضون على الصفقة الواحدة ١٠٪ من ثمن البيع ، وقد صار بيع الاقطاعات أمرا مألوفا فى ذلك الحين حتى أصبح عدد الجند الذين يملكون اقطاعات أقل بكثير مما كان من قبل ٠

ولقد ظل هذا النظام متبعا حتى ألغى فى عهد السلطان الصالح زين الدين عام (٧٨٣ ــ ٧٨٤) = (١٣٨١ ــ ١٣٨٢) وقد أدى هذا النشاط الى أضعاف الحلقة الى حد كبير مما أدى الى تفككها ٠ ولقد وصل انحلال الحلقة وتفككها الى أقصى مداه فى نهاية عصر المماليك البحرية حيث كان السلطان يخصص لأبناء الأمراء رواتب (٤) من اللحم والخبز والعلف لدوابهم ، ويستمر الحال على هذا الحال حتى يكبروا ويثبتوا أهليتهم للاقطاعات والاندماج فى سلك أجناد الحلقة ، ثم يتدرجون فى المناصب بقدر ما يبدون من ضروب الكفاية والاستقامة ولقد كان السلاطين لا يمنحون الاقطاعات للأمراء أو أجناد الحلقة الا بقدر شجاعتهم وشهامتهم فى الحروب (٥) (ولسوف يورد ذلك تفصيلا بالفصل الثالث) ٠

ولم تنص المصادر على سن معينة للتقاعد ، بل كان يراعى قدرة الأمير أو الجندى على العمل اذا وصل أحد أفرادها من الطبقتين الى حالة لا تسمح له

---

(١) المقريزى الخطط ، ٢ ص ٢١٩ ٠

(٢) المقريزى الخطط ، ٢ ص ٢١٩ ٠

(٣) Ayolon, Studies on the structure of the Mamluk Army II B. S.O. A Vol. 5 .1953) p. 454.

(٤) طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٤٧ ٠

(٥) المقريزى ٠ الخطط ، ٢ ص ٢١٩ ٠

بالاستمرار فى مزاولة عمله ، والتمس من السلطان أن يجعله (طرخانا) (١) ٠

ومن المحتمل أن الأمير الطرخان كان لا يتمنع باقطاعه القديم ، بل يعين له السلطان مبلغا من المال والدليل على ذلك أنه لما مسح الناصر محمد بن قلاوون البلاد المصرية (٧١٥ ـ ١٣١٥) جعل جهة مكس اقطاعا لضعفاء أجناده الذين لا يستطيعون الاستمرار فى العمل وجعل لكل منهم ثلاثة آلاف درهم (٢) ٠

على أنه كان من الممكن أن يبقى الأمير الطرخان متمتعا باقطاعاته اذا رأى السلطان ذلك ففى سنة ٧٠٥ ـ ١٣٠٥ م شكى الأمير «بدر الدين بكتاش الفخرى» كبر سنه وعجزه عن الاستمرار فى العمل ، والتمس المغادرة من الخدمة فاجيب الى طلبه وسمح له بالاحتفاظ باقطاعه وأضيفت أجناده الى أجناد الحلقة (٣) ٠

هذا ما كان عليه المجتمع العسكرى المملوكى أو على أصح تعبير المؤسسة العسكرية التى قامت فى هذا العصر ، والتى ظهر ذلك واضحا فى أصل نشأتها وأسلوب تربيتها التى كانت نتيجة تدريب عسكرى شاق ، أدت بالقوة المصرية الى الوصول الى مستوى قتالى يخشى بأسه ٠

ولقد ألقى الضوء على كل ما يتعلق بالقوة المصرية من حيث الأصل المملوكى البحرى ، والتربية والنشأة ، والتدريب القتالى والزى والاقطاع والجاميكيات ٠

---

(١) الطرخان . هو السماح لشخص بالاقامة حيث شاء ويحصل متى يشاء وتمنح الطرخانية للأمراء أو الأجناد وبخاصة عند كبر سنهم وضعف تدريبهم على العمل وعجزهم عن الخدمة السلطانية القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٣ ص ٤٨ ٠

(٢) المقريزى ، خطط ، ١ ص ٩٠ ٠

(٣) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٩٠ ٠

الفصل الثالث

الجيش المملوكي البحرى وتكوينه والشئون الادارية

- ديوان الجيش
- الامره ووظائفها والرنوك
- المماليك السلطانية
- جند الحلقة
- جند الأمراء
- الشئون الادارية

يتكون الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى كأى جيش من الجيوش من قيادة وقادة وجند ، ولقد كانت القيادة تتمثل فى ديوان الجيش ، ولقد كان ديوان الجيش (١) يعرف كأحد دواوين السلطنة الرئيسية ، وحيث أن الدولة المملوكية نشأت وترعرعت فى ظل نظام عسكرى ، أو كما سبق أن أوضحنا انها كانت كمؤسسة عسكرية . وكان ذلك أهم مميزاتها وصفتها ، حيث يتمتع ديوان الجيش بأهمية كبرى ووضع خاص فى دولة المماليك ، حتى ان المقريزى وصفه بأنه « أضبط الدواوين وأكثرها نفعا » (٢) ، وفيه تحفظ الأوراق الخاصة بأسماء الجنود والأمراء . وكان مركز هذا الديوان هو قلعة الجبل — (وهو يشبه فى وقتنا هذا هيئة التنظيم والادارة وادارة شئون ضباط القوات المسلحة معا) وكذلك نجد أن وصف القلقشندى لأهمية هذا الديوان قال « فطنة الاقطاعات ، أى سجلها كما أنه أكبر الدواوين المختصة بالشئون الادارية » (٣) « ولم تكن أسماء الجنود تسجل بديوان الجيش الا عن طريق أمرائهم » (٤) . ولا يمكن

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٠ — ٣١ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٥٠ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٢٦٤ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة سلاطين ، ١ ص ٣٧ .
(٢) المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢١٥ ؛
الخالدى ، المقصد ، ص ٣٠٥ .
(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٣ ص ١٥٣ ؛
ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١١٩ .
(٤) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ١٤١ .

للجندي من الانتقال من خدمة الأمير التابع له الى خدمة أمير آخر الا باذن السلطان، وبعد صدور مرسوم خاص منه ، أو من نائبه ، ولا يستطيع الأمير أن يدخل فى خدمته مماليك جدد الا بسبب وفاة أو قتل أو طرد أحد أجناده من الخدمة (١) ٠

ومن المعروف ان الجنـــدى المملوكى كان يتبـع أميره فى كل شىء مثل اصطحابه فى الحملات أو حتى فى توزيع الاقطاعات أو تناول الوجبات (٢) ٠ وكان يرأس ديوان الجيش موظف كبير يعرف باسم « ناظر الجيش » (٣) يتولى أمر الاقطاعات بمصر والشـــام ، ويصـــدر أوامره بتدوين كل ما يختص بهـذه الاقطاعات فى سجل خاص ، ويستشير السلطان فى شئونها (٤) ٠

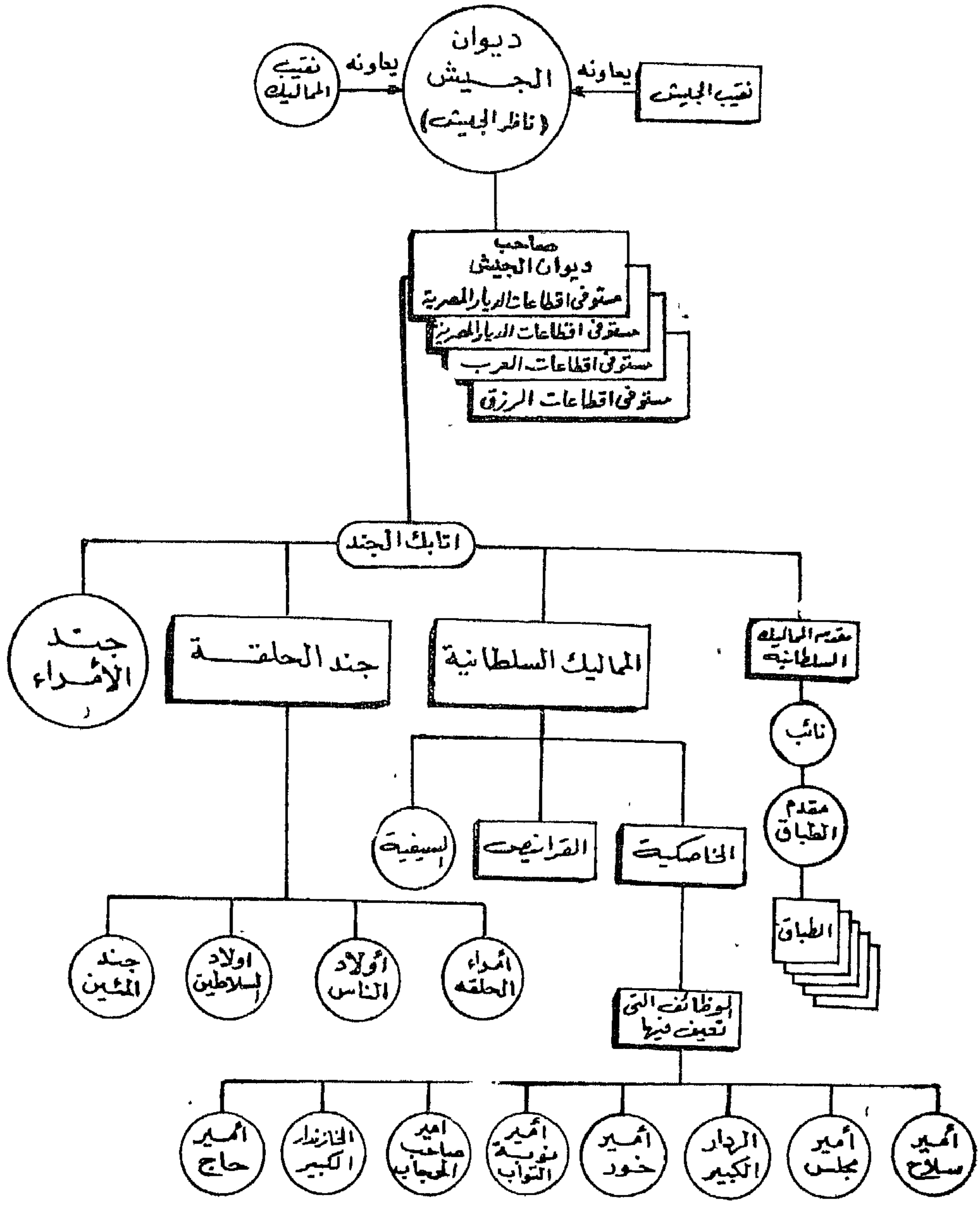
ولقد كانت وظيفة **ناظر الجيش** من الوظائف العـــالية فى الدولة ، وذلك لأن المسئول عنها يشرف على الجيوش وما يتعلق بها من جميع النواحى فى ذلك العصر الذى كان فيه للجندية مكانة رفيعة ٠ ويدل على صحة هذا القول ما رواه « خليل بن شاهين الظاهرى » انه أصبح أهل الدراية بتدبر الممالك ، ومن أنصف اصلاحها بايضاح الطرق والمسالك ؛ انه فراسة المملكة وسياقة الدولة ، وضبط أمور الجيش ، وحفظ أموال الجنـــدى فانه قطب مدارهـــا ، وســـبب استقرارها فيتعين الاعتناء به ، والنظر فى مصالح كتابته ، فان شأنه أرفع ، وديوانه أجمع ، وعلمه أوسع ، لا سيما فى دولة فسيحة الأطراف ، واســـعة الأكنـــاف ٠ وقد دلت جريدة جيشها على الآلاف ، تحتاج الى ترتيب منازلها على قدر طبقاتهم ، وضبط اقطاعاتهم ، ورعاية مبادىء مددهم وأقواتهم ، ومعظم هذه الأمور معروفة بناظر الجيوش المقصود والمشار اليه ، والذى مداره جميع أحوال المملكة على ما يصدر عنه ويرد اليه » (٥) ٠

وعلى سبيل المثال لا الحصر فان من أشهر من تولوا وظيفة منصب ناظر الجيش فى عهد السلطان محمد بن قلاوون هم : ابن لقمان ، القاضى فخر الدين ابن القمان (تولى هذا المنصب مرتين) ، والقاضى قطب الدين بن الشـــيخ ،

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٥
الباز العرينى ، الاقطاع الحربى بمصر فى عهد سلاطين المماليك ، ص ١٨ ٠
(٢) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٧ ــ ٨٨ ٠
(٣) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٤٠١ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٥ ؛
أنظر : ماجد : نظم دولة سلاطين ، ١ ص ١٣٩ ٠
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٠ ــ ٣١ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٤ ٠
(٥) خليل بن شاهين ، زبدة كشف المماليك ، ص ١١٣ ٠

الهيكل العام
للجيش المملوكي البحري



والقاضي شمس الدين موسى بن تاج الدين اسحاق ، والقاضي حكيم الدين خرويته (١) .

ولقد كانت هناك عدة وظائف لمعاونة ناظر الجيش وهم أربعة من كبار الموظفين (٢) ، يرأسهم اثنان وأولهم **صاحب ديوان الجيش** ، ويلي ناظر الجيش في الرتبة والأقدمية ، وينوب عنه في تصريف شئون هذا الديوان في حالة غيابه ، وثانيهم وهو ما يليهم في الأقدمية نائبه مهمته كانت تنحصر في تحديد مرتبات الجنود وتدوينها في كشوفات خاصة ، ويشرف كذلك على تنفيذ ما ورد بها وذلك بعد اعتمادها من السلطان حيث كان يقوم بهذا العمل شخصيا ثم يليهم الموظفون الأربعة الأولى ويسمى **مستوفي اقطاعات الديار المصرية** ، والثاني ويطلق عليه **مستوفي اقطاعات البلاد الشامية** (٣) . وقد وزع اختصاص هذين الشخصين على ذلك النحو لأن ديوان الجيش المصري كان منقسما في حقيقة أمره الى ديوانين وكل منهما يتولى أمور الجيش في مصر أو الشام وطبقا لاختصاصاته (٤) وثالثهم في الأقدمية من هؤلاء الموظفين كان يسمى **مستوفي اقطاع العرب** ، ويتصرف في شئون اقطاعات العرب ، وربما الغيت وظيفته وأضيفت اختصاصاتها الى مستوفي اقطاع البلاد الشامية . أما الموظف الرابع فهو ما يسمى **مستوفي الرزق ويشرف** على صرف نفقات الجنود (٥) . وهؤلاء الموظفون الأربعة يقومون بعمل هيئة الشئون المالية للقوات المسلحة في الوقت الحالي . وكان يشترط في هؤلاء الموظفين ان يكونوا على جانب كبير من الأمانة والدقة في تصريف الأمور التي يكلفون بها ، والدراية التامة بدقائق أعمالهم (٦) ، وكان يعمل مع هؤلاء عدد وافر من الكتاب والشهود ، اذ أن هذا الديوان يشرف على جميع جنود الدولة المملوكية بما فيهم المماليك السلطانية الذين يؤلفون قسما هاما من جيش المماليك (٧) .

ويساعد ناظر الجيش في عمله لادارة ديوان الجيش موظف كبير عُرف

---

(١) أبو المحاسن ، المنهل الصافي ، ٣ ص ١٥٢ ؛
القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١١ ص ٣٢٣ .

(٢) المقريزي ، الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ ـ ٣٥٠ .

(٣) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكر ، ص ١٠٣ .

(٤) الخالدي ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٣٦ أ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٤ ؛
Poliak, Feudalism in the near East, pp. 20.

(٥) علي ابراهيم حسن ، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص ٣٦ .

(٦) الخالدي ، المقصد الرفيع ، ص ١٣٦ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٥٦ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٥١ .

باسم « **نقيب الجيش** » (١) كان يعهد اليه أمر حراسته أثناء سفره ، أو حين خروجه فى المواكب ، ويقوم باستدعاء من يطلبه السلطان من الأمراء أو أجناد الحلقة ، ويشرف على الجند فى أثناء عرضهم ، كما يتكلم عند وقت محاكمة الخصوم من المماليك فى طباق القلعة وينفل اجابته اليه (٢) وكان من اختصاصاته أيضا الحكم فى الأمور البسيطة ، وبذلك لم تعد وظيفته وظيفة أحد صغار الحجاب (٣) (وهذا المنصب يشبه تماما وظيفة مدير الشرطة العسكرية فى القوات المسلحة حاليا) ، وقد كان يطلق عليه فى الشام اسم نقيب النقباء (٤) · وكذلك هذه التسمية عرفت فى مصر فى حكم قلاوون ·

وكان نقيب الجيش يختار من أمراء العشرات ويتمتع صاحب هذه الوظيفة بنفوذ كبير على كافة الناس ، يخشون بأسه وجبروته ، وفى ذلك يقول المقريزى بما يفيد أن نقيب الجيش كان يأخذ أموال الناس بالباطل حيث يقول « وأخذوا أموالهم بالباطل على سبيل القهر عند طلب أحد الى باب الحاجب ، ويضيفون الى أكلهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله تعالى بالكذب ، فيقولون على المال الذى يأخذونه باطلا : هذا حق الطريق ، والويل لمن ينازعهم فى ذلك (٥) · وكان الاسم العادى الذى يطلق على صاحب هذه الوظيفة هو نقيب الجيش أو نقيب الجيوش فى حين أنه كان يطلق عليه فى بداية العصر المملوكى البحرى نقيب العسكر (٦) ·

وبالاضافة الى ذلك نجد من جملة اختصاصاته أيضا أن يقوم باصطحاب الأمراء والموظفين المغضوب عليهم من السجن الى البلاط السلطانى ، أو العكس من البلاط السلطانى الى السجن ، وكذلك يصحب كل من الأمراء والموظفين المخلوعين الى الأماكن التى تم نفيهم اليها ، ويقوم بتوصيل الأمراء المحكوم عليهم بالاعدام الى ساحة الاعدام ، كما كان عليه أن يعلن للجيش بتجهيز نفسه لاستعراض أو حملة عسكرية ، وثم كان فى استطاعته أن برسل نقباء وأجناد الحلقة الذين تحت امرته الى القاهرة وضواحيها ، كما كان يرسل البريدية الى مناطق

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٦ ·

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢٢٣ ·

(٣) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٤٥٦ ؛
ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ص ٢٢٥ ، (طبعة حيدر أباد ١٣٤٨/١٩٥٠) ·

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٤ ·

(٥) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢٢٣ ·

(٦) أبو الفدا ، المختصر فى تاريخ البشر ، ٤ ص ١١١ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٦٥ ؛
ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ١٨ ص ١٣٢ طبعة بيروت ١٩٤٢ ·

مختلفة فى مصر (١) ٠

وبجانب نقيب الجيش فقد كان هنـاك فى العصر المملوكى البحرى وظيفة « **نقيب المماليك** » لمعاونة ناظر الجيش أيضا فى ادارة ديوان الجيش ٠ ويبدو أن اختصاصاته كانت محددة بالمماليك أو على أدق تعبير بالمماليك السلطانية ٠ وقد ذكر أحـد الأمراء انه كان نقيبا للجيش ، وانه كان يشـــغل منصـب نقيب المماليك (٢) ٠ وذكر آخر انه كان نقيبا للجيش وانه كان من قبل ذلك يشغل منصب نقيب للمماليك ٠

ونظرا لأن نقيب الجيش كان يشغل نقيبا للمماليك ، ومن ثم فاننا نرى أن المنصبين متشابهان من ناحية أسلوب العمل الوظائفى وان كانت المصادر لم تبين أوجه الاختلاف بين المنصبين ٠ وعلى أساس التسمية يمكننا أن نفترض أن وظيفة نقيب المماليك كانت تقتصر على المماليك الأمراء (وهو ما يختص بشئون ضباط حاليا) ، أما نقيب الجيش فقد كان يشمل الجميع (جميع أفرع الجيش ــ وهذا يعنى الدرجات الأخرى من الجند وهو ما ينطبق على هيئة التنظيم والادارة للقوات المسلحة حاليا ــ حيث تختص بجميع الدرجات الأخرى من الجيش دون الضباط).

ويبدو أن منصب صاحب ديوان المماليك بالنسبة الى منصب صاحب ديوان الجيش هو نفس الوضع بالنسبة لمنصب نقيب الجيش ومنصب نقيب المماليك ، ويمكن أن يكون نفس التفسير ، وان كان يبدو أن الوظيفة الأولى لم يعد لها وجود منذ أوائل النصف الأول من القرن الثامن أما بالنسبة لوظيفة نقيب الجيش والتى استمرت واشتملت على جميع أفرع الجيش المملوكى (٣) ٠

★ ★ ★

وتزودنا المصـــادر المعاصره بمعلومات وافرة عن تكوين الجيش المملوكى ، وفى مقدمتها القيادات التى كانت تسـمى بالأمراء ، ووظيفتهم الأمره ، ويمكن القول بأن السلطان كان على رأس هذه القيادات ، فلقد كان السلطان يعد رئيس الدولة الأعلى (٤) ٠ فهو زعيم أمراء المماليك والمســـيطر على شئونهم الخاصة والعامة ، وصاحب الحق فى تدرجهم فى مراتب الرقى ٠٠ وســبق أن أوضحنا كيف أن هذا المنصب لا يشغله الا أقوى هؤلاء المماليك ، الذى سرعان ما يعين له نائب يسمى نائب السلطان ، وبموت الناصر محمد ألغى منصب نائب السلطان الا أنه أعاد تجديده فيما بعد ولكن دون استعادة المنصـــب أهميته السابقة ،

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٦٩ ،
ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ٥ ،
السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٨٣ ٠

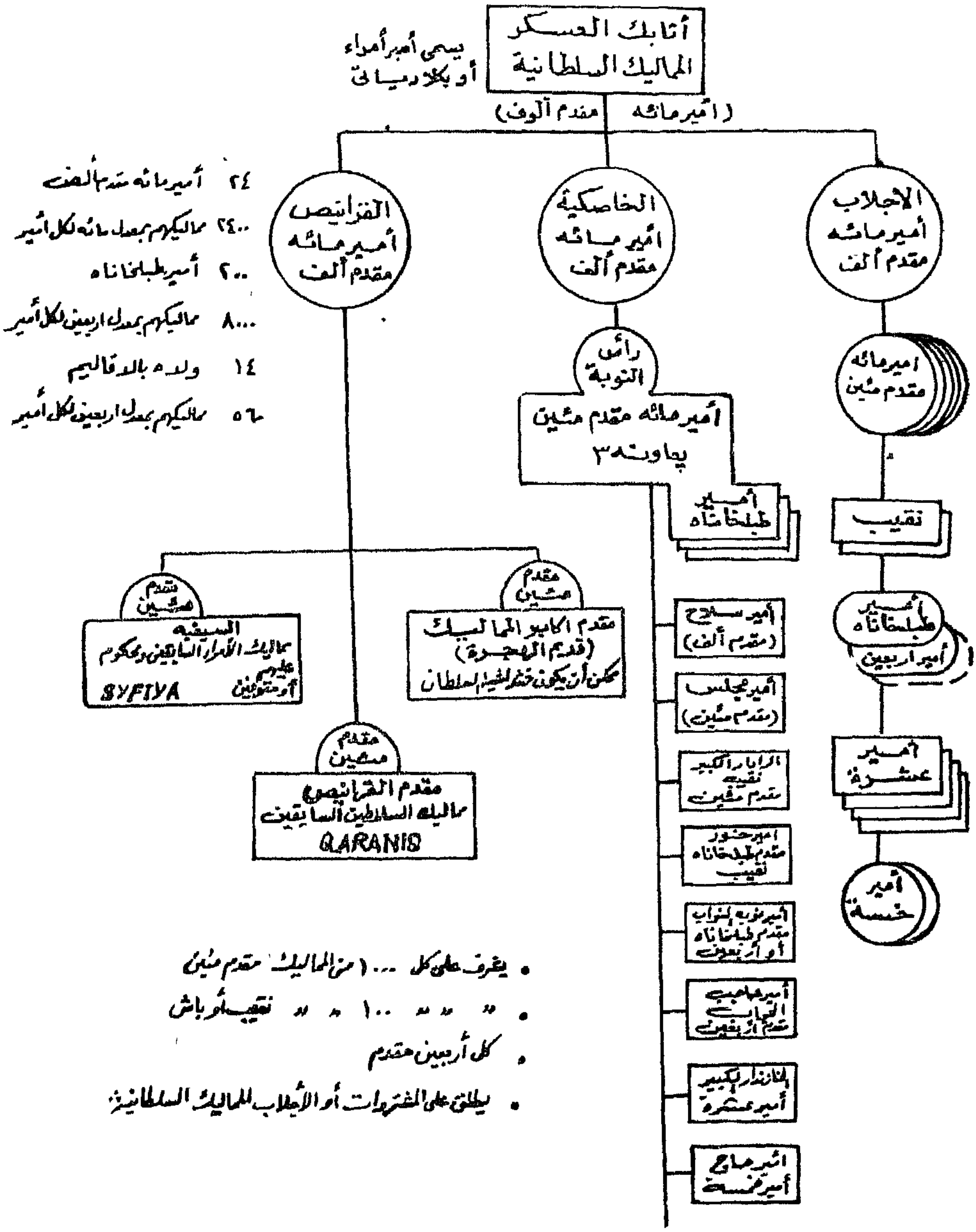
(٢) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٤٥٦ ،
ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ١ ص ٢٢٥ ٠

(٣) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, III B.S.O.A. Vol. 13, p. 45.

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ٠

التركيب التنظيمي

للجند السلطانية في العصر المملوكي البحري



- يفرق على كل ... (من المماليك مقدم مئين
- " " " ١٠٠ " " نقيب أو باش
- كل أربعين هقدم
- يطلق على المشتروات أو الأجلاب المماليك السلطانية

ولم يعط صلاحيات غير عادية ، وان كان بوسعه أن يمنح دخولا سنوية من منح واقطاعات حتى ٦٠٠ دينار ، وأن يستغني عن خدمات من يشاء . ولقد ذكرت بعض المصادر ان آخر من شغل هذا المنصب كان « اقبغه النمرازى » . وكان نائب السلطان يقوم بمهام القائم بأعمال السلطان عند غيابه في ظروف تستدعى رحيله من العاصمة أو عند قيامه بارسال حملة عسكرية (١) .

وعندما الغى منصب نائب السلطان الذى كان يقوم بتأدية تلك المهام أقدم الأمراء رتبة من الموجودين فى العاصمة ، وكان يلقب فى العصر المملوكى بنائب الحماية (٢) أو **أتابك العسكر** وهو كبير أمراء المماليك ، وكان شائعا ان يخلف السلطان العرش (٣) وكان قائدا أعلى للجيش (وهو ما يعرف حاليا القائد العام للقوات المسلحة) ولكن وظائفه كانت أوسع كما تشير المصادر الى ذلك وهو «مدير الملك» (٤) ، وان كان يلقب أحيانا باتابك الجيش أو بأتابكي الجيش ، وليس من الواضح تماما اذا كان لقب أمير الجيش يعنى أتابك الجيش أم لا ؛ حيث اختصر اسمه الى «الاتابكى» (٥) ويقول القلقشندى ان لقبه كان يكتب أتابك ثم تغير الاسم بعد ذلك ليصبح على ما صار عليه . ويقول الظاهرى ان الأتابك كان يطلق عليه لقب «باكلارياتى» ومعناها «أمير الأمراء» (٦) . ومع ذلك فان أكثر الأسماء شيوعا من الألقاب التى كانت تطلق على أتابك العسكر لقب الأمير الأكبر ، وكان أول من لقب بذلك اللقب هو شيخون العمرى (٧) وكان يطلق على العمل الذى يشغله « الانبكيه » أو « انبكيه العسكر » رغم تلقبنه بالأمير الأكبر .

وبالاضافة الى اتابك العسكر كان للجيش قواد يسمون الأمراء ووظيفتهم الأمره ، وكانت الأمره لجيش المماليك يصل اليها المملوك بالتدرج فى الترقى (٨) . ولقد كانت تتم مراسم الأمراء فى حفل كبير ، تمد فيه السماط « موائد الطعام » وتوقد له القاهرة وتزفه أهل الأغانى كما يقدم اليه الأمراء

---

(١) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Arym, II B.O.O.A. 15 (1953) p. 455.

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ١٦٧ .

(٣) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٧ ص ١٤٧ (طبعة بيروت ١٩٣٦/١٩٤٢) ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٥٦ ؛

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٨ ص ٢٨٦ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٦ ص ٦ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٧٩٤ .

(٦) الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٢ .

(٧) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ٤ ص ٣٦١ ؛
David Ayalon, studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A., Vol. 15, p. 455.

(٨) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٤٧ .

العطايا والهدايا (١) حيث يتسلم التشريفة من السلطان فى القلعة ويحلف يمين الولاء (٢) ٠

وكان الأمراء يندرجون من أمير خمسة الى أمير عشرة الى أمير أربعين الى أمير مائة ، ويتميزون فى درجاتهم باعداد الجند تحت أمرهم (٣) ، وباعداد المماليك الذين يملكونهم وحتى بعلامات تشريفية وهى نوع من الرنوك يتخذونها شعارا له ٠ فأمير خمسة كان فى خدمته خمسة مماليك وأكثرهم من أولاد الأمراء المتوفين أو من أبناء الأمراء المقدمين ، ويمنح الواحد منهم هذه الرتبة تقديرا لخدمات أبيه اذ كانوا يعدون من المقربين (٤) ، ولقد وصل عددهم فى الجيش الى ثلاثين (٥) ٠ أما أمير عشرة ، فكانت عند كل أمير منهم عشرة مماليك أو فرسان ، وربما منهم من يدخل تحت أمره عشرون فارسا ، ولكنه مع ذلك لا يعد الا من أمراء العشرات الذين كان عددهم يبلغ نحو خمسين أميرا ، ومثال ذلك الأمير « برسباى المؤيد » كان أمير عشرين فى عهد السلطان اتبال ويشغل وظيفة رأس النوبه ، ويذكر كذلك ابن شاهين أنه كان من أمراء العشر أو العشرين (٦) ٠ وكان يختار منهم صغار الولاة ، وصغار الموظفين من أرباب السيوف (٧) ٠

أما أمراء الأربعين فكان يمكن أن يطلق عليهم أيضا اسم « أمير طبلخاناه » وذلك لحقهم فى دق الطبول على أبواب قصورهم كما يفعل السلطان وأمراء المئتين ، ولكنه على صورة مصغرة ، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء الذين يشغلون هذه الرتبة الحق فى أن يحتفظوا فى خدمتهم بأربعين فارسا ٠ وغالبا عندما كان يموت ، تقسم امارة الأربعين الى امارة عشرين ، أو الى أربع امارات عشرا، أو العكس تجمع لتصبح أمير أربعين وقد سمى منهم أمير طبلخاناه بهذا الاسم لأن أصحاب هذه الرتبة كان أعلى من أمير أربعين درجة فى الرتبة ، حيث كان له الحق فى أن يعزف أمام داره فرقة تسمى طبلخاناه ، وتتكون هذه الفرقة من مجموعة من الطبل وبعض الأبواق والزمور وتعزف بطريقة معينة فى كل مساء بعد صلاة العشاء ، ويبدو أنهم سموا كذلك تمييزا لهم عمن هم أقل منهم فى

(١) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٢١٩ ــ ٢٢٠
(٢) نفسه ، نفس المرجع والجزء ص ٢٣٢ ٠
(٣) ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ، ص ١٤٥ ٠
(٤) المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢٢٠ ؛
نفسه ، السلوك ، ٢ ص ٣١٤ ؛
الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٢٣ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٥ ٠
(٥) الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣
(٦) الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣
(٧) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II Vol. 15.

التركيب الهرمى لأقدمية الرتب

فى الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى



الرتبة وليس لهم الحق فى دف الطبول • وهذه الطبقة تندرج طبقا لاعداد جنودها حيث تتفاوت فى الزيادة والنقص (١) ، فقد تزيد رتبة أمير أربعين الى سبعين أو ثمانين (٢) ، ولكن مع ذلك فلقد كانوا تحت قيادة مقدمى الألوف • ولقد كان عدد أمراء الطبلخاناه فى الجيش أو الوظائف من ثلاثين الى أربعين أميرا (٣) •

أما عن وظائف الأمره فكان عددهم فى دولة المماليك أربعة وعشرين وظيفة ، وان كان فى بعض الآحيان قد نقص الى عشرة أو عشرين (٤) • وكانت هذه الأمره وظيفة حربية خاصة بأرباب السيوف ، وتقترن عادة بلقب مقدم ألف فيقال « **أمير مائة مقدم ألف** » والمقصود بتلك التسمية المركبة وظيفة واحدة ، وهى أن يكون فى حوزة هذا الأمير مائة مملوك ، وهو فى نفس الوقت مقدم فى الحرب على ألف جندى من أبناء الحلقة (٥) • وكان المقربون منهم الى السلطان يسمون الأكابر (٦) ويقلدون الوظائف الكبرى فى الدولة والبلاط حيث يسمون الأمراء المقدمين أرباب الوظائف (٧) وهم أمير المجلس (ويشبه وظيفة مدير الخدمات الطبية للقوات المسلحة فى الوقت الحالى) ، وقد كان **أمير المجلس** مسئولا عن أمر الأطباء الباطنية والعيون ومن هم على شاكلتهم ، وكان ذلك المنصب يشغله شخص واحد ، ولم توضح المصادر العلاقة بين رتبه أمير المجلس وبين هذا العمل المحدد الذى كان لا يبدو أنه كانت له أهمية خاصة بالرغم من أن رتبته أمير المجلس (٨) وكان فى أول الحكم المملوكى البحرى أعلى من مرتبة أمير السلاح الا أن كلاهما لم تكن له أهمية بارزة فى ذلك الحين • وبالنسبة للوظائف التى كان يشغلها هؤلاء الأمراء فى قيادة الجيش فمنهم من تدرج فى أهمية المناصب كالآتى :

أمير السلاح (وظيفته تعادل وظيفة مدير الأسلحة والذخيرة فى القوات المسلحة حاليا) ـ فكان واجبه الرئيسى حمل **أسلحة السلطان** أثناء ظهور

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٥ ؛
المقريزى ، خطط ، ٢ ص ١٥ •
(٢) أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، ٤ ص ١٣ (حوادث سنة ٣٧٨ هـ)
(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٦٤٤ •
(٤) الظاهرى ، زبده كشف الممالك ص ٢٨ ص ١١٣ •
(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٨٠ •
(٦) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٥ ،
نفسه ، السلوك ، ١ ص ٢٣٩ ،
ابن شاهين ، زبده كشف الممالك ، ١ ص ١٣٣ •
(٧) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٥ ،
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٤ •
(٨) Ayalon, Studies on structure of the Mamlouk Army, III B.S.O.A, p. 59.

السلطان أمام الجمهور ، كما كان مسئولا أيضا عن « السلحدارية » وهى مكان وضع الأسلحة السلطانية · كما كان ينولى الاشراف على الرسانة «دار السلاح» وهو المكان الخاص بصنع واصلاح وصيانة السلاح ، وكان يشغل ذلك المنصب أمير ألف (١) ·

وعن **صاحب الحجاب** (وهى وظيفه نشـــبه وظيفة مدير ادارة القضـاء العسكرى فى القوات المســـلحة حاليا) فكان من واجباته الرئيسية النظر فى القضايا بين المماليك الأمراء القادة طبقا لقانون ياسا (٢) · كما كان أيضا من واجب الرئيس تقديم المبعوثين والضيوف الى السلطان ، وهو المسئول أيضا عن ترتيب الاستعراضات فى الجيش (٣) ·

أما عن **رأس نوبة النواب** (وهى وظيفة تطابق وظيفة رئيس هيئة التنظيم والادارة بالقوات المسلحة) فلقد ذكر القلقشندى (٤) أن هذا الأمير كان مسئولا عن المماليك (الملكية) المماليك السلطانية وهم جند السـلطان ذاته وكان عليه مراقبة سلوكهم ، بجانب انه كان يتولى تنفيذ أوامر السلطان ، كما كان مسئولا أيضا عن الاستعراضات التى يقوم بها الجيش قبل القيام بارساله الى مهمة فى الخارج ، وذلك قطعا بعد استشارة حاجب الحجاب ، ولقد استحدث رئيس نوبة النواب بعد الغاء منصب رئيس نوبات الأمراء (٥) وكان هذا المنصب يعرف قبل ذلك برئيس نوبه ثان ، وكانت رتبته أمير مائة مقدم ألف ، وكان كلقبه يعرف أحيانا « برئيس النوبه الكبرى » ، وكان عدد الذين يشـــغلون منصب رئيس النوبه أربعة واحد منهم أمير مائة مقدم ألف والباقون أمراء طبلخاناه ·

أما فيما يختص بوظيفة **الداودار الكبير** « وهى تطابق مدير شئون الضباط بالقوات المسلحة حاليا) ، فلقد كان عمله الرئيسى المكاتبات السلطانية ــ وقد استمدت هذه الوظيفة من السلاجقة حيث كان يشغلها مدنيون تحت سيطرتهم ، وتحت سيطرة الخليفة العباسى · وكان بيبرس هو أول من جعل شاغل هـذه

---

(١) العلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ،
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٥ ص ١١١ ·

(٢) بولياك ، الاقطاع ص ١٤ ، ١٥ ، ص ٦٥ ·

(٣) وقد جرت العادة على تعيين خمسة من الحجاب ، اثنان منهم وهم صاحب الحجاب ، والحاجب الثانى وهما أمراء الألف ، وقد قلب وظيفة الحاجب الثاني لتصبح أمير عشرة ، وعندما انشـأت هذه الوظيفة كان هناك ثلاثة حجاب ، وقد زاد عددهم السلطان الى خمسة ، وكان أقلهم فى الرتبة يشغل منصب مير عشرة ·
انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٩ ·

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ١١١ ·
Ayalon, Studies on structure of the Mamlouk Army, III
B.S.O.A. Vol. 16, p. 62.

(٥) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ص ٥٠٤ ·

الوظيفة من أمراء العشر ٠ وفى أثناء حكم دولة المماليك البحرية لم يكن شاغل هذا المنصب من بين الأمراء المهمين الا أنه أصبح فى أيام حكـم الشراكسة بعد ذلك من بين كبار أمراء السـلطنة (١) ٠ وكان من بين مهام الدوادار فى أواخر حكم المماليك البحرية ان يقرر من بن جند الحلقة من هو أجدر بالايفاد فى مهام عسكرية ٠

أما عن **أمير أخور** (وهو ما يشبه وظيفة مدير المركبات بالقوات المسـلحة حاليا) وكانت مهام وظيفته هى رئاسة الاسطبلات السلطانية حيث توجد خيل السلطان التى يستخدمها فى حروبه وكان يقيم الاسطبل السلطانى ، وكان تحت امرته ثلاثة أمراء طبلخناه ، وعدد لا يحصى من أمراء العشر وغيرهم (٢) ٠

أما **أمير خازندار** (٣) (وهو يشبه وظيفة مدير السجن الحربى حاليا) وهو المسئول كذلك عن الزردخانه وهى خزائن السلاح ، وكان يقوم باعتقال من ينفذ منهم العقوبة التى قد تصل فى بعض الأحيان الى القتل ومن هنا جاءت التسمية « أمير خازندار » (٤) ٠

هذه هى المناصب العسكرية المهمة من الأمره وتخصصات كل منها ، والتى يصل اليها أمراء المماليك بالترقى من درجة الى أخرى (٥) ، وان كان فى بعض الأحيان يصل اليها عن طريق المحسوبية بأن يكون له سنة فى خدمة الوظيفة ثم يرقى مباشرة من قبل السلطان أو نائبه وبمشاورة السلطان (٦) ٠ هذا وقد ضم السـلطان « النـاصر محمد قلاوون » الى الأمير بيبرس الدوادار مائة فارس وجعله من الأمراء المائه ، بعـد ان كان « قلاوون » قد أوصـله الى مرتبـة أمراء الطبلخاناه ٠ وقد كان الناصر محمد بن قلاوون يمنح مماليكه فى بعض الأحيان مناصب عالية حتى (يملأ) أعينهم بالعطاء الكثير (٧) ، ولم يكن يتبع عادة أبيه قلاوون فى تدرج المماليك فى المراتب والمناصب والوظائف بالرغم من أنه كان

---

(١) القلقشندى ، صبح ، ٤ ص ١٦ — ٢٢ ٠
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ١١٣ ٠

(٢) كان هناك أمير خور للتبن والدريس ، خور للجمال ٠
أنظر ٠ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ١١٣ ٠

(٣) هذا الاسم يتركب من ثلاث كلمات : أولها أمير ، والثانية خان ومعناها بالفارسيه والتركية « الروح » والثالثة دار معناها ممسك فيكون المعنى المقصور « الأمير الممسك بالروح »
انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٦١ ٠

(٤) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢٢٢ ٠
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ٨٤ ٠

(٥) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٤٧ ٠

(٦) نفسه ، نفس المصدر والجزء ص ٣٤٩ ٠

(٧) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، ص ٥١٤ ٠

يراعى فى ترقيتهم مواهب كل منهم وكفاءته وخبرته ، بجانب أنه كان الناصر محمد يكافىء الأمراء المخلصين ، ويعاقب من يثبت لديه ادانته ٠

★ ★ ★

هذا ما كان من الأمره ووظائفها ، أما ما كان من شعارات الدلاله على هذه الوظائف وتصنيفها فلقد وضعت لكل منها أشكال وشعارات تدل عليها ويحملها صاحبها وكذلك مجموعته التى تعمل معه ٠

فمن الجدير بالملاحظه انه عند تأمير مملوك كان يمنح الرنك (١) الدال على شعار وظيفته ، والتى استخدمها المماليك للدلالة على اشارة أو شعار أو علامة يتخذها المملوك لنفسه عند تأمير السلطان له ، والتى تكون ذات صلة وثيقه بالوظيفة التى سوف يشغلها بعد تأميره (٢) ٠ والرنك هو رسم لشىء معين مثل حيوان أو طائر أو نبات أو أداه (مثل ما هو معمول به حاليا بشعارات الأسلحة المختلفة فى القوات المسلحة) وقد يتشكل من لون واحد أو من عدة ألوان حيث كان يوضع على جميع الأماكن المنسوبة الى صاحبه ، حيث كان يوضع على البيوت وباقى الأماكن الأخرى المنسوبة له كمطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغيرها ، ويوضع الرنك عند رسمه على قماش خيوطه من جوخ مقصوص وعلى قماش حباله من خيوط صوف ملون تنقش على العبى والبلاسات (وهى كلمة فارسيه تعنى السجاد السميك) وغيرها ، وربما نقش على السيوف والأقواس والأدوات المعدنية والخشبيه والزجاجيه (٣) وغيرها من أشكال الرنوك المختلفة المستخدمة فى هذا العصر ٠

وهذه الرنوك تعبر عما يتصف بها الأمير من صفات وتترجم عن اسم ان كان للاسم معنى أو على الأقل الصفة يتمناها الشخص الذى اختار الرنك ان تكون فيه هو ، وذلك نتيجة انفعالات نفسية داخل صاحب الرنك التى من الممكن أن تؤدى الى الدلالة على صفة محببه (تكون الأساس فى القيم ـ مبادىء) لصاحب الرنك ومجموعته (٤). ٠

ومما يدل على ذلك اننا نجد أسماء معظم سلاطين المماليك وأسماء كل أمراء دولتهم تقريبا عبارة عن أسماء أشياء أو حيوانات فى اللغات التركية والفارسية والتتريه وذلك مثل بيبرس ومعناها فهد ، قلاوون ومعناه بطه ، طرخان معناه الصقر ، ودكتمر معناه الأمير حديد ٠ ومن أسمائهم أيضا ما يدل

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ٩٦ ٠
(٢) جمال محرز ، الرنوك المملوكية ، مجلة المقتطف (مايو ١٩٤١) ٠
(٣) المقريزى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٦٧٣ ٠
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٦٣ ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١١٠ ٠

على صفات من احدى اللغات المتقدمة ومنها سلار ومعناه المهاجم ، وأزبك معناه السبيل (١) وهذه الأسماء ما هي الا مجموعة من صفات حميدة للرجل العسكرى من الشجاعة والنبل ٠ وكل هذه الصفات المطلوبة للجند فرضتها الدولة المملوكية البحرية أو بمعنى أدق المؤسسة العسكرية لدولة المماليك ، وتأكيدا لذلك نجد القلقشندى يقول « والترك راعوا فى أســـمائهم ما يدل على الجلاد والقوة مما يألفونه ويجارونه وغالبا ما يسمون باسم « يغا » ومعناه الفحل ٠٠ أما مفردا كما تقدم وهو قليل واما موصـــوفا بحيـــوان من الحيوانات مقدمين الوصـــف على الموصوف على قاعـــده لغتهم فى ذلك بمعنى فحل ٠ فهد ، أو معدن من المعـــادن كطيبغا بمعنى محلى بالذهب ٠٠ وربما أفردوا الاسم بالوصف كدكتمر بمعنى حديد وارسلان بمعنى أسد وننكر بمعنى مجـــد ٠٠ ونحو ذلك من المفردات والمركبات التى لا يأخذ لها حصر (٢) ٠ وهذه الأسماء وان كانت تدل على شئ فانها تدل على طبيعة الجند وما زرع فيه من أساس التربية والنشأة العسكرية ، والتى تبين اظهار الذوق فى اختيار الشعار أو الرنك الخاص وهذا يعنى اظهار تمنياته من المبادىء والخلق والقيم ٠

ومع ذلك ففى الاجراءات الخاصة بالشئون الادارية لمنحه الرنك حيث يترك للأمراء حرية اختيار رنوكهم خلال عصر المماليك البحرية ، ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندى ٠ ومن عادة كل أمير كبيرا أو صـــغيرا أن يكون له رنك يحصر ما بين حيوان (٣) أو دواة أو بقجة أو فرسيسة ، ولكل أمير ما يختاره ويؤثر فيه ذلك (٤) ٠ ويؤكد ذلك ما أورده ابن اياس من اتخاذ يشبك شعار حنك السبع حين خرج لمحاربة شاه سوار (٥) ، الأمر الذى ترتب عليه أن أصبحت الرنوك لا تشير فى الغالب الى وظائف أصحابها ، وقد جرت العاده الى أنه اذا منح أحد الأمراء رنكا معينا ظل محتفظا به طوال حياته (٦) ٠ بل ربما يضيف اليه رنك الوظيفة الأخرى التى ينقلدها أو ينقل اليها (انظر صور الرنوك طبقا للوظائف المختلفة) ٠

ومما سبق نجد أنه من الممكن أن يكون الرنك ذا لون واحد أو ذا ألوان متعددة كما أورده ابن اياس أن السلطان قايتباى أمر بتعيين باب القصر — وباب زويلة وضرب عليهما الرنوك الذهبية (٧) ٠ ولقد ذكر كذلك ابن تغرى بردى

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٦٨ ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٣٥ ٠

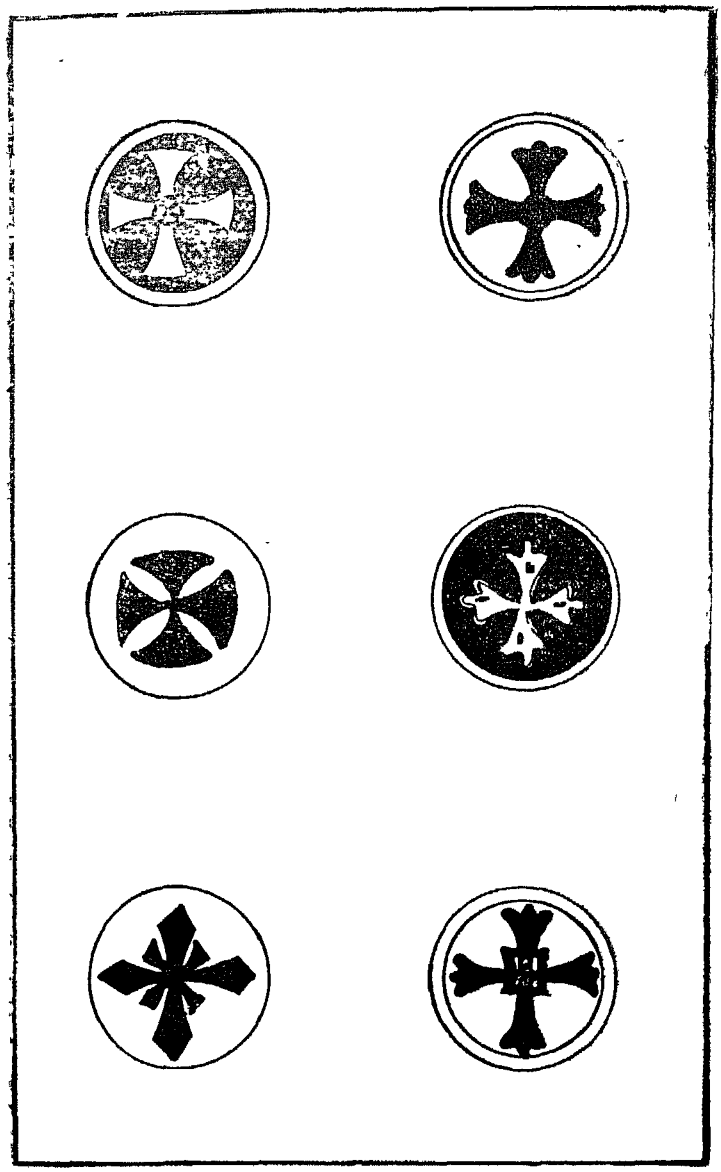
(٣) Dozy, Supp. Dict. Ar., II, p. 765.

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٦٢

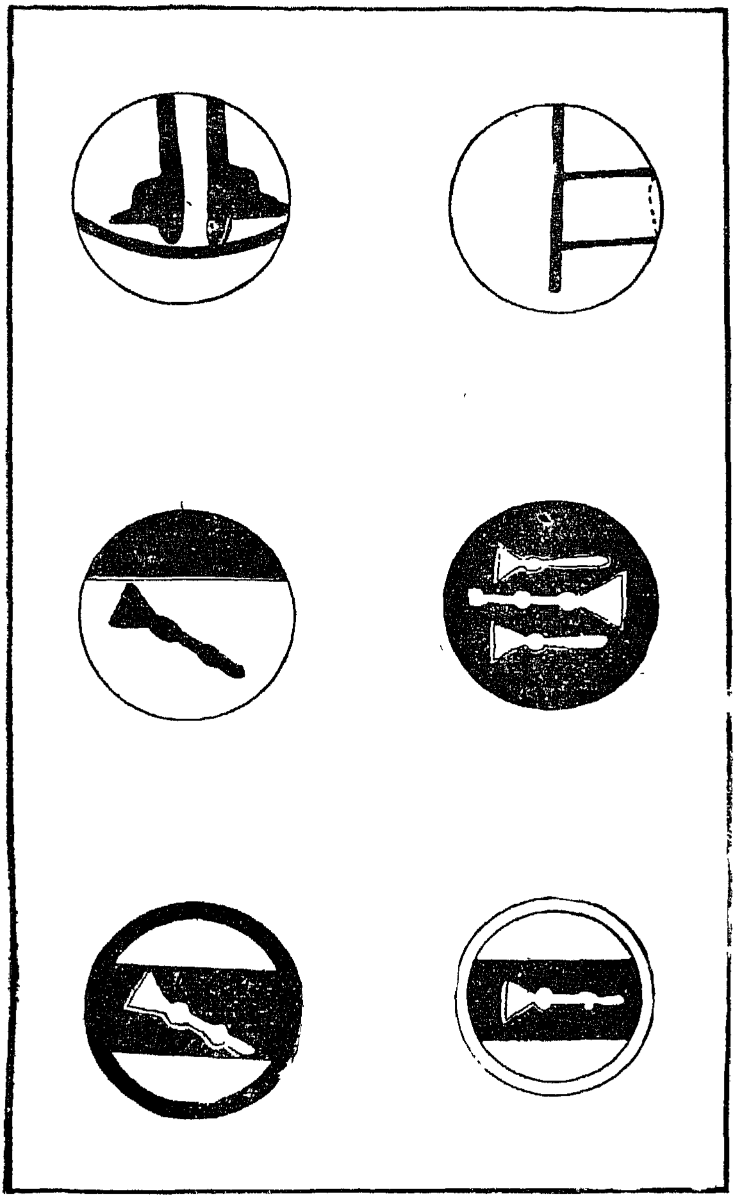
(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٢٧ ٠

(٦) Mayer, Saracenic., p. 7.

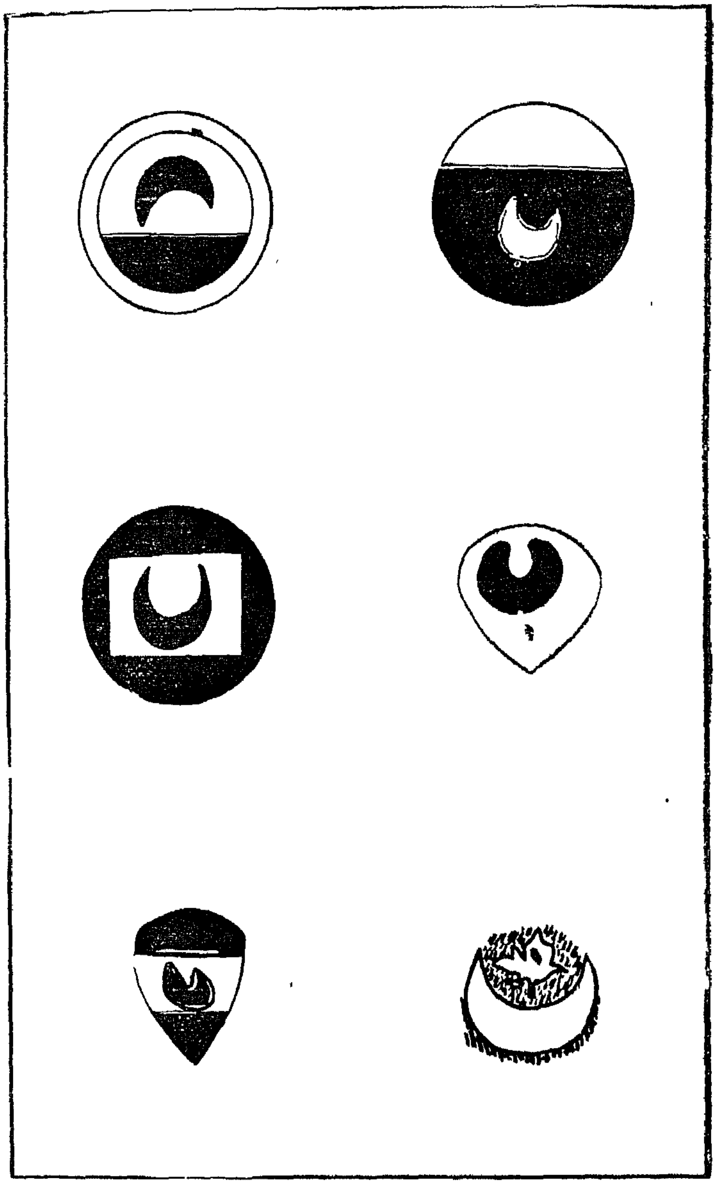
(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ١٣٧ ٠



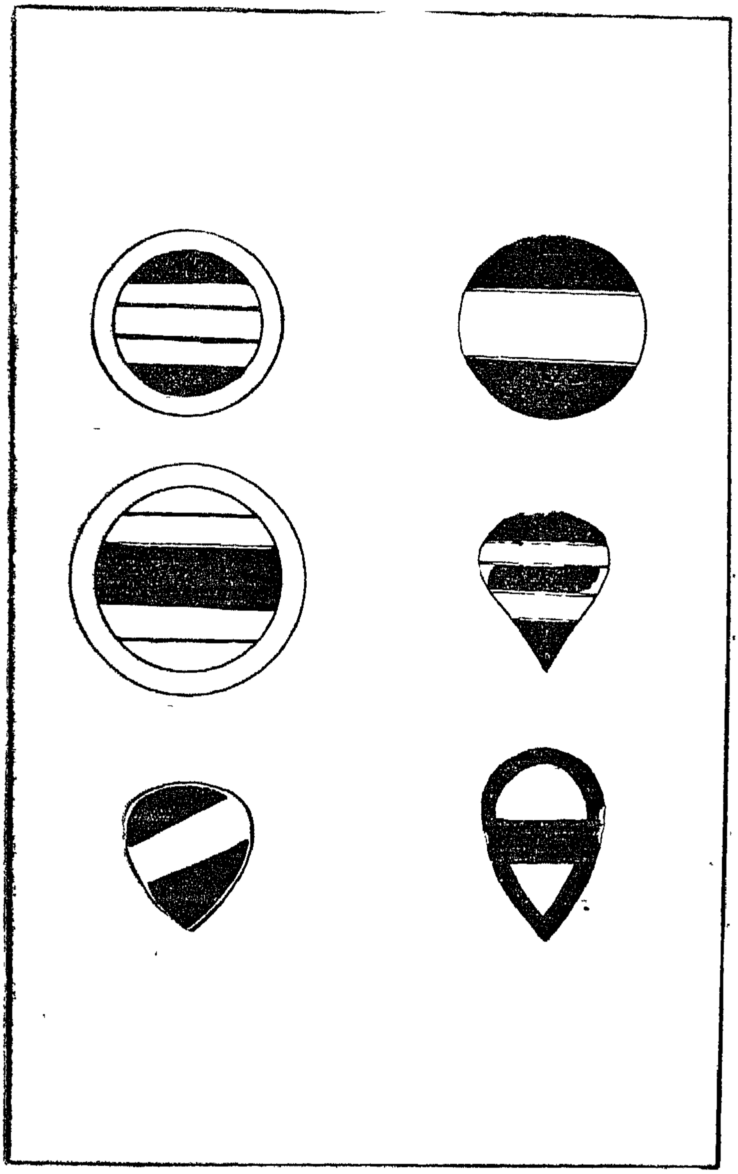
رنك الصليب



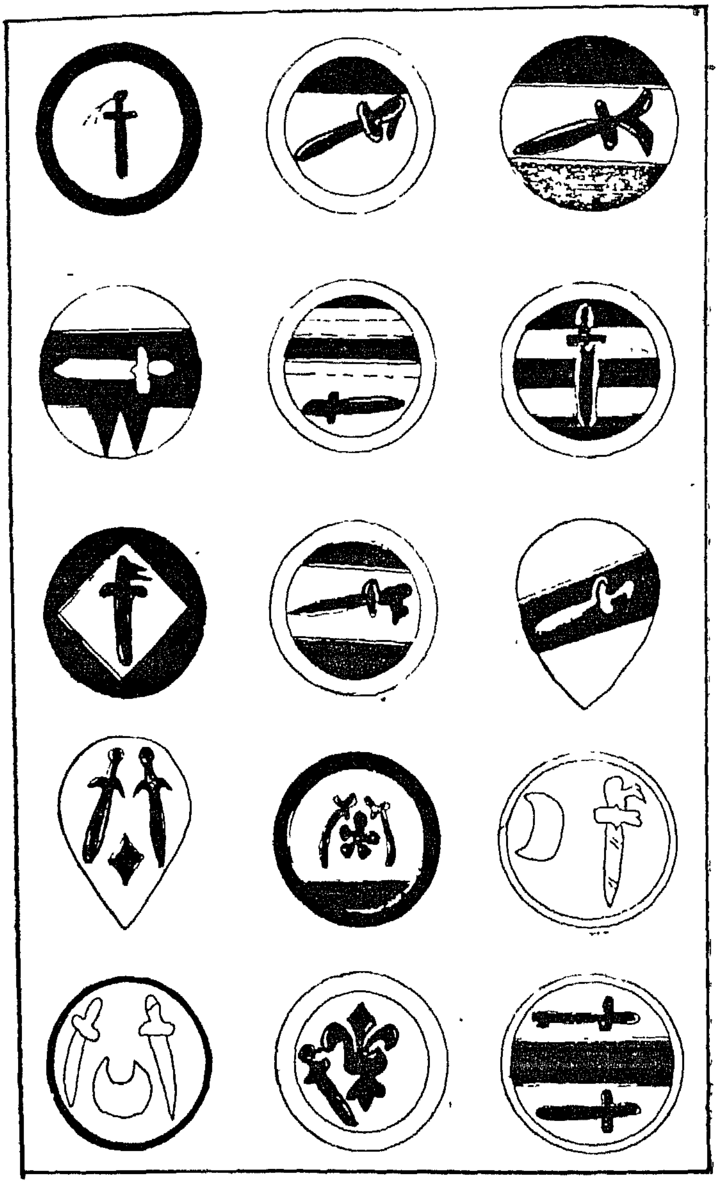
رنك البوق والعلم



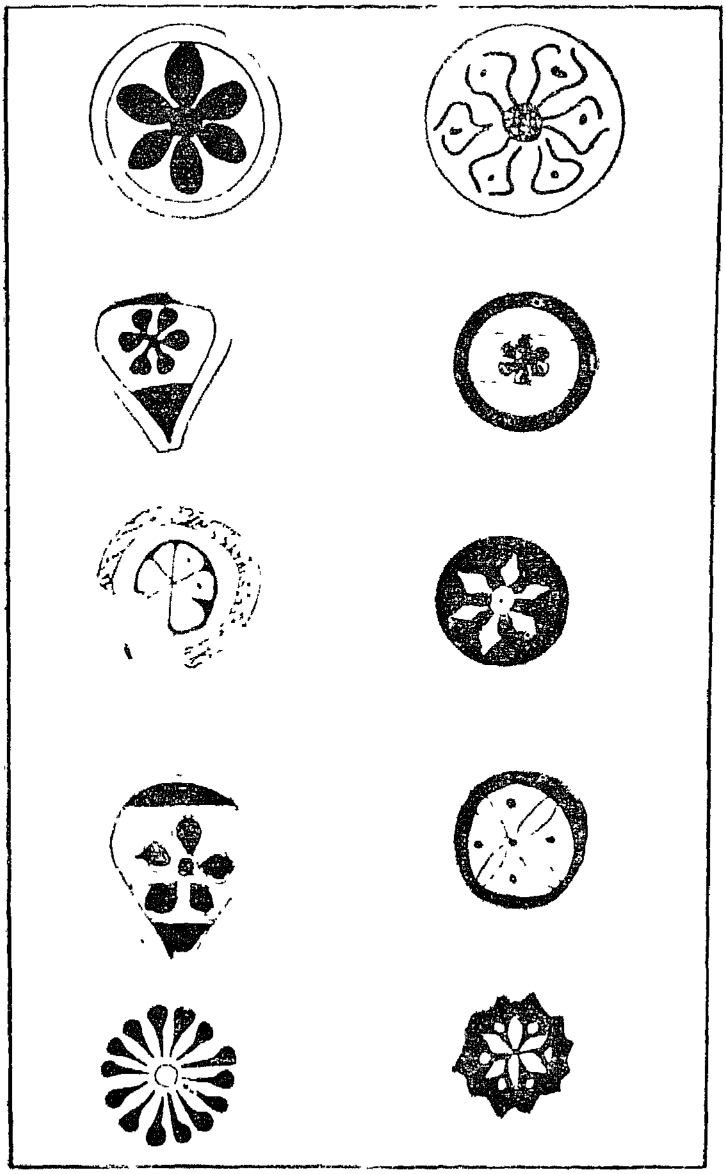
رنك الحدوة



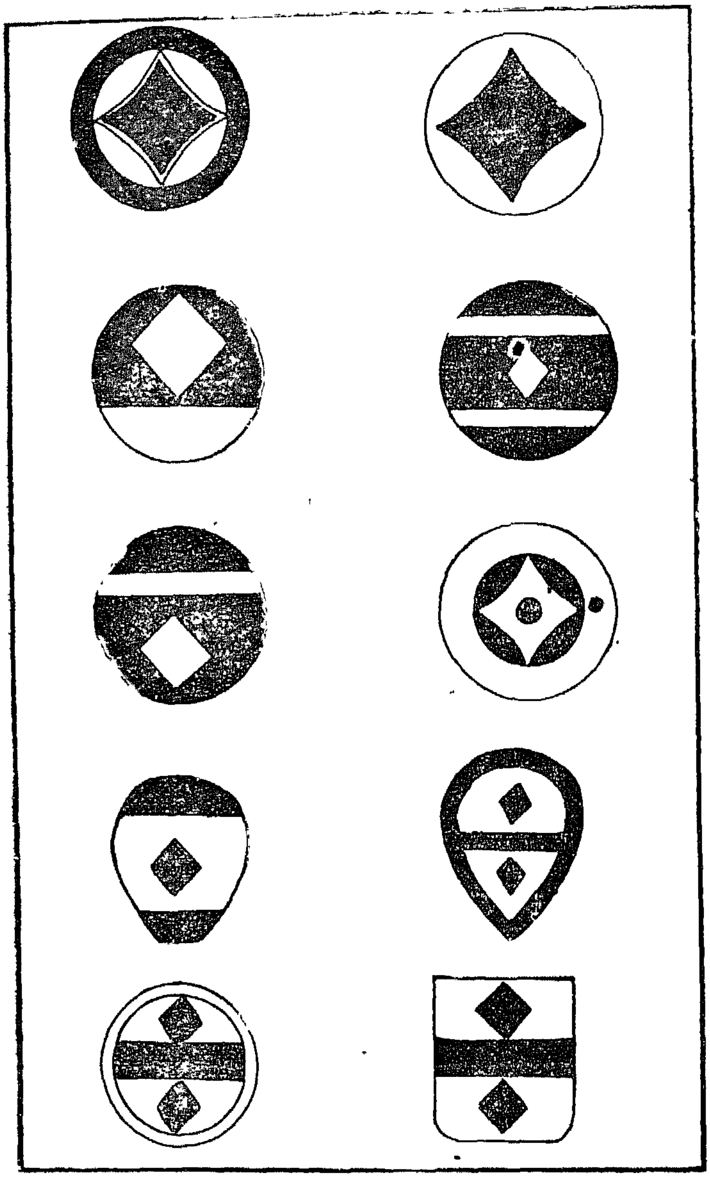
رنك الشطف



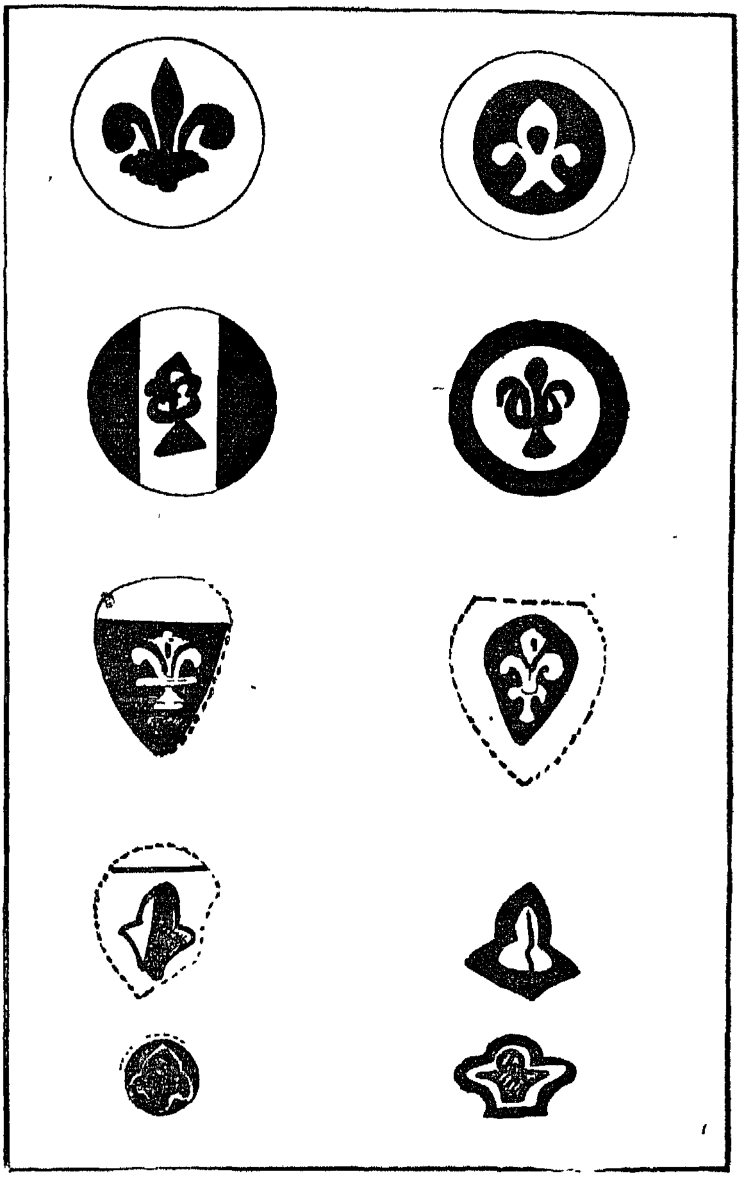
رنك السيف



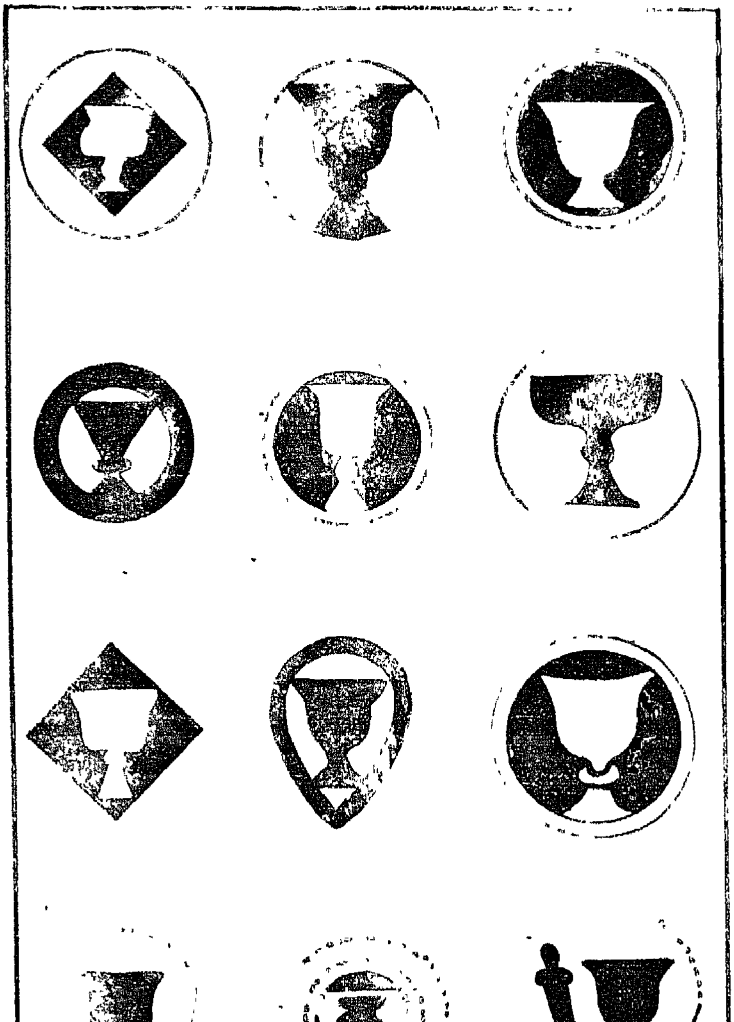
رنك الوردة



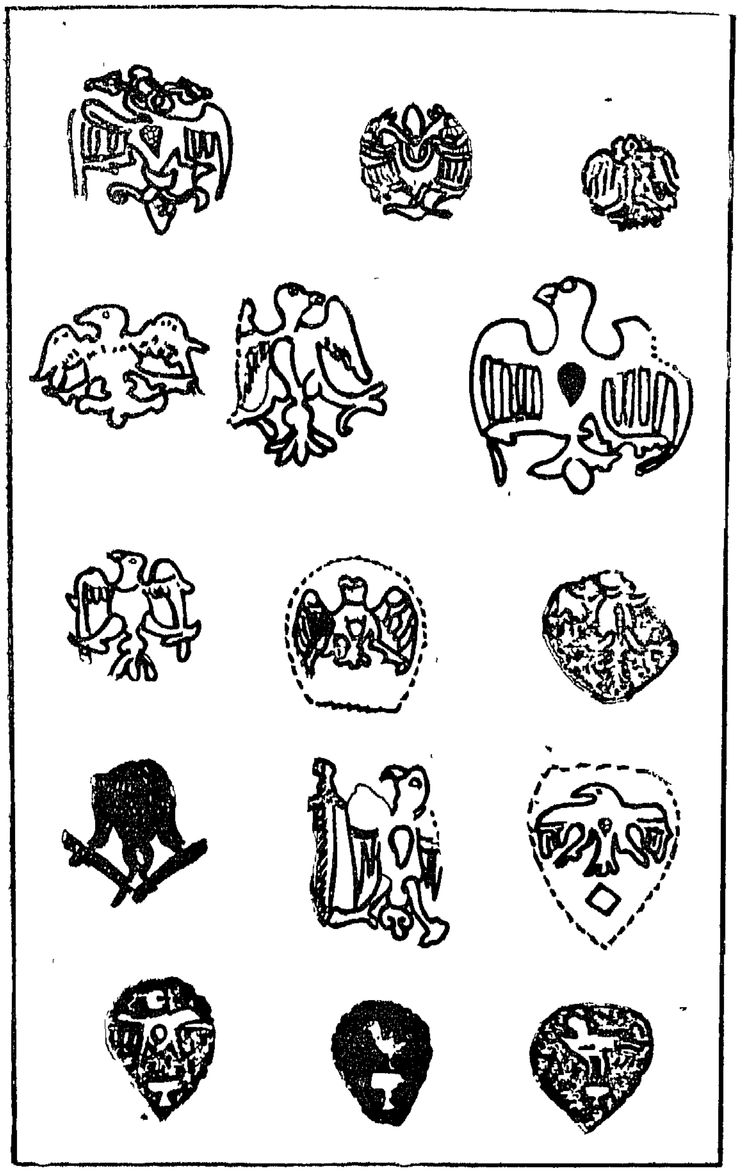
رنك البقجة



رنك زهرة اللوتس



رنك الكأس



رنك النسر

أن رنك الأمير سلار كان أبيض واسود (١) كما أشار الى رنك « أقوس الافرم » كان على هيئة دائرة ببضاء يشقها مشطف أخضر عليه سف أحمر (٢) وأضاف أيضا أن الناصر جعل رنكه اسود انتماء مَنه الى الخليفة (٣) ٠

ولقد ذكر كذلك القلقشندى أن سعار سلطان اليمن كان وردة حمراء على أرض ببضاء التى نظهر فبها بوضوح على الزجاج المموه بالمينـاء والفسيفساء والأوانى الخزفية (٤) ٠ هذا وقد عرفت الرنوك بالمعنى الوظائفى أو الزمنى فى العصر الفاطمى والأيوبى وساعت فى عصر المماليك البحرية وصار على الضياع .. وهو صفة لصاحب الرنك من أدوات منقوش عليها الرنك تقليدا رسميا يحافظ عليه ويعتز به (٥) ولم نستطع أن نتأكد بأن الرنوك كانت موارثة وذلك لفقر المعلومات التى لدينا عن أبناء المماليك ، وأنهم لم يســمحوا لهم بالانخراط فى سلكهم ولم يقبلوا ضمهم الى زمرتهم للاختلاف بين النشأتين (٦) فالأمراء أصلهم أرقاء وأباؤهم كذلك ٠ كما أن المماليك لم يكن عنــدهم نظام وراثة العرش ، ولم يشذ عن هذه القاعدة فى عدم اتباع نظام الوراثة الا أسرة قلاوون التى نعتبر حالة شاذه ولم تكن القاعدة المتبعة فى دولة المماليك (٧) ٠

★ ★ ★

ان الفئات المختلفة من المماليك والتى منهم **المماليك السلطانية** والتى يبدو انهم سموا بذلك لأن السلطان القائم كان يجلبهم الى مصر ، ولذا كانوا يعرفون باسم « الاجلاب » أو « الجلبان » أو كذلك باسم الأحداث ، ولقد أقبل السلاطين على شراء المماليك وتشجيعهم للتجار على جلبهم ويظهر ذلك فى قول المقريزى عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنه قال « أكثر من جلب المماليك والجوارى ، وسيرهم الى بلاد أزبك والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد ٠ فكان التاجر اذا أتاه بالخلق من المماليك بذل له فيهـا أعلى القيـم وانعم على تلك المماليك بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم (٨) ٠٠

وهكذا يقال ان عدد المماليك السلطانية الاجلاب بلغ أيام السلطان المنصور قلاوون ستة آلاف وسبعمائة « فأراد الأشرف خليل تكميل عددها عشرة آلاف

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ٩ ص ٩٠٨ ٠
(٢) نفسه ، المنهل الصافى ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ٠
(٣) الصفدى ، تحفة ذوى الألباب مخطوط مصور ، دار الكتب ٢١٠٢ تاريخ ، ق ١٥٦ ٠
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٣٤ ٠
(٥) أبو الفرج العش ، الفخار المطلى ، ص ١٧٦ ٠
(٦) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ١١٣ ـ ١١٤ ٠
(٧) على ابراهيم حسن ، دراسات فى تاريخ المماليك ، ص ٢٠٠ ٠
(٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٦ ٠

مملوك (١) ، وانتسب هؤلاء المماليك غالبا الى اساتذتهم ، أى ساداتهم الذين اشتروهم من التجار ،أو انتقلوا اليهم بطريقة أو أخرى (٢) ٠

ولقد وصف القلقشندى هذه الطائفة من المماليك أجلاب بأنها كانت عند السلطان أعظم الأجناد شأنا وأرفعهم قدرا ، وأشدهم الى السلطان قربا ، وأوفرهم اقطاعا ، ومنهم تأمر الأمراء رتبة بعد رتبة (٣) ٠

وكان لطائفه المماليك السلطانية الاجلاب بديوان الجيش سجل خاص اسمه « جريدة أرباب النقوذ » تضم هذه الجريدة أسماءهم ومخصصاتهم من الرواتب فى كل سنه بمقتضى نماشيرهم ، ويوضح كاتب الجيش أصحاب الوظائف منهم مثل «الأوشاقية» وهم العاملون بالاصطبلات السلطانية وغيرهم ٠ على أن يقود كل فريق من هؤلاء مقدم بارز فيهم ، فيقال « مقدم الأوشاقية » ولقد بلغ عدد مقدمى المماليك السلطانية أيام الناصر محمد بن قلاوون عشرين فارسا (٤) ٠ كما كانت السلطه العليا لهم ولسائر طوائف المماليك السلطانية من مقدمى أمراء الطواشية ، وتبعه أمير طبلخاناه الذى كان له نائب يساعده برتبة أمير عشرة (٥) ٠

ولمعرفة مدى ما يتميز به المماليك السلطانية الاجلاب يجب علينا أن نلم بمدى تميزهم فى الاقطاعات والجامكيات ٠ فلقد خصص ديوان الجيش اقطاعات معينة للصرف على رواتب المماليك السلطانية الاجلاب وجوامكهم (٦) ٠ ولقد بلغ متوسط دخل نائب المقدم نحو ١٢٠٠ دينار فى السنة ، وربما زاد عن هذا المبلغ (٧) ٠ ولم تفيدنا المصادر عن متوسط دخل مقدمى المماليك السلطانية الاجلاب (٨) ، وان كان بالطبع يزيد عن ضعف هذا المبلغ (٩) ٠

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ص ٥٤٢ (حوادث ٧٤١ هـ)
(٢) نفسه ، الخطط ، ١ ص ١٥٣ ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٧٣ ؛
انظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٤٩ ٠
(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥ ص ٥٩٧ ٠
(٤) ابن قاضى شهبه الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٤ ورقة ٢٧٣ ٠
(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٥ ٠
(٦) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ،
النويرى ، نهاية الارب ، ٨ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ،
ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٥١ ٠
(٧) النويرى ، نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٨ ٠
(٨) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٣٩ ـ ٣٥٠ ٠
(٩) نفسه ، نفس المصدر والصفحة ؛
ابراهيم طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٥٢ ٠

ولقد اختلفت رواتب وجوامك المماليك الاجلاب باختلاف رتبهم . وتشمل الجوامك (الرواتب) (١) من العليقة والحبوب والطعام ، كما سبق أن أوضحنا . ويقل ان جامكية مماليك السلطان برقوق بلغت فى الشهر الواحد ٩٠٠ر٠٠٠ درهم ، ومن العليقة ١٥ ألف أردب من الشعر ؛ هذا عدا الخيول والجمال والتى تصرف لهم ، على أنه قد تنقص رواتبهم أو تقطع (٢) . وقد يقطعون اقطاعات بدلا من الرواتب . أما الفروق بين دخل المماليك السلطانية الاجلاب وفئات المماليك الأخرى فسوف يأتى الكلام عنها فيما بعد .

ولقد أشرف « الديوان المفرد » (٣) على الاقطاعات الخاصة برواتب وجوامك المماليك الاجلاب ، وتتلخص مهمة هذا الديوان فى تكفله جميع المماليك الاجلاب من جوامك وعليقه والادر الشريفه (٤) وجميع لوازمها وجميع مطلباتها . ولهذا الديوان بلاد كثيرة بلغت ١٦٠ بلدا لتحصيل الرسوم منها لتكفله أوجه الصرف . ومن جملتها فارسكور والمنزله . وذلك فضلا عن رسوم أخرى متفرعة تجبى لها من الوزارة والكشاف وغيرهم ، بحيث بلغ ايراده عن سنه واحده من العين ٤٠٠ ألف دينار ، ومن الغلال ٣٠٠ر٠٠٠ أردب من القمح والشعير والفول (٥) .

★ ★ ★

(١) الجامكية المقصود بها الرواتب من تعيين الجنود ، وهناك فرق كبير بين الراتب وهو ما يصرف من مال كل مدة معينة (أى ما يماثل الراتب الشهرى (الماهيه) . وبين الرواتب وهو كل مايصرف من تعيينات — أى طعام لكل ما هو حى (مماليك — حريم خيول — حمير — جمال — كلاب — حمام .. الخ) والرواتب هى ما كانت تصرف بالجامكية ونعتقد أن هذه الكلمة مازالت تستخدم حتى الآن فى القوات المسلحة وان كان بها بعض التحريف . حيث يقال على أى نوع من الطعام اليومى للجنود ، يسمى « يابك » ربما المقصود بها جامك أو جامكيه . ولقد اختلط الأمر عند الكثير من المؤرخين الحداثى فى الخلط بين الرواتب والرواتب (أو الجامكية) .

أنظر . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٧٣ .

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ٩ ص ٧٣ .

(٣) أنشأ السلطان برقوق هذا الديوان حيث ضعف شأن الوزارة ، بأن أفراد الاقطاعية التى كانت بيده قبل السلطنة ديوان أسماه « الديوان المفرد » وجعل رئاسته للاستادار ، كما جعل صرف متحصلة الى مماليكه الذين اشتراهم ، وتطور هذا الديوان واتسعت سلطته فى أواخر عصر المماليك ، حيث صار يشرف على الاقطاعات والأوقاف والرزق .

انظر . ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ١٤٤ — ١٨٩ .

(٤) آدار وهى جمع دار وآدارية الضربة هى دور سك العملة : والشريفة يقصد بها الحريم السلطانى والادر كذلك من الألعاب والشريفيه التى تستعمل للاشاره الى الخوندات أو صاحبات العظمة من عليه النساء دون ذكر أسماء .

أنظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٥) نفسه ، نفس المرجع ، ص ١٠٧ .

ومن أهم طوائف المماليك السلطانية « **الخاصكية** » وهم الذين يختارهم السلطان من المماليك الاجلاب ، وقد عرفوا بهذا الاســـم لأنهم كانوا يلازمون السلطان فى خلواته وأوقاته وينالون من خيره وعطاياه وما يناله أكابر الامراء المقدمين ،ويذكر خليل بن شاهين الظاهر (١) ان الخاصكية هم « الذين يحيطون بالسلطان ســاعات خلونه ، وهم الذين يفودون المحمل والمكلفون باحضار رداء تشريف الحكام كتأكيد لتعيينهم ٠ وكانوا يوفدون كذلك فى المهام السياسية » ٠

ويضيف القلقشـــندى (٢) « انهم كانـوا يميزون عن الآخرين بحملهم للسيوف . وكانوا يرتدون حللا مزركشة ، ويسمح لهم بالدخول على السلطان وهو فى خلوته دون اذن ســـابق ، وكانوا مميزين فى زيهم وركوبهم ٠ وكان أيضا للخاصكيه نفوذ كبير مما يدل على أن هناك اشارات عديدة على انهم كانوا يرسلون فى مهمات خاصة الى الدول الأجنبية وتعينهم حكاما للبلاد الشامية (٣) ٠

ويفهم من كلام خليل بن شاهين « ان عددهم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعون خاصكيا ، ثم زادوا عن ذلك فى أيام الأشرف برسباى نحو ألف خاصكيا ، ومنهم من هو صاحب وظيفة ، ومنهم من ليس له وظيفة ، فأما أصحاب الوظائف منهم عشرة داودارية ، ومنهم سقا خاص ، وأربعون سلاحدارية خان وأربعين باشمقداريه وغير ذلك (٤) ٠

وكان للخاصكيه أداب معينه وتقاليد خاصه يتميزون بها عن غيرهم وكانوا يختارون من بين أمراء الخمسات أو امراء العشرات ٠ ونجد أن فى سجلات جيش المماليك فى عهد سلطنه الناصر محمد بن قلاوون الثالثة وذلك سنة ٧١٥/١٣١٥ ان كلمة خاصكية يقصد بها الأمراء الكبار والصغار من مختلف الرتب (٥) ٠

---

(١) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ــ ١١٦ ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٢٥ ٠

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٦٢ ، ٣ ص ٢٤٥ ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٢٥ ٠

(٤) Poliak, Feudalism in the near-east, p. 31.

(٥) انظر الملحق (أ) المرفق بالمصطلحات والوظائف العسكرية فى العصر المملوكى الدوادار : أى ممسك الدواه ، والوظيفة اسمها الدواداريه ، وصاحبها يحمل دواه السلطان أو الأمير ، ويقوم بابلاغ الرسائل عند تقديم القضايا والشكاوى اليه ٠

أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٤ ٠

انظر خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ١ ص ١١٥ ــ ١١٦ ٠

الخازندار : وهو المشرف على خزائن السلطان من نقد ٠

أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ٧ ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ٠

الجمدار الموظف الذى يتخصص لالباس السلطان أو الأمير ٠

أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى، ٥ ص ٤٥٩ ٠

السلاح خانة : بيت السلاح ، ويحوى مختلف الأسلحة التى يحتاج اليها السلطان ٠

وكان الخاصكية عندما يكونون فى الخدمه السلطانيه يقف كل واحـد منهم فى مكانه المعين له دون أن يسـمح له أو لأحد من المماليك أن يحدث زميله بكلمة واحدة فى أى أمر من الأمور ، ولا يلتفت اليه · كما كان محرما عليهم أن يجتمع كل منهم بالآخر فى الرحلات أو الصيد ، واذا بلغ السلطان عن أحدهم انه فعل ذلك بدون استئذان أمر بنفيه أو القبض عليه (١) · وكان الخاصكية يقضون معظم النهار وجانبا من الليل فى خدمة القصر السـلطانى ، ومن هنا جاءت رئيس المماليك جميعا ، ومن الخاصكية اسم « رأس النوبة » ، اذ كان من المفروض أن المماليك السلطان يعهد لهم بالمناوب على راحته ، وكلما انقضت نوبة الجماعة منهم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يتلوهم ، ويتشاغل أصحاب النوبة الأولى على النوم بالقراءة فى المصاحف (٢) أو لعب الشطرنج ، أو تناول الطعام حتى يأتى ميعاد نوبتهم مرة أخرى (٣) ·

وكما أشرنا من أنهم يبدو أنهم كانوا على درجة قريبة من السـلطان الى حد بعيد يصل الى حد الدخول عليه بدون استئذان · ولقد كانوا يتقلدون كذلك من الخاصكية الوظائف الهامة فى الدولة والتى كان منها الوظائف الآتية :

رأس النوبة وهو أول من يدخل على السلطان فى النهار ليعرض عليه الأمور الخاصة بالمماليك ، وكان ذلك من اختصاص هذا الموظف الكبير الاشراف على مماليك السلطان ، والفصل فى خصوماتهم ، وعقاب من يهمل منهم واجباته أو يقصد بها (٤) ، ويقبض على من يأمره بالقبض عليه منهم ، ويرجعون عليه فى كل أمورهم · وقد بلغ من تكريم السلطان لهذا الموظف الكبير انه كان يخاطبه بلقب « الجناب العالى » بل كان يدعوه أحيانا « الأخ » (٥) · وقد جرت العادة أن يتقلد وظيفة رأس النوبة أربعة أمراء (٦) ، يختار أحدهم من أمراء المئتين

= أنظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٠ ؛
النويرى ، نهاية الارب ص ٢٤ ·
البشمقداريه (الجمقداريه) : وهو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ·
انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٩ ·

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٦ ·
(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٩ ·
(٣) نفسه ، نفس المرجع ، ٥ ص ٤٥٥ ؛
الخالدى ، المقصد الرفيع . ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ١٤٢ ·
(٤) Lane-poole, the art of Saracens, p. 3.
(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ·
(٦) ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٤ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٠ ·

والثلاثة الآخرين من أمراء الطبلخاناه (١) ٠

وقد عرفت وظيفة رأس النوبة فى مصر منذ عهد الأيوبيين (٢) ، كما عرفت هذه الوظيفة فى العصر المملوكى فى عهد الظاهر بيبرس ، ويبدو أن ادخالها كان على النحو الذى كانت عليه التتار ، ففد كانت الوظيفة من أكبر وظائف الحاشية فى قصورهم ، ويلقب من يشغلها عندهم اسم يسول (٣) أى الكبير ، ولما استخدمت وظيفة الأمير الكبير فى عهد السلطان حسن بن الناصر محمد صار رأس النوبة فى مرتبة هذا الأمير الكبير ، وهو أكبر الأمراء وأعظمهم وأقربهم الى السلطان ، وكان السلطان يستشيره فى مهام الأمور ويأخذ برأيه (٤) ٠

ويلى **الأمير الكبير** فى المرتبة **أمير سلاح** ، ثم أمير مجلس ، ثم الرادار الكبير ، ثم أمير أخور الكبير ، ثم أمير نوبة النوبات ، ثم أمير صاحب الحجاب ، ثم الخازندار الكبير ، ثم أمير حاج وهؤلاء كانوا قدامى الألوف (٥) ومن المماليك الاجلاب كذلك ٠

ولقد كانت وظيفة مقدم المماليك قريبة الشبه بوظيفة رأس النوبة ، اذا كان مقدم المماليك يقوم بتربية المماليك الجلبان تربية عسكرية ، وكان من اختصاصه اعداد قوائم بأسماء المماليك التى كان يقوم بقراءتها أثناء الاستعراضات والاحتفالات الرسمية ، كما كان يرجع اليه الحكم بين المماليك والفصل فى أمورهم (٦) ، وكان يختار عددا من أمراء الطبلخاناه ويعاونه فى عمله نائب برتبة أمير عشرة يحل محله عند غيابه ، كما كان له اتباع يفصلون فى بعض الخصومات بناء على تعليماته وطبقا لأوامره (٧) ٠ وهذا هو الحرس السلطانى داخل القصر وجميعهم أيضا من الخاصكية ٠

أما **الحرس السلطانى** خارج القصر فقد كان له أهمية كبرى فى المواكب السلطانية التى كانت يمتاز بها ذلك العصر ، اذ تعددت تلك المواكب حتى شملت موكب السلطنة ، والاحتفال بفتح الخليج (٨) وصلاة الجمعة والعيدين ، ولعب

---

(١) نفسه ، نفس المرجع والصفحة ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ٠

(٣) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army III B.S.O.A. Vol. 16, p. 69.

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ص ٨٥ ٠

(٥) دائرة المعارف الاسلامية (المترجمه) مادة الأمير الكبير ٠
(أنظر المرفق أ الملحق بالبحث) ٠

(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٦ ٠

(٧) نفسه ، نفس المرجع ، ٤ ص ٢١ ؛
الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٢٧ ٠

(٨) خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ص ٨٦ — ٨٧ ٠

الكره والخروج الى سيرفادش (١) والسرحات وهو الصيد الذى كان يخرج له السلطان سبع مرات فى فصل الربيع ، ويكون جميع الأعيان فى خدمته بالكامل (٢) · ولقد اعتاد سلاطين المماليك عند خروجهم للصيد أو لعب الكره أن يعمموا على أكابر أمراء الدولة والأمراء المقدمين بالأموال والخيول والحوائض الذهبية والسيوف والقماش وغير ذلك (٣) وبالتالى ينوب مماليك السلاطين الجلبان والخاصكيه نصيب الاسد فى ذلك · ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن نذكر ان السلطان يشترى مماليكه ويطلق سراحهم بعد تخرجهم حيث يشكلون العنصر الاساسى لحكمه ، كما أن نظام الرق فى العصر المملوكى جعل المملوك يحس احساسا عميقا بالولاء تجاه سيده ومحرره (٤) (أستاذه) ، كما جعل هذا الاحساس أيضا تجاه رفاقه المماليك وزملائه (خشداشية) · فقد كان يربط بين السلطان ومماليكه نوع من الرباط المزدوج ، حيث كانت لهم السيادة طالما انه يحكم ، ويظل يحكم طالما كانت سيادته مرتكزة عليهم ، بالاضافه ان السلطان كان يدعم سلطته بتعيين خشداشيته فى المناصب العليا الحساسة فى الدولة ، والذى يعتمد عليهم تماما (٥) ·

وكان يطلق على مماليك السلطان الحاكم اسم المشتروات (٦) ، ولكن من الملاحظ ان هذه التسمية لم تظهر مباشرة مع بداية العصر المملوكى البحرى ، ففى أيام « الظاهر بيبرس » كان مماليكه يسمون الظاهريه لتميزهم عن البحرية والصالحية ؛ وهم مماليك الصالح نجم الدين أيوب (٣) ، وفى نهاية العصر المملوكى البحرى ظهر اسم جديد هو مماليك السلطان ، وأصبح أكثر شيوعا من اسم المشتروات ، وان لم يحل محله تماما ، وهم الاجلاب أو الجلبان (٨) · وأول

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٢٤ · سرفادش وهى تشبه طوابير السير حاليا لرفع الكفاءة البدنية ·

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٤٧ ، ٨ ص ١٤٢ ،
المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٢٥ ·

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٥٢ — ٥٣ ·

(٤) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, I, B.S.O.A. Vol. 15 (1953), p. 208.

(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهره ، ٦ ص ٧٠٩ ·

(٦) نفسه ، نفس المرجع ، ٥ ص ١٣٧ ·

(٧) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٢٨١ ؛
ابن خلدون ، العبر ، ٥ ص ٣٨١ ،
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٨ ص ١٧٢ ·

(٨) نفسه ، حوادث الدهور ، ص ١٩١ ؛
السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١٤ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٣٤٢ ·

نصوص نجدها فى كتب التاريخ من الاجلاب أو الجلبان فى كتب ابن الفرات (١) وابن خلدون (٢) ، فأشار اليهم ابن الفرات فى الأعوام الأخيرة من تاريخه ، كما أشار اليهم ابن خلدون بانهم كانوا مستهترين بالســـلطان والرعية وذلك عام ٦٩٦/١٢٩٦ · وكان يطلق أيضا على المشتروات أو الأجلاب أو الجلبان غالبــا المماليك السلطانية (٣)* ·

وعندما يتولى سلطان جديد كان يحاول أن يمهد الطريق لترقية مماليكه ، وذلك بتعينهم فى المناصب الرئيسية ، وكان يصحب تعين سلطان جديد للعرش عمليه تطهر عميقه وعلى نطاق واســع (٤) ، وخصـــوصا للقمع التام لمماليك الســلطان الســـابق ، أى أن هؤلاء المماليك الذين كانوا حتى تلك اللحظة هم مشتروات السلطان السابق وأقوى جماعة فى السلطنة السابقة · وقد عرفت عملية التطهير هذه منذ فجر العصر المملوكى البحرى ، وكانت عملية التطهير لها صفة مميزة وأكثر وضوحا خلال العصر المملوكى البحرى (٥) عنه فى عصر مماليك الشراكبسه · ومع ذلك لا يســتطيع الســلطان الجديد أن يعتبر مماليك غيره غرباء عنه (٦) ·

وهكذا اعتاد الســلاطين فى العصر المملوكى البحرى من حكمهم أن يعينوا جماعة بعد أخرى من مماليكهم على مرتبة أمراء العشر ، ثم تبع هذه السياسة بعد ذلك تدريجيا بالنسبة للرتب الأعلى حتى يسيطروا على جميع المناصب العليا ·

وربما تعرض مماليك السلطان السابق لاجراءات تعسفيه من السلطان الجديد ، فيلقى رؤساؤهم في السجون ، أو ينفون ، أو ينقلون لخدمة الأمراء (٧) · على أن السلاطين لم يتبعوا ذلك الأسلوب القاسى تجاه مماليك السلطان السابق مادام يقف الى جانبه · وان كنا نجد أنه كان يقف فى جانب السلطان الجديد خشداشيته من زملائه الذين ساعدوه فى الوصول الى السلطنة ، كذلك جموع من المماليك الأمراء المعاونين والذين كانوا يرجعون عنه بغرض الانتقام من أجلاب

---

(١) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ص ٤٧٩ ؛
ابن زنبل ، تاريخ السلطان سليم ، ص ١٤ ؛
ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ١٦ ·

(٢) نفسه ، نفس المرجع ، ٩ ص ١٦ ــ ١٧ ·

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ٥ ص ٤٥٧ ــ ٤٥٨ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٣١٧ ·

(٤) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٨ ص ١٧٠ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٣١٧ ·

(٥) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, I, B.S.O.A. Vol. 15. (1953), p. 208.

(٦) Op. Cit., Ibid Vol. and p. 209.

(٧) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٨١ ·

الأمس (١) ، والذين لم يعتمد عليهم السلطان بعد وصوله الى الحكم وخذلهم • وان كنا نجد ان السلطان الجديد لا يعتمد غالبا على تلك المجموعة ، وانما يعتمد على مماليكه هو الذين يرتبطون به باقوى روابط الولاء والتضامن .

ولكى يعمق السلطان الجديد ارساء قواعد سلطته ، فقد كان يتبع احدى الطريقتين أو كلاهما معا ، فاما أضعاف اجلاب سلفه بقدر المستطاع ، أو الاكثار من عدد مماليكه باسرع ما يمكن وغالبا ما يتبع الاسلوبين معا • فطالما كانت المماليك السلطانية قوية ومدربه ندريبا حسنا ؛ كان السلطان قابضا على الحكم بيد من حديد • فالأساس هنا يعتمد على قوه الممالك السلطانية بين المماليك الأخرى وشدة ولائها وطاعتها للسلطان الجديد والتى يؤدى ذلك أن تكون الدولة المملوكية قوية ومستقرة ، وخلاصة القول أن الاعتماد الأساسى فى استقرار الدولة المملوكية كان على قوة وولاء المماليك السلطانية أو الاجلاب •

★ ★ ★

أما الفئة التانية من المماليك السلطانية فهم **القرانصه** (٢) Qaranis وهم مماليك السلاطين السابقين (٣) وان كان المفهوم الثانى أكثر شيوعا فى العصر المملوكى البحرى ، ويمكن هنا أن نضيف على ذلك انه طبقا لقول بوبر Popper فى نقده لبولياك Poliak أنه قال « ان لفظ القرانيص له معنيان الأول هو قدامى المحاربين ، أو هم الرجال الذين قاموا بخدمة طويلة فى الجيش ، والمعنى الثانى هم مماليك السلاطين السابقين ، بمعنى انهم كانوا محاربين قدماء بالنسبة للجلبان الذين لم تحنكهم الخبرة القتالية مثلهم •

ولم يكن القرناص فى حاجة لأن يرتدى ملابس ثمنة ، ويمتطى صهوة جياد مطهمة ليكبر قدره (٤) بل على العكس ، وأنه كان القرانصة يطلق عليهم في المصادر « قرانيص أو مماليك قرانيص أو سلطانية قرانصة (ومن الممكن أن يكون خشداشيه للسلطان نفسه (٥) ، ومن هذا نستطيع أن نستنتج أن القرانصه كانوا مماليك سلطانية • وعلى هذا النحو نستطيع أن نقول ان القرانصه

---

(١) ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ١٠٧ '
ابن خلدون ، العبر ، ٥ ص ٤٦١ '
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٢٧٣ — ٢٧٤ •
(٢) نفسه ، نفسه ، ٢ ص ١٤١ ، ٢ ص ١٤١ •
(٣) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, I, B.S.O.A., Vol. 15, p. 212.
(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٤٨٤ •
(٥) نفسه ، حوادث الدهور ، ص ٣٩٣ — ٣٩٤ ؛
David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, IV. B.S.O.A., Vol. 16 (1953), p. 74.

ينتموا لأحد الأقسام الثلاثة هم ، مماليك السلطان الحاكم ، مماليك السلطان السابق ، أو مماليك السيفيه ٠

والسيفية Syfiya هم المماليك الذين نقلوا فى خدمة السلطان أو الأمراء بسبب موت سيدهم أو طرده أو نفيه ، ومن الطبيعى نظرا لأنهم كانوا فى خدمة سادة مختلفين ، أن يكون لديهم اللامبالاه تجاه بعضهم البعض ، وكانوا يفتقرون الى عامل الولاء الذى يوحدهم ، وقال عنهم المؤرخون عموما « أنهم يتبعون الغالبية ، ولم يكن منهم من يرتبط بسلطان معين أو اكترث أحدهم بالسلطان بعينه » ، « وكان شعارهم الذى يتزوج أمى سأقول له ياعمىّ » (١) ٠ ورغم كل ذلك فقد كانوا أحيانا يعاملون معاملة سيئه بواسطة الجلبان (٢) ٠

ومهما يكن من أمر فان القرانصة عامة هم نفس مماليك السلاطين السابقين حيث نجد تأييدا كاملا لهذا فى المصادر وهو ما أورده ابن زنبل اذ يقول « فانه كان مجتهدا فى تعليم الجلبان ، وكان قصده ان ينشأ له عسكر من مماليك مشترواته ، ويقطع القرانصه مماليك المملوك الذى قبله » (٣) أما المؤرخ « خليل بن شاهين الظاهرى » فهو وحده الذى يسمى القرانصه باسم الأجناد القرانصه ، وربما يرجع ما يقرره « الظاهرى » الى أنه فى أيامه كان القرانيص لا يتعدون المائه (٤) ، ويبدو أن هذا الكلام غير صحيح ، ذلك لأن الدور الذى كان يلعبه القرانيص كخصوم للاجلاب ، وأنهم معدون للقتال ، يتعارض مع فكرة أنهم كانوا قليلى العدد ، هذا فضلا عن أن المصادر تزودنا بمعلومات لا شك فيها عن عدد القرانيص ، وكذلك يذكر « الظاهرى » نفسه بأن القرناص هو قديم الهجرة ، وتعطينا الأمثلة التالية صورا من الاحترام لقدماء الهجرة ، فكانا يجلسان على يمين ويسار ـ السلطان ، وكان ذلك فى الحفلات الرسمية (٥) ٠

ومن هذه الأمثلة نستنتج التشابه بين لفظ كبير وقديم الهجرة ، فالأخير القديم الهجرة يسمى أيضا أمير كبير ، أو أكابر الامراء ، أو من الأمراء الكبار ، والأمراء الذين كان يطلق عليهم هذا الاسم كانوا أحيانا أمراء خدموا مدة طويلة ، أو كانوا يشغلون مناصب عالية (أو على الأقل فى مركز شرفى غير محدود) وأصبحوا بدون وظيفه ٠

---

(١) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, IV, B.S.O.A., Vol. 16 (1953), p. 74.

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٢٣١ ، ٢ ص ٦٦٩ ؛
السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٤١ ؛
ابو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ٥١٤ ٠

(٣) ابن زنبل ، تاريخ السلطان سليم ، ص ٢٦ ٠

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى ، زبده كشف الممالك ، ص ١١٥ ٠

(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٥ ص ٣٤٩ ٠

ولقد كانت كلمة « كان » Kana تستعمل بمعنى سابقا ، إي ما كان فى الماضى مثال ذلك « اتابك العسكر كان » بمعنى اتابك العسكر سابقا ، أما كلمة سعادة فكانت تستعمل بمعنى « النجاح والاستمرار الحالى » وكان المعتاد القول « طلعت أيامه فى السعادة (١) أما كلمة أمير كبير التى سبق أن أوضحناها فهى لها أهمية خاصة ، فلقد منح هذا اللقب « سابقا » لكل قديم باب الهجرة فى الخدمة أو فى الشيخوخة ويكون قد شغل منصبا كبيرا فى الدولة سابقا ، أو خدم مدة طويلة ، ونتيجة لهذا كان هنـاك مجموعة من الأمراء ، كان يسمى كل واحد منهم أميرا كبيرا ، وظل الحال على هذا النحو طوال العصر المملوكى البحرى وحتى أيام الشراكسة الى أن تغير أيام « شيخون العمرى » وحينئذ خصص لقب أمير كبير لاتابك العسكر (٢) • وكذلك نجد كبيرا من الكلمات مثل أكابر أو كبار الأمراء وذوى السن من أكابر الأمراء (٣) وعلى ضوء ما تقدم يمكننا تغير تعريف « خليل بن شاهين الظاهرى » الى أن القرناص بمعنى قديم الهجرة هو التعريف الدقيق الصحيح (٤) لهذه الكلمة •

والواقع انه يمكن أن نحدد بدقة وضع القرانيص بالنسبة للمشتروات فى حالات ثلاث هى : فى المعركة ، وفى الراتب (الأجر) ، وقيمة الرواتب وتوزيع الاقطاعات • حيث نجد أن وضع القرانيص والمشتروات فى ساحة القتال وضع مميز تماما حيث يقع عبء الحرب كله على القرانيص أو على أصح تعبير على عاتق مماليك السلاطين السابقين ، وخاصة المماليك القرانصه للسلطان الذى سبقه مباشرة (٥) • وجدير بالذكر ان الاجلاب فى بعض المعارك كانوا يتراخون فى القتال بالنسـبة للأجناد والقرانيص وان كان ذلك لم يوضح فى مطلع الدولة المملوكة البحرية حسب كما أوضحنا انها دولة قامت على الانتصار الحربى ، وان كنا نجد فى ذلك ان الجيش المملوكى كان واقعا تحت رغبة السلطان الحقيقية وهو أن يجنب مماليكه القتال •

أما بالنسبة لتوزيع الاقطاعات فقد كان يقال ان القرانيص لهم الأولية فى الحصول على الاقطاعات ، وهذا الرأى يتعارض مع رأى بولباك Polıak ، فمن الواضح أن الذى حدث بالفعل هو أن الأجلاب كانوا يستولون على اقطاعات

---

(١) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, III, B.S.O.A., Vol. 16 (1954) p. 82.

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٢٦٤ •

(٣) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢٠٠ ؛

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٤ •

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى ، زبده كشف الممالك ، ص ١١٥ •

(٥) كان فى بعض الحالات يعتبر أسلوب للتخلص منهم (أى القرانص) •

أنظر • ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٥ ص ٩٧ ؛

ابن زنبل ، تاريخ السلطان سليم ، ص ١٣ •

القرانبص ولم يتورعوا فى سببيل ذلك عن الفتل والأساليب الملتوية (١) ، وكانوا يفعلون ذلك دون أن يعارضهم أحد ، وربما كانوا يفعلون ذلك بتأثير مباشر من السلطان ٠

أما عى الراتب « (الأجر) أو فيمة الرواتب للقرانيص والمشنروات فانه كان هناك فوارق عجيبه فى المعاملة المالية بين القرانيص والجلبان ، فالقرانيص كانوا يتسلمون نفقه أقل بكثير اذا فورنت بالنفقه التى كانت تصرف للجلبان بالرغم من المسئولية التى كانت ملقاه على عاتقهم ٠ وان كانت هذه التفرقة أقل بكثير مما كان يحدث للسيفية الذين كثيرا ما لا يسلمون روانبهم ومستحقاتهم على الاطـــلاق ، مما كان ينير التمرد بين صفوفهم (٢) وان هناك حالة فريدة نسلم فيها القرانصه والجلبان نفقات الكسوة (٣) بالكامل وفدرها ثلاثة آلاف درهم ، ويعنبر هذا المل الوحيد الذى نسلم فيه القرانيص رانبا معادلا للراتب الذى صرفه الاجلاب نلك السنه ٠ وبذلك نجد كيف كان القرانيص والسيفيه (وحنى أولاد الناس بالطبع) يعاملون معاملة سيئة فيما يتعلق برواتبهم فى حين انه كانت نصرف كل مخصصات الجلبان بالكامل ٠

أما بالســـبة لتوزيع الاقطاعات ففد كان يقال أن القرانيص لهم الأولية فى الحصول على الافطاعات ، وهذا الرأى يتعارض مع رأى بولياك Polıak فمن الواضح أن الذى حدث بالفعل هو أن الاجلاب كانوا يستولون على أقطاعات الفرانيص ، ولم يتورعوا فى ســبيل ذلك الى القتل والأســـاليب الملتوية (٤) وكانوا يفعلون ذلك دون أن يعارضهم أحد ، وربما كاـــوا يفعلون ذلك بتأثير مباشر من السلطان ٠ وفى حالات أخرى كمثال لذلك نجد أنه « عندما مرض أحد المماليك الفرانصه ، وكان فى النزع الأخير ، وعندئذ طمع بعض الأجلاب فى أخذ اقطاعه بعد وفانه ، ولكن هذا القرناص استعاد صحته ، فقام الأجلاب بقسله وهو فى طريفه الى الفلعه ، وذلك لبستولوا على اقطاعه ، ولم يعاقب أى

---

(١) اس اياس ، حوادث الدهور ، ٤ ص ٢٢٤ ٠
(٢) نفسه ، نفس الجزء والمرجع ، ص ٢٨٥ ٠
(٣) نفسه ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٣٥٨ ،
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ٣ ص ١٤٨
(٤) اس اياس ، بدائع الرهور ، ٤ ص ٣٥٨ ؛
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ٣ ص ٤٨ أ ٠

واحـد منهم رغـم أن الافطاع أعطى لآحرين (١) وعرض موفف آخر للمؤرخ ابن اياس بصـورة واضحة » فقد وجد فى سـوق الغنم شـخص من المماليك القرانصة وهو قتيل ، وقد خنق بواسطة رقعة وعروة من أتوابه ، ورمى على قارعة الطريق ، ولم يعلم من قتله ، فقيل أن ذلـك من فعل المماليـك الاجلاب بسبب اقطاعه ، وقد فعلوا مثل ذلك بجماعة كبيرة من المماليك القرانصة بسبب اقطاعاتهم ، ففعلوا ولم تنتطح فى ذاك شاتان · وقد اضطربت الأحوال فى هذه الأيام الى الغاية ، وصارت المماليك تقتل ·· لأجل اقطاعهم ، واذا عرضوا من قتل على السلطان بتناقل (٢)

مما تقدم يتضح لنا أن المماليك القرانص كانوا لا ينتمون الى مرتبه أو أقسام معينة فى الجيش المملوكى ، كما انهم لا يحتلون مركزا مرموقا فى سلطنة المماليك · هذا بالرغم من أنهم جند سلطانية ·

* * *

أما الطائفة الثالثة من الجيش المـمـلوكى فهم **أجنـاد الحلقة** ونتكون من محترفى الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهم على هذا الأساس جيش الدولة الذى لا يتغير بتغيير السلطان ، ويشرف على كل ألف منهم أحد امراء المئين كما كان لكل مائة منهم « نقيب » أو باش » ويشترط فيه الالمام بمساكنهم ومكان اقامتهم لجمعهم عند الطلب ، وليس لهذا النقيب سلطة عليهم الا فى أثناء الحرب (٣) وكان لكل أربعين منهم مقدم (٤) ، وكانت مرتباتهم تصرف من ديوان الجيش (٥) ·

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١/١ ص ٧ ، ص ٣٤٦ ، ص ٢١٢ ، ١٥٨ ·
انظر : ماجد ، نظم دولة السلاطن ، ١٢ ص ١٤٩ ؛
Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, polastind and Laboion, p. 235-1 0— 16 — 19 — 21 — 24 — 27 — 19 — 31 — 32 — 40.

(٢) العمرى ، مسالك الابصار ، ٢ ص ٣٨ ؛
المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٣٥٠ ؛
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٥ ص ١٦٦ ؛
انظر · طرخان ، النظم الافطاعية ، ص ١٤٩ ·

(٣) العمرى . مسالك الابصار ٥ ص ١٦٦ ؛
القلقشند ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٦ ·

(٤) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ١١ ص ٣٤٩ ، ٣٦٩ . ١٢ ص ٣٣
أبو شامه ، الروضين ، ٢ ص ١٧٩ – ١٨٠ ·

(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ١١ ص ٣٤٩ ، ٣٦٩ ، ١٢ ص ٣٢ ؛

ويبدو أن لفظ الحلقة ظهر كاسم للوحدة العسكرية في سنة ٥٧٢/١١٧٥(١) عندما رحل توران شاه تنفيذا لأوامر أخيه صلاح الدين في حملته على اليمن ، كما ذكر اسم هذه الوحدات مرات قلائل خلال حصار عكا ســـنة ٥٨٧/١١٩١ • ولا تذكر المصادر تاريخ تأسيس الحلقة ، وليس هناك تفسير يوثق به فى تفسير اسمها ، ولكن هناك رأيان يمكن دراستها بحذر ، الأول حيث يعتقد « كاترمير » Quatremér ان الحلقة سميت بهذا الاسم لأنها كانت وحده تحيط بالسلطان كالحلقة وتكون حرسه الشخصى (٢) ، ونجد أن وصف المصادر لموقفها ومكانها فى القتال تؤيد الانطباع بأنها كانت نخبة قوات صلاح الدين (٣) • ولكننا نجد « بولياك » Poliak يعارض كاترمير ، حيث يقول ان هـــذا الاسم له علاقة بالتكتيكات الحربيه التى تستخدمها العناصر التركية فى الهجوم ، وهى الاحاطة بالعدو على شكل حلقة ، ويؤكد بولياك وجه نظره هذه بالاشارة الى الاعتماد على هــذه التكتيكات فى مناورات القتال التى تصفهـــا المراجع التى تتحدث عن الفروسية ، وفى حملات الصيد التى كان ينظمها كثير من الايوبيين وســـلاطين المماليك (٤) وهنا لابد أن نأخذ هذين التفسيرين على أنهما افتراضان • ذلك لأن لدينـــا معلومات لا نســـمح لنا الا بذلك ، لأنه ليس هنـــاك أسانيد تؤيـــد أيا منهما ، هذا وان كان ايلون (٥) David Ayalon يؤيد وجه نظر كاترمر Quatramère فى انهم سموا حلقة على أنها تحيط بالسلطان وتكون حرسه الخاص •

ولكى نفهم تكوين الحلقة ونظامهـــا فى أدوارها المختلفة ، يجب علينا أن ندرس تطور تاريخ الحلقة منـــذ العصر الايوبى • ففى عهد صـــلاح الدين كان للحلقة شأن كبير ، من ذلك أنه حدث أثناء حصار عكا ان احتلت الحلقة مركزا ممتازا ، ولازمت السلطان تحت اسم الحلقة الخاصة أو الحلقة السلطانية (٦) أما فى عصر المماليك البحرية فان الحلقة حافظت على قوتها ومركزها المرموق ، وكانت تعتبر القوه الضربه الرئيسيه للجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية • وكان أجنادها يحتلون مراكز الشرف الاولى فى كافة الحفلات الرسمية المختلفة ، وذلك جنبا الى جنب مع المماليك البحرية ، الذين هم فى عصب الجيش كأمراء وجند سلطانية والتى فيها المماليك السلطانية والخاصكية ، وأحيانا يذكر اسم

---

(١) أبو شامة ، الروضيين ، ٢ ص ١٧٩ ــ ١٨٠ •

(٢) المقريزى ، السلوك ، ١/١ ص ٢٠٠ ــ ٢٠٢ •

(٣) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٢٢ ، ٢ ص ٧١٦ •

(٤) David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A. Vol. (1953) p. 448.

(٥) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ١٢٣ ، ٢ ص ٧١٦ ؛ أنظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٤٩ •

(٦) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٧ ص ٧ •

الحلقة قبل اسم البحرية (١) ، كذلك نجد فى هذه الفترة اشارة تتكرر بوصف الحلقة بالمنصورة بسبب انهم القوة الضارية ، وان كان هذا اللقب سـيزول تدريجا بعد ذلك (٢) ، وكان قادة الحلقة يسمون مقـدمى الحلقة فى العصر المملوكى البحرى ويحتلون مراكز عالية فى هذا العصر ٠ وكانت أسماؤهم تظهر جنبا الى جنب مع أسماء الأمراء فى الحفلات الرسمية وبخاصة احتفال القسم عند اعتلاء السلطان دست السلطنة ، ونجد كذلك عند توقيع الاقطاعات تستلم أجناد الحلقة وذلك فى ٧١٢/١٣١٢ نفقاتهم قبل المماليك السلطانية (٣) ٠ وفى نفس السنة استعرض الناصر محمد بن قلاوون المماليك السلطانية ونقل بعضهم الى الحلقة ، وقد استلم « طيبغا » بن عبد الله الجارعى من الأمير « بكتمر » حاكم دمشق اقطاعات الحلقة (٤) وخصصت قرية الناصرية لعشرة من الأجناد منهم « سنقر العدوى » (٥) وكذلك نجد أن المناشير الصادرة باقطاعات الحلقة لا تكون من السلطان كما هو الشأن فى مناشير الأمراء ، واقطاعات الحلقة وقف عليها دون غيرها من فئات المماليك ، ولم يشذ عن هذه القاعدة طوال العصر المملوكى البحرى سوى السلطان قلاوون ، اذ أنه أعطى مملوك والى القاهرة « الأمير سنجر الخياط » اقطاعا بالحلقة تقديرا ومكافأة استثنائية له ، لأنه قبض على اثنين من العابثين ، وبجانب ذلك نجد ان قلاوون نفسه يعطى ولدى الأميرين طرقطاى وكتبغا اقطاعات بالحلقة يوم طلبا منه ذلك ، وقال جملته المشهورة « والله لو رأيتهما فى مصاف القتال يضربان السيف أو كانا معى فى الصف قدامى ما استبح ان أعطى لهما أخبازا فى الحلقة خشية أن يقال أنه أعطى الصبيان الأخبـاز » (٦) ولقد خدم فى الحلقة بعض أمراء المماليك ومنهم من لديه أمير طبلخاناه ، كمـا خدم بعضهم كمقدم (٧) ، كما استخدموا مقـدمى الحلقة كمبعوثين للدولة الهـامة أو لصـحبة المبعوثين الأجـانب وهم فى طريقهم الى بلادهم من مصر وان كان من المعروف أن مهمة هؤلاء المبعوثين كانت عادة مخصصة لطائفة الخاصكية ٠

ومن الجدير بالذكر ان ندرس الوضع الاجتماعى لجند الحلقة بالنسبة لاقرانه من طوائف المماليك الأخرى ، فنجد أن راتب مقدم الحلقة كان أقل بكثير

---

(١) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ص ١٦٤ ٠

(٢) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ٢ ورقة ١٦ أ ٠

(٣) نفسه ، نفس المرجع والجزء والورقة ٠

(٤) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٢٥٠ ، ٢ ص ٤ ـ ٥ ٠

(٥) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعيه ، ص ١٤٩ ٠

(٦) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٨ ص ١٣٦ ، ٩ ص ٢٤٥ ٠

(٧) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٤٠٤ ٠

من راتب الأمير فى العصر المملوكى البحرى والذى فى نفس الرتبة . فلقد كان راتبه من السلطان ١٠٫٠٠٠ درهم تقريبا ، وأمير العشرة ١٠٠٠ درهم ، بينما نجد أن مقدمى الحلقة راتبهم ٥٠٠ درهم ، وكذلك أمير الطبلخاناه يدفع له ٥٠٠ درهم ، وبينما أمير العشرة يتحصل على ١٠٫٠٠٠ درهم نجد أن مقدم الحلقة ٥٠٠ درهم (١) .

أما **أجناد الحلقة** فمتوسط عبره اقطاع الجندى منهم ٢٥٠ دينارا فى السنة ، وهذه أقل عبرة (٢) ، وهم ينقسمون الى ست عبرات اقطاعية (فئات) مختلفة كالآتى :

م	عدد الأجناد	عبر الاقطاع للواحد منهم فى السنة	سعر الدينار
١	١٥٠٠	٩٠٠ دينار	١٠ درهم
٢	١٣٥٦	٧٠٠ دينار	١٠ درهم
٣	١٣٠٠	٦٠٠ دينار	١٠ درهم
٤	١٣٠٠	٥٠٠ دينار	١٠ درهم
٥	١١٠	٤٠٠ دينار	١٠ درهم
٦	١٠٣٦	٣٠٠ دينار	١٠ درهم

(١) ابن العسقلانى ، الورود الكامنة ، ٤ ص ١٨١ ؛
ابن كثير ، البداية والنهاية ٢/١ ص ٢٦٤ - ٢٩٠ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٢٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥١٨ ، ٥٣٤ ، ٢ ص ٤٩٩ ؛
ابن تعرى بردى ، النحوم الزاهره ، ٤ ص ١٢٥ ، ٧ ص ١٦٠ ، ٨ ص ١٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ٢٦٣ .

نجد فى العصر المملوكى البحرى نوعا من الجند يطلق عليهم الفرديـة أو المفارده ، ومفردها مفردى وطبيعة عملها غير معروف ولكن أفرادها كانوا من صغار أمراء المماليك ، وقد ذكروا على أنهم = يشتركون بانتظام فى الحفلات الرسمية مع غيرهم من الأمراء ومقدمو الحلقة ثم اختفوا بعد ذلك . وربما يكونوا من المماليك الذين يتعلمون فى الطباق وقبل أن يتخرجوا يشركونهم فى الاحتفالات .
أنظر . المقريزى ، السلوك ، ٩ ص ١٦٠ .

(٢) العبرة . هى مقدار المساحة ، وهى فى الاصطلاح المالى القديم مقدار المربوط من الخراج فى الأموال لهذه الاقطاعية من الأرض وما يتحصل على كل قرية من عين أوغله .
أنظر : الملحق أ المرفق بالبحث « كشف المصطلحات »
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٥٠ ؛
العمرى ، مسالك الارجاء ، ٢ ص ٣٨٣ ؛
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ٩٣ .

ومن المألوف أن يشترك عادة أجناد الحلقة فى الاقطاع الواحد ، ونقسم العبرة بينهم — وعلى سبيل المثال لا الحصر ان مدينة النحريرية (الغربية) مقطعة لعشرة أجناد (١) وزمامها ١٢٧٠ ، أى مساحة الأرض لهذه المدينة وعبرنها ٣٠٫٠٠٠ دينار مقسمه على الأجناد العشر نقسيما يتناسب مع مربباتهم ، بجانب أنه كان يحدث أن يدخل الى جانب المماليك السلطانية المماليك الأمراء لفئة مماليك الحلقة (٢) ، وعلى سبيل المثال نجد أن الأمراء قرانوس الكوندكى ، ولاجين الحموى البريدى وغرلوا البكنرى ، وجركس السفى ، ومنكلى يغا (٣) ، وأيبك الحسامى (٤) ، وكذلك يغدى الأشرفى (٥) وقد وزعوا مقدمى الحلقة الى الأقل توزيعا قطريا (جغرافى) أما عددهم وربتهم فكانت كما يلى :

يتقدمهم أمير مائه (مقدم ألف) الذى كان يقود ألف جندى ، ومن هنا سمى أمير مائة مقدم ألف ولم نجد فى المصادر ما يوضح دورهم الحقيقى ، ولكن كانوا يقودون مائة جندى فى غير أوقات الحرب . أما مقدم الحلقة فكان يقود أربعين جنديا . ورغم هذا فمن المؤكد ان سلطته كانت مقصورة عليهم وقت الحملات الحربية على الألف جندى ونزول بمجرد انتهاء الحرب (٦) . ومن الصعب أن نقرر الى أى حد كان هذا الترتيب ينفذ عمليا ، لكنه من المؤكد انه نفذ فى العصر المملوكى البحرى ، حيث اعتمدت قيام الدولة على الحروب والقتال ، فكان جند الحلقة من مختلف الرتب تحت قيادة أمير خاص فى القتال ، وكانوا يسمون بالمدافعين ، ولكن هذه التسمية لم تكن قاصرة عليهم ، ولكنها كانت تشمل مماليك الأمراء الخاضعين لنفس هذه القيادة (٧) .

ولقد كان أفراد الحلقة يسمون عادة بأجناد الحلقة (٨) وأحيانا رجال

---

(١) طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٠٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٤ ص ٣٥٤ — ٣٥٥ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٥٠ ؛
ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ٤٧٧ .

(٣) منكلى هو والد مؤلف الكتب العسكرية التى وردت فى مقدمة البحث (مخطوطات) والمعروف باسم محمد بن منكلى .

(٤) أنظر مقدمة البحث ص ١٦ .

(٥) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٤٠٣ .

(٦) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٨ ص ١٣٦ ، ٩ ص ٢٤٥ .

(٧) أنظر : الملحق (أ) المرفق بالبحث (كشف المصطلحات) ؛
الظاهرى ، زبده كشف الممالك ، ص ١١٥ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٦ ؛
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ١١٠ .

(٨) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٨٣١ ، ٩٢٢ ، ٩٣٠ ، ٩٤٩ ، ص ٢ ص ٣٣ ، ٦٣ ؛
ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٧ ص ١٣٩ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٢٥٥ .

الحلقة (١) ، بينما كان جنود المماليك يطلق عليهم اسم المماليك (٢) . ولقد وصلت أجناد الحلقة الى مراكز رئيسية مرموقة وذلك خلال العصر المملوكى البحرى ، وحتى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، كان ذلك نتيجة لدورهم الهام فى أعمال القتال حتى يقال ان أربعة آلاف من جنود الحلقة أسهموا فى الحرب ضد المغول فى سنة ٦٨٠/١٢٨٠ • وكانوا يعتبرون فخر الجنود ويقاتلون فى قلب الجبهة ، بينما عدد المماليك المقاتلين فى القلب من الفئات الأخرى لا يزيد عن ثمانمائة مملوك (٣) •

أما عن دور جند الحلقة فى القتال والذين كانوا يقاتلون فى قلب الجبهة فاننا نجد أن فى المعارك الحربية ، كان الجيش المملوكى مقسما الى ثلاث وحدات رئيسية هى : القلب ، وهى الوحدة المقاتلة الرئيسية أو القوة الضاربة للجيش ، وبها تحقق الأهداف العسكرية الاستراتيجية ، أما الميمنة والميسره وهما القوتان المسئولتان عن حماية الأجناب من تدخل العدو ، وفى نفس الوقت يمكن استخدامها فى عمليات الالتفاف والتطويق ، وبهما تحقق الأهداف العسكرية التكتيكيه •

وكانت أول ضربة وجهت الى أجناد الحلقة عندما تم توزيع الاقطاعات الذى تمت طبقا للروك الحسامى والناصرى فى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى ، وبموجبها تم مسح البلاد واعادة توزيع الاقطاعات • وقد أحدثت هذه العملية تغيرا عميقا فى بناء جيش المماليك عامة وجند الحلقة خاصة ، وكان الهدف الأساسى منها تقوية مركز السلطان ، والذى الحق ضربه شديدة لأجناد الحلقة (٤) •

ولقد سبق أن تكلمنا عن عمليات مسح أراضى مصر وأهميتها فى البناء الاقطاعى والاقتصادى لدولة المماليك ، ولكن فى مجالنا هذا نوضح أثر مسح أراضى مصر فى النظام الحربى عامة ، وجند الحلقة خاصة ، ثم نتائج ذلك على الفن الحربى فى العصر المملوكى البحرى • ذلك ان عملية الروك أو مسح الأرض

---

(١) المقريزى ، السلوك ١ ، ١ ص ١٤٦ — ٣٥٠ ،

ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ١١ ص ٤٤٤ — ٤٥١ •

(٣) نفسه ، نفس المرجع ، ٩ ص ٤٧٧ •

(٣) أبوا الفدا ، المختصر ، ٤ ص ٥٧ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ز ص ١٥٧ — ١٥٨ ؛

المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٢٧ ، ٧٤٣ ، ٧٦٨ ، ٢ ص ٤٩ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ؛

ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٧ ص ٩٠٥ ، ٩ ص ١٢٣ ، ١٨٦ ، ٣٤٨ •

David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A. Vol. 15 (1963) p. 451.

(٤) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ، ٩ ص ١٤٥ ؛

طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٩٨

Poliak, Feudalism in Eg pt, Svria, Polestine and the labanon, P. 28—25—68;

David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk rmy, II, B.S.O.A. Vol. 15 (1963).

نمت كما سبق أن أوضحنا ثلاث مرات فى دولة المماليك على مدى فترة قصيرة ٠ ولقد علق بولياك Polıak على اعاده عمليات مسح أراضى مصر بقوله ان الهدف من العملية هو اعادة توزيع الاقطاعات لجعل أصحاب هذه الاقطاعات تحت رحمة سيطرة السلطان (٣) . فلقد كان في العصر المملوكى البحرى نظام الاقطاع متأثرا بالنظام الأيوبى ، فى حين أن النظام المتبع فى الصرف على الجيش يحالف ما عند الصليبيين بالشام ، اذ كان عندهم أيضا نظام الاقطاع يقضى بأن ينتقل الاقطاع عن طريق التوريث من الأب الى الابن ، لذا لجأ سلاطين المماليك عن طريق الروك الى تجريد الاقطاع فى دولتهم من الصفة الوراثية من جانب ، ثم التغيرات الكبيرة التى أحدثها الروك فى بناء الجيش التى تبدو واضحة من جانب آخر ، وذلك بمقارنة الكشوف الاقطاعية أثناء تنفيذ عملية مسح الأراضى المصرية ، فقيل أن عملية مسح الأرض كانت أربعة قراريط من الأربعة والعشرين قيراطا التى تنقسم اليها أرض مصر ، منها أربعة تخص السلطان والمماليك السلطانية ، وعشرة منها كانت لأجناد الحلقة ، والعشرة الباقية للأمراء (١) ٠ وعلى هذا النحو فان أغلب أراضى مصر موزعة بين الأمراء وأجنـاد الحلقة ، بينما لم يبق للسـلطان ونخبة جيشه وهم المماليك السلطانية الا أربعة قراريط ، أى سدس أرض مصر والباقى كان للأمراء وأجناد الحلقة ٠ ولكن حدث فى الروك الحسامى أن أمر السلطان لاجين ونائبه منكوتمر رئيس الكتاب ومستوفى الدولة بأن يكتفى الأمراء والحلقة جميعهم بعشرة قراريط بدلا من عشرين حسب القاعدة العامة ، وأرض لمن عساه أن يشكو قلة متحصلة قراطا واحدا ، ثم احتفظ بتسعة قراريط « برسم عسكر مستجدة فضلا عن قراريط نصيب السلطان (٢) ٠

أما الروك الناصرى فقد صار للسـلطان وخاصته عشرة قراريط ، بينما وزعت الأربعة عشر قراريط البـاقية على هيئة اقطاعـات بين مختلف الأطراف الأخرى (٣) ٠ وتوضح هذه الأرقام تقوية مركز المماليك السلطانية الذى تم على حساب أمراء الحلقة (٤) ٠ وكذلك يشير « أبو المحاسن » الى « أن الروك الحسامى كان عاملا أساسيا فى ضعف الجيش المملوكى » (٥) والذى أضعف الحلقة التى تعتبر قلب الجيش المملوكى فى القتال ، ويضيف نفس المصدر « أنه لم يكن هناك ما يعوض تلك الخسـارة ، هذا الى أن جهة من الجهـات لم تحصل على

---

(١) Polıak, Feudalism in Egypt, Syria, Polestine and labanon, p. 28—25—68.

المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٧ ٠

(١) أبو المحاسن النجوم الزاهره ، ٥ ص ١٠١ ٠

Poliakh Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and Labanon, p. 23, 25, 27, 28.

David Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk

(٣) المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٧ ٠

(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٨ ص ٩٥ ٠

(٥) نفسه ، نفس المصدر والجزء والصفحة ٠

اقطاعات مجزيه ، فضلا عن أن الاقطاعات التى جمعت عن طريق الروك وزعت بعد مقتل السلطان لاجين » .

ومن العرض التالى لأبى المحاسن يتضح لنا أثر الروك الحسامى على أجناد الحلقة اذ يقول « وكانت أجناد الحلقة قد تقاعصت أحوالهم عن أيام الملك المنصور قلاوون ، فانهم كانوا على أقل عبرة للاقطاع وأصعف متحصلا حتى كانت عشرة آلاف درهم ، وما فوق ذلك الى ثلاثين ألف درهم وهى أعلاها (١) .

ولقد ترك الروك الناصرى أثرا خطيرا فى أجناد الحلقة وترك كثيرا من الضغائن (٢) بين طوائف الأجناد ، وقد ظل التوزيع الذى بمقتضى هذا الروك سارى المفعول حتى زمن المؤرخ « بن تغرى بردى » (٣) . وهكذا مرت الحلقة بعد الناصر محمد بن قلاوون بأدوار مختلفة فدخلت فيها عناصر غريبة تدريجيا ، ويتبع المقريزى هذه الأدوار فيقول « أنه جرى بعد وفاة محمد بن قلاوون ، أن أصبح عاديا لدى أجناد الحلقة أن يقايضوا اقطاعاتهم بتغييرها أو بيعها بمال ، ونتيجة ذلك ان دخل فى الحلقة عناصر غريبه ، فكثر الدخلاء بين الأجناد واشترت السوقة والأرذال الاقطاعات ؛ ثم يعلن المقريزى عن ذلك بقوله « وصار فى زماننا أجناد حلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وخربت بهم أراضى اقطاعاتهم (٤) » .

وليس ذلك فحسب ما ذكره « المقريزى » عن الأراضى الاقطاعية ، ولكن من الملاحظ هو أن جند الحلقة أو على الأقل بعضا منهم تركوا صفة الجندية ، وصاروا فى أزماننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات » وهو بالتأكيد ما يؤثر على الكفاءة القتالية للقوات ، خاصة أنها كانت تستخدم فى قلب الجيش أو القوة الضاربة الرئيسية الاستراتيجية للدولة نتيجة انجرافهم الى حرف وصناعات بدلا من صفة الجندية .

ومن الجدير بالذكر أن أول نظام للمقايضه بالاقطاعات فى الحلقة كان من قرب نهاية العصر المملوكى البحرى ، وفى عهد السلطان شعبان بن محمد ابن قلاوون الذى تولى السلطنه فى ربيع الآخر سنة ١٣٤٦/٧٤٦ ، ودفع تحت تأثير الأمير شجاع الدين اغرلوا الذى أنشأ لهذا الغرض ديوانا خاصا سمى بديوان البدل (٥) ، كما قرر اباحة الدخول فى أجناد الحلقة ، فمن أراد ذلك فعليه أن يحمل لبيت المال قدر عبره الاقطاع المعتاده لجندى الحلقة ، وقام ديوان

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ٨ ص ٩٤ ــ ٩٥ ،
المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٧ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤ ص ٦٩ ؛
ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ١ ص ١٥١ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٠٢ ــ ٣٨٧ ــ ٣٣٦ ؛
المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ١٤٦ ؛
نفسه ، الخطط ، ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١ .
(٣) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ٥ ص ٢٠٣ .
(٤) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ١٤٦ ــ ١٤٧ .
(٥) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ .

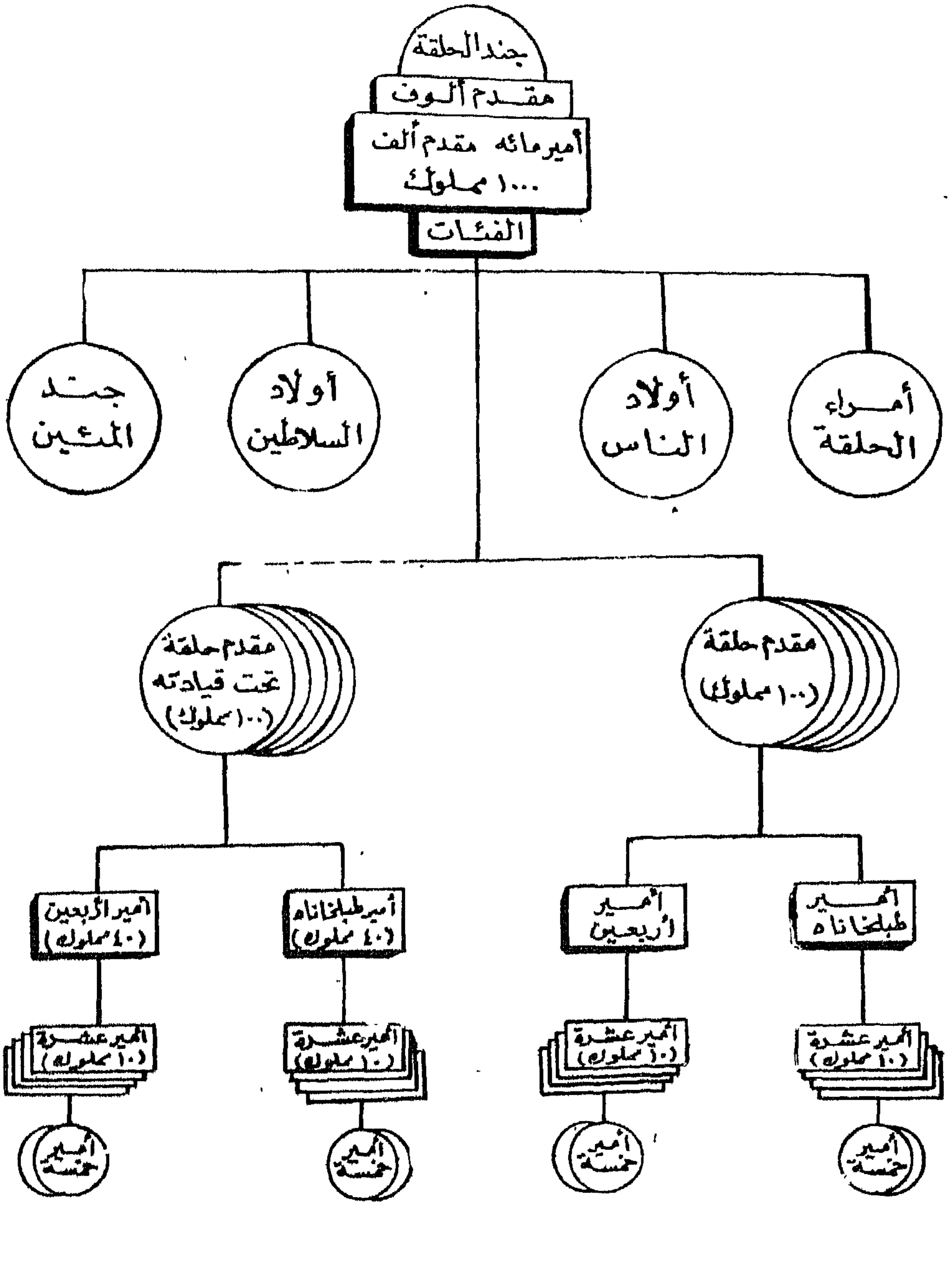
البدل الذى انشأه اعرلوا سنه ١٣٤٦/٧٤٦ على تنظيم هـــذه المقايضة والبيع والنزولات ، وازداد سلطة هذا الديوان واتسعت وسائله حتى استحق أن يعرف بديوان البدل (١) . وقد الغى هـذا النـظام نتيجة لتدخل الأمراء لدى السلطان شعبان الذى استجاب لطلبهم ، الا أن الأمر عاد الى الفساد مرة أخرى حين تولى الأمير « البوسفى » أمر الوزاره سنه ١٣٤٨/٧٤٩ فى عهد السـلطان صالح بن الناصر محمد ، وانطلقت يده فى الأموال ، فكثرت الرشوة حتى صارت جميع أعمال المملكة وولاتها لا يعين فيها الا المال (٢) ، وأعيد فتح باب النزولات والمقايضات فكان فى استطاعة جندى الحلقة أن يبيع اقطاعه بمبلغ عشرين ألف درهم أو أقل ، وذلك وفقا لمتحصل الاقطاع ، على أن يحصل الوزير على رسم معلوم عن كل عملية بيع ، وازدادت الحال سوءا سنة ١٣٥٢/٧٥٣ ، عندما عين الأمير « سيف الدين سيلار » نائبا للسلطنه ، حيث استشرى الفساد وبيعت نقادم الحلقة (أى اقطاعات مقدمى الحلقة فاشتراها الباعة وأصحاب الصنائع ، وظهرت طائفة عرفت باسم المهيسين (٣) ، وقد بلغت عددهم نحو الثلاثمائة مهيس » .

وكانت مهمـة المهيسين الطواف على الأجنـــاد ، ليرغبوهم فى النزول عن اقطاعاتهم ، أو المقايضـة بهـــا مقابل عموله مقدارها مائة درهم عن كل ألف درهم (٤) يتقاضاها المهيسين بعد اتمام صفقة البيع .

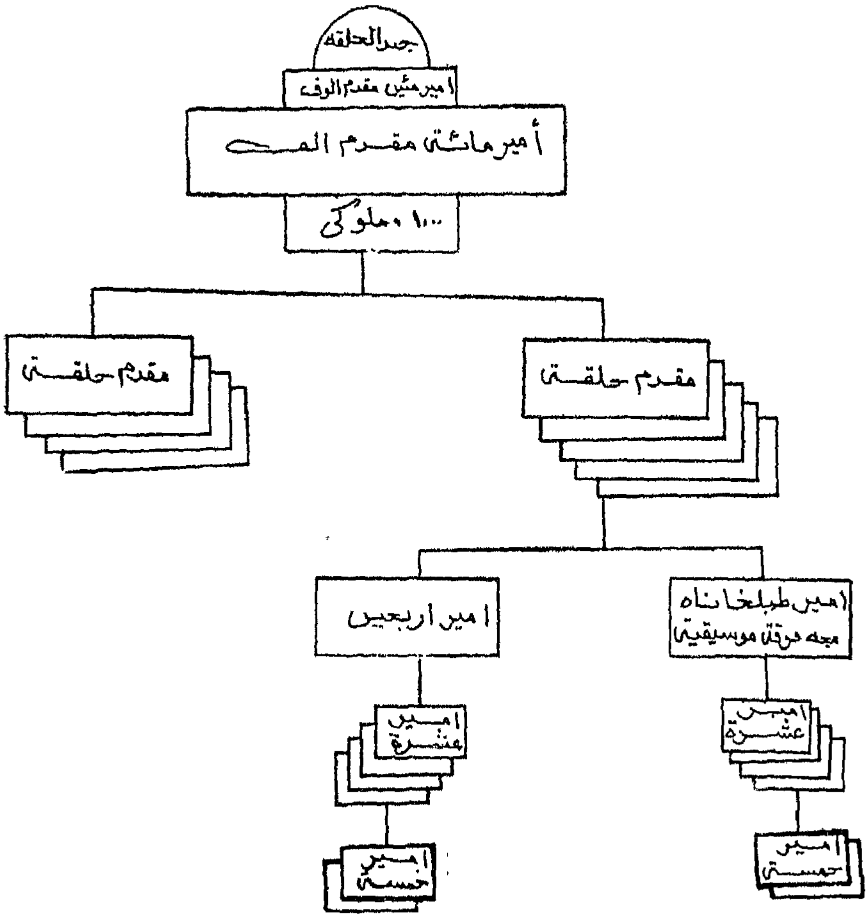
ولقد أدى هذا النظام الى أضعاف الحلقة الى حد كبير حيث أنهم لجأوا الى الحرف والصنائع الأخرى طلبا للرزق بعد ان كانت الجندية هى صنعتهم (٥) ، اذ أن الارتزاق بالجندية كانت سمة العصـــور الوسطى فى الشرق والغرب . وكانت نتيجة طبيعية أن يؤدى أضـعاف الحلقة المادى الى **تفككها ونقطة بداية الى زوالها** . وبالتالى أضعاف قوة الجيش نفسه حيث تعتبر الحلقة القوة الاستراتيجية الأساسية للجيش المملوكى البحرى الذى درأ كل الأخطار وأنقذ مصر ، بل والعالم الاسلامى كله من الهلاك ، من الصليبيين عامة ومن المغول خاصة ، وكانت بداية النهاية لعظمة الفن الحربى للمماليك البحرية ، حيث صار لا يذهب للقتال من أجناد الحلقة الا أصحاب الاقطاعات التى متحصلها ٤٠٠٠ درهم فأكثر (٦) ،

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهره ، ١٠ ص ١٩٥ ؛
انظر . طرحان ، النظم الاقطاعية ، ٢٦٩ .
(٢) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٨ .
(٣) أبو شامه ، الروضتين ، ٢ ص ١٧٩ ، ص ٢١٧ ؛
انظر : ماجد ، الناصر صلاح الدين ، ص ٨٥ ؛
نفسه ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ١٤٩ .
(٤) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ١٨ .
(٥) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ١٣٦ .
(٦) نفسه ، نفس المرجع والجزء ، ص ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ؛
أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ٦٩٧ - ٦٩٨ .



جند الحلقة
مقدم ألوف
أمير مائة مقدم ألف
١٠٠٠ مملوك
الفئات
أمراء الحلقة
أولاد الناس
أولاد السلاطين
جند المئين
مقدم حلقة
(١٠٠ مملوك)
مقدم حلقة تحت قيادته
(١٠٠ مملوك)
أمير طبلخاناه
أمير أربعين
أمير طبلخاناه
(٤٠ مملوك)
أمير الأربعين
(٤٠ مملوك)
أمير عشرة
(١٠ مملوك)
أمير عشرة
(١٠ مملوك)
أمير عشرة
(١٠ مملوك)
أمير عشرة
(١٠ مملوك)
أمير خمسة
أمير خمسة
أمير خمسة
أمير خمسة



جمدار الحلقة
أمير مئين مقدم الوف
أمير مائة مقدم ألف
١٠٠ مملوكي
مقدم حلقة
مقدم حلقة
أمير طبلخاناه معه فرقة موسيقية
أمير اربعين
أمير عشرة
أمير عشرة
أمير خمسة
أمير خمسة

وكانوا يذهبون الى المعركة كل حسب امكانياته ، فبعضهم كان يسير مشاه ، والبعض الآخر على خيولهم (١) ، وبالطبع كان هذا نتيجة للاجراءات التى تمت بخصوص الاقطاعات فى نهاية العصر المملوكى البحرى ، حيث يبدو أن عمل الحلقة الرئيسى بعد ذلك كان هو حراسة الأماكن الحيوية بالقاهرة ، وذلك أثناء غياب القوات المقاتلة مثل حراسة قلعة الجبل ، أو لحراسة أبواب القاهرة ، والفسطاط ومصر وضواحيها (٢) .

وبهذا انهارت الاستراتيجية العسكرية الاسلامية لدولة المماليك البحرية ، وفى تلك الأحداث التى كان تاريخ المماليك البحرى يمتلىء بها ، كانت الحلقة هى الضحيه الاولى التى نتج عنها انهيار الاستراتيجية العسكرية للدولة .

وهناك عامل آخر قلل من شأن أفراد الحلقة وهو أنه كان ينقصها عامل هام وهو رابطة التضامن التى كانت تربط بين الزملاء من الرق والعتق (الخشداشيه) ، والتى يقوم عليها أساس الجيش المملوكى ، ولذا كانت مقاومتها غير فعالة ولم تكن هذه المقاومة شديدة كمقاومة الوحدات المملوكية الأخرى ـ حيث وضعت فى موقف بدون أى مقاومة تذكر من جانبها فيما عدا ، ما أظهر أفرادها من غضب أثناء الروك الحسامى ، وما قام به بعض أفرادها من ترك الخدمة العسكرية (٣) . وعلى ذلك يمكن القول بأن الحلقة لم تقم بأى مجهود لتوقف تدهور أهميتها فى الشئون السياسية والعسكرية وان أحسن القول فى تدهور دورها الهام فى الاستراتيجية العسكرية للدولة .

ولقد كان يدخل ضمن أفراد الحلقة جماعات تسمى أولاد الناس وهم وحدة خاصة ينتمى اليها أولاد الأمراء والمماليك ، وهؤلاء الأولاد ولدوا وتربوا كمسلمين ، وكان كثير منهم يحملون أسماء عربية ، وكانت نسبة علماء الدين بينهم كبيرة وكان أولاد الناس هم النخبة الممتازة لأفراد الحلقة ، وكانوا يلقبون باسم أولاد الناس (٤) ، أو أحسن الناس ، المقصود بالناس هم الشعب أو الجمهور . ونعتقد أنه ربما يقصد بها أولاد المماليك والأمراء وأولاد الشعب المصرى من

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٢٢ ، ٤٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ .

(٢) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ١٦٣ .

(٣) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ٨ ص ٥ ، ص ٩٩ .

(٤) لفظ الناس فى معناه هو الشعب أو الجمهور وأعتقد أن المقصود بأولاد الناس هم ذوى التربية الحسنة سواء من أولاد السلاطين أو الأمراء أو عامة الشعب .

أنظر : المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٧٨٩ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٥ ص ١٣ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ؛ ٥٢٢ ؛

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٥٣ ، ٥ ص ٦٧ ؛

Poliak, Feudalism in Egypt, p. 16, 14.

المتعممين وحفظة القرآن . ويدخل أبناء الناس في الحلقة بأسلوب تدريجي مع التدريب فعندما يبلغ ابن الأمير أو ابن لشخص مقتدر سنا معينة كان يزوده أبوه براتب ومؤن وعليق حتى يبلغ سنا معينة ليسمح له باستيلاء اقطاع الحلقة . وكان بعضهم يصل الى مرتبة أمير عشرة أو أمراء أربعين حسب ما تسمح به الظروف (١) .

وقد ذكر « المقريزى » بأن السلطان قلاوون لا يسمح اطلاقا بالحاق أى فرد من أبناء الأمراء بالحلقة الا اذا بلغ سن الرشد ، حتى أنه طبق هذا المبدأ على ابنه شخصيا ، وعلى من اشتركوا فعلا فى القتال من أولاد الأمراء (٢) ونعتقد أن ماذكره هذا المؤرخ عن أولاد الناس كانوا لا يتعدون الى مرتبة أمير عشره أو أمير أربعين ، غير صحيح فى جملته ، حيث نجد أن بعض أفراد هذه الوحده ، وخاصة فى البلاد الشامية وبنسبة أقل فى مصر قد وصلوا الى مرتبة أمير ألف . وهذه الرتبة وصل اليها كذلك فى بعض الأحيان أفراد الحلقة ، وممن يعتبرون من أولاد الناس (٣) .

ولقد أطلق المعاصرون على أبناء السلاطين لقب « أولاد الناس » وهو لقب يشترك فيه أولاد الأمراء ، ونعتقد كذلك انه ربما يكون أولاد المصريين المقتدرين المتعلمين . والدليل على ذلك أن بعضهم عبر عن هؤلاء جميعا باسم «المصريين» (٤) ولعل هذه التسمية الأخيرة تدل على وجود أبناء مصريين معهم ، وليس كما اتجه البعض بادعائهم أن تسمية المؤرخين لهم بالمصريين راجعة الى أنهم ولدوا بمصر ولم يشتروا بالمال كآبائهم ، وأنهم تربوا تربية مصرية طبقا لعاداتهم وتقاليدهم الأصلية . فقد كان من الممكن أن يسموا أولاد المماليك . وليس بتسميتهم بلفظ « المصريين » كما أطلق على فئة « أولاد الناس » (٥) .

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٥١ .

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٢ ص ١٧٤ .
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١ .
ابن اياس ، بدائع الزهور ٢ ص ١٧٧ ، ٤ ص ٤٦ ٤٧ ، ١٩٥ ٢٣٦ ٥ ص ٢٦ ١٧٦ ، ٣٩٥ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ١٢ ١٠١ ١١٠ ١٩٢ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .

(٤) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ص ١٦٥
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٢٦٢ .

(٥) المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ١٢ ١٠١ ١١٠ ١٢٩ .
نفسه ، الخطط ، ٢ ص ٢١ .
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ .
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٧٧ ، ٤ ص ٤٦ ٤٧ .

وكانت العـادة أن يعطى أولاد النـاس الجوامك ، الا أنه يحـدث أحيانا أن يمنحوا الأمراء باقطاعهم ، فمثلا منح الناصر محمد سنة ٧١٠/١٣١٠ الأمير على بن سيلار أمير عشره بمصر (١) ، كما منح ولدى الأمير سيف الدين ارقطاى المعروف بالحاج ، نائب صيدا امرتين سنة ٧١٨/١٣١٨ ، وهما أميره طبلخاناه للأمير على ، وأمره عشرة للأمير ابراهيم (٢) ، كذلك مع السلطان الكامل شعبان ابن الناصر محمد سنة ٧٤٩/١٣٤٩ ابن مشتمر أمره مائة وتقدمه ألف بمصر ، والأمير على بن أصلم أمره طبلخاناه (٣) ٠

هذا وان كنا نعتقد أن فرصة الترقى كانت لأولاد الأمراء والمماليك أكثر منها من فرصة المصريين ٠٠ وهذا لا يعنى أن أولاد الناس لا يتضمنون فئة من أولاد المصريين ٠ وان كان فى بعض الأحيان كان أولاد الناس ينفون لأسباب سياسية ، وذلك اما لاضعاف قوة كبار الأمراء المماليك المنافسين للسلطان أو من الممكن أن يكون للسيطرة على الشعب حيث أنه ربما كانوا أولاد الناس من علية القوم ، فمثلا كان السلطان حسن بن الناصر محمد قلاوون يفضل أولاد الناس على أمراء المماليك ، وأراد أن يحلهم محل الجند الأتراك وقد صرح بقوله « هؤلاء مأمونون وكذا العافية فى طى علمى ، حيث وجهتهم اليه توجهوا ، ومن أصـــعب عزلهم. أمكننى ذلك بسهولة ٠ وفبهم أيضا رفق بالرعية ومعرفة الأحكام (٤) ٠

فخلال حكم هذا السلطان كان أغلب نواب القلاع بالبلاد الشامية من بينهم ، مثل ابن القمشرى نائب حلب ، وابن صبيح نائب صنعاء ، وأمير على الماردينى نائب الشـــام (٥) ٠ أما فى مصر فكان منهم فى عهـــده عشرة أمراء مقدمون منهم أولاده قاسم وأحمد ، والثمانيه الباقون هم أولاد الأمير بكرى ومحمد بن طوغاى ، ومحمد بن بهاء رأس النوبه ، ومحمد بن المحسنى ، وموسى بن ارقطاى ، وأحمد ابن آل ملك ، وشرف الدين موسىالازكشى ، وعمر أرغون نائب (٦) ٠

ومع ذلك فقد كان المركز الممتاز الذى يشـغله أولاد النـاس أثنـــاء حكم السلطان حسن بن الناصر محمد كان أمرا استثنائيا غير عادى ، حيث يختلف تماما وضع مركزهم تحت كلمة من غيره من الحكام ، نظرا لأنهم كانوا عنصرا له

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ١١ ٠
(٢) طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٤٧
(٣) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ١٠ ص ١١٩ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ١٤٧ ٠
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ١٠ ص ٣٠٩ – ٣١٠ ٠
(٥) نفسه ، نفس المرجع ، والجزء والصفحه ٠
(٦) المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ١٢ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١٠ ص ٣١٧ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٥٣ ٠

طبيعته وخاصة أنهم يعودا بعيدا عن صفوف المماليك ، وبذلك أصبحت فرصتهم فى الترقى الى احتلال المراكز الهامة ضعيفة ، كما قل شأنهم مع تدهور الحلقة على مر العصور ، وضيق عليهم الخناق ، كما ضيق على الحلقة بأكملها ، وذلك فى تخفيض الرواتب وبيع اقطاعانهم ، والاعفـــاء من الاشـــتراك فى الحملات العسكرية مقابل دفعهم للبدل (١) ٠ وبجانب ذلك لم يجدوا الفرصـــة الكافيـــة للتدريب القتالى على استعمال القوس والسهم ، وهكذا اعتبروا غير صالحين لكى ينضموا الى فئة المماليك العسكرية (٢) ٠

وفى نهاية حكم المماليك البحرية أخذ اسم الحلقة يتضاءل شيئا فشيئا ، بينما أصبح من المألوف أن نسمع عن أولاد الناس ، بعد أن كنا نسمع بشكل نادر لفظ أولاد الناس أكثر من أجناد الحلقة (٣) حيث ان اســـم أجناد الحلقة اختفى تماما كلفظ مستعمل ، وان لم يكن ذلك كل شىء ، بل صار يسمى أولاد الناس مماليك سلطانية ، فيقال أولاد الناس من المماليك السلطانية ، ونجد هذا التعبير بكثرة ، ولأننا عثرنا مرة واحدة على اسم أولادَ الناس الخاصكية (٤) ، وان كان يعنى بها الخاصة Mamlouk Khassakiya اذا ربما يقصد أولاد الناس من المقاتلين فقط ، وان كنا نعتقد أن هذا لا يعنى بأى حال من الأحوال تحسين وضع هذه الوحدة ، حيث أن المراجع تذكر عكس ذلك تماما ، ومن المحتمل أن يكون اصطلاح المماليك السلطانية خلال تلك الفترة له معنى أوسع كنتيجة لادخال وحدات اضافية للمماليك السلطانية فى ديوان الفرد (٥) كذلك ظهر من بين أولاد الناس وغيرهم من أفراد الحلقة من له ميل قوى للأمور الدينية ، وترك الحياة العسكرية الى الحياة العامة ، وأصبح الكثيرون منهم فقهاء (٦) ٠

★ ★ ★

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهره ، ١٠ ص ٣١٧ ،
المقريزى ، السلوك ، ٣ ص ١٢ ؛
طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٥٣ ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ١٤ ــ ١٨ ،
المقريزى ، السلوك ، ص ١٧٥ ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٢١ ٠

(٣) أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ١٧٥ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٢١ ٠

(٤) أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ١٧٥ ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ٢١ ٠

(٥) Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A., Vol 15 (1953) p. 455.

(٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٢٣٦ ،
ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ١ ص ٢٥ ، ص ٩١٠ ؛
ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٩٧ ــ ٩٨ ،

أما الفئة الأخرى التى كانت ملحقة بالحلقة فهم أولاد السلاطين ، وكانوا يكونون أهم عناصر الحلقة (١) ، وكان يطلق عليهم اسم الأسياد ، أو أولاد الملوك ، وكانوا ينادونهم بلفظ « يا سيدى » ، ومع ذلك كان السلطان يعامل أبناء السلطان السابق بشده ، وذلك لسطونهم ولخشيته من أن يستعملهم الخصوم للاثارة ضده (٢) ، ولقد كان طوال العهد المملوكى البحرى ، ومن الممكن أن نقول حتى حكم « برسباى » فى عصر المماليك الشراكسة ، كانوا أغلبهم لا يغادرون قلعة الجبل بل حتى الكثير منهم لم يروا القاهرة ، وليس لديهم فكرة عن شكل هذه المدينة ، الا أنه أول ما سمح لهم بأن ينزلوا من قلعة الجبل وان يعيشوا فى المدينة حتى أفسدتهم الحياة الصاخبة للعاصمة ، فأصاب الكثير منهم الفقر وذهب ما كان عليهم من عز وجاه (٣) .

وكان أبرز هذه الفئة وأخطرها أولئك الذى تخلوا عن الوظائف السلطانية بعد وفاة أبيهم ، فكانوا يرسلون الى سجن الاسكندرية ، وربما كان هناك من السلاطين من استعملوا الرأفة معهم فيحضر بعضهم الى القاهرة ويشركونهم فى الحفلات العامة ، وفى حالات نادرة كان يسمح لهم بالذهاب لقضاء فريضة الحج (٤) ، ولكن هذه الحالات فردية ، وليست قاعدة عامة يتبعها السلطان مع أبناء السلاطين السابقين ، وظل حال أولاد السلاطين بدون تحسين طوال عصر المماليك بصفة عامة والمماليك البحرية بصفة خاصة .

★ ★ ★

أما **أجناد المئين** وهو وحدة ن وحدات الحلقة ، كانت ترابط خارج القاهرة ، ومن الجدير بالذكر ان نشير انها كانت ترابط بالاسكندرية وان كانت المصادر تشير الى أن نشأتها ترجع الى سنة ٧٦٧/١٣٦٧ عندما تعرضت الاسكندرية للاغارة عليها (Frankishsiad) وترتب على تلك الاغارة بعض التغييرات فى نظام الدفاع عن المدينة ، وكان من بين تلك التغيرات اقامة معسكر لمائين مقاتل (٥) . وقد زاد عددهم أيام المقاتل خليل بن شاهين الظاهرى المؤرخ (٦) ٣٦٠ من الجند

= ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ٩ ص ٢٨٣ ؛
السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٤٨ .

(١) أبو المحاسن ،حوادث ، حوادث الدهور ، ص ١٤٢ .

(٢) Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A., Vol. 15 (1953), p. 458.

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٥ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٥ ؛
أبو المحاسن ، حوادث الدهور ، ص ٧٧ .

(٥) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٤٩٠ .

(٦) Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S O.A., Vol. 15 (1953), p. 467.

يرأسهم ١٢ قائدا ، وكان كل قائد منهم يتولى ثلاثين منهم . ومع ذلك لم يكن لهم دور يذكر فى عصر المماليك البحرية ، ولكن المجال يحتم علينا الاشارة اليهم .

★ ★ ★

ولقد كان هناك بجانب ذلك مماليك الأمراء ، أو أجناد الذين سبقت الاشارة اليهم ، وكانت تلك القوات مسجلة فى ديوان الجيش الا أن هذا النظام تغير زمن القلقشندى (١) وكان كل أمير يعد القوائم الخاصة به ، وكان يرسل نسخة من القوائم الى الديوان (٢) . وكان عدد مماليك الأمراء محدودا ولا يزيد عن العدد المحدد ، حيث أنه كان يحل مماليك جدد محل الذين تقادموا ، ولم يكن الأمير يستطيع طرد مملوكه .

وكانت قوات الأمير تتلقى رواتبها وحقوقها من سيدها وبمقتضى الميثاق الاقطاعى (٣) . فكان الأمير يأخذ ⅓ دخل اقطاعه ويوزع ثلثى دخل الاقطاع على مماليكه . ولم يكن من الممكن للأمير استقطاع جزء من نصيب المماليك الا بموافقتهم .

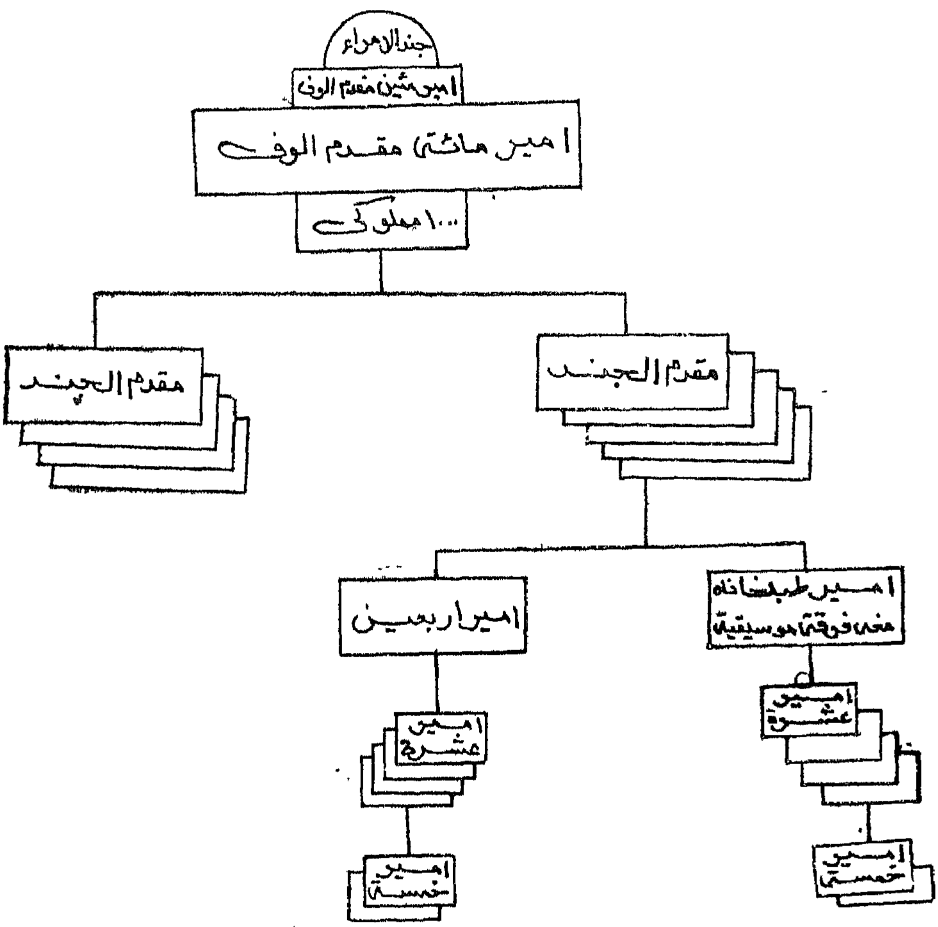
ولا نعرف الا القليل عن واجبات المملوك نحو الأمير ، ولكننا نستطيع أن نستنتج مدى العلاقة التقليدية بين الامير ومماليكه (٤) فهناك بعض الانتقادات لتصرف أمير بسلوك غير طبيعى بين أمير ومماليك ، ومن هذه الانتقادات يمكن استنتاج هذه العلاقة من واقع حياة هذا الأمير . فلقد كان سودون البلاطى سنة ١٤٣٨/٨٤٢ والذى كان سلوكه عكس ما كان يتطلب من سلوك الأمراء التقليدى بين الأمير ومماليكه حيث كان يعيش فى وظيفة بقلعة الجبل بالقاهرة حتى بعد أن أصبح أحد كبار الأمراء ، وعندما نقل بناء على أمر السلطان من القلعة وأقام فى المدينة وظل يعمل باسلوبه الشخصى ، فكان فى استطاعته أن يأمر مماليكه أن يصطحبوه على ظهر خيولهم فى هيئة موكب حتى باب داره وحده ، وكان لا يقدم طعاما لمماليكه فى بيته ، وتعويضا لهم عن ذلك ، كان يعطى لكل واحد منهم جراياته ، فى حين من المعروف أن الأمراء العاديين كانوا يشركون

(١) الظاهرى ، زبده كشف الممالك ، ص ١١٥ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ١٧/١٦ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٥٠ – ٣٥٣ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٣٦٣ – ٦٤٤ .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٥٨ .



جند الامراء
امير مئين مقدم الوف
امير مائة مقدم الوف
١٠٠٠ مملوك
مقدم الجند
مقدم الجند
امير طبلخاناه
معه فرقة موسيقية
امير اربعين
امير عشرة
امير عشرة
امير خمسة
امير خمسة

مماليكهم معهم فى طعامهم (١) ٠

وكان فى خدمة « سودون » مائة وخمسون مملوكا كلهم من الكتابية ، وهم مماليك صغار السن لم يتموا أو لم يحصلوا بعد على شهادات عتقهم ٠ وكان عليه أن يوزع عليهم فى أول كل شهر رواتبهم وجرياتهم من العليق واللحم ، وعليهم أن يصطحبوه على ظهر خيولهم فى أيام المواكب فقط (٢) ، وهو وضع شاذ ٠

ولقد ظهرت الروعة فى قصور الأمراء وأسمطتهم ، وبرزت مواكبهم آيه فى الفخامه ،واظهارا للقوة ودليلا على البذخ والثروة ، فعندما كان الأمير يركب بنفسه فرسه ليخرج من قصره تتقدمه أكابر أجنـاده من أرباب الوظائف أمير النوبه ، والدوادار ، وأمير مجلس ، ومشاه خدمة أمامه ، وكل من كان منهم أكبر كان اليه أقرب ، وتكون الجمدارية من ممالبكه الصغار خلفه ، وأمير خور خلف الجميع ومعه الجنائب (٣) والأوشافيه (٤) ٠

وأما عن اعداد المماليك فان المؤرخين نوضح لنا الفرق الكبير بين هذه الاعداد وقوة وعدد المماليك البحرية بالمقارنة بالعصـور الأخرى ٠ ففى العصر المملوكى البحرى أوضح المؤرخون أنه كان لدى قراسنقر سـتمائة فارس (٥) ، ويطلب « سنقر الأشقر » أن يصبح أميرا ، ويوضع تحت تصرفه ستمائة فارس (٦) ، وكان لدى « اشتدمر » حاكم طرابلس خمسمائة مملوك (٧) ولدى « موصوف » ستمائة مملوك (٨) ، «ولشيخون العمرى» سبعمائة مملوك (٩) ٠ وقد جمع أيبك

---

(١) Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II, B.S.O.A., Vol. 15 (1953), p. 439.

الجرايه : مازالت تستخدم حتى الآن فى القوات المسلحة حاليا ، وتعنى مرتب الجنود اليومى من الخبز ٠

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٢٧٧ ٠

(٣) الجنائب ، ومفردها جنب ، وهو الخيول التى تسير وراء السـلطان فى المواكب والحروب لاحتمال الحاجة اليها ٠

(٤) انظر . المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣١ ؛
انظر الملحق « أ » بالبحث المصطلحات العسكرية ٠

(٥) الاوشافيه : « أولاد جاويه » وهى الفرقة من خدم السلطان ووظيفتها ركوب الخيل للسير والرياضة ٠
نظر الملحق « أ » من هذا البحث « المصطلحات العسكرية » ٠

(٦) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٨٧ ٠
نفسه ، الخطط ، ٢ ص ٣٩٠ ٠

(٧) نفسه ، السلوك ، ١ ص ٦٨٧ ٠

(٨) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ١ ص ٣٨٨ ٠

(٩) نفسه ، نفس المرجع ، ٣ ص ٢٥٨ ٠

لاحدى المعارك بالقرب من قلعة القاهرة مائتى مملوك من مماليكه (١) • وكان فى خدمته « ألف وخمسمائة ممـــلوك (٢) ، وعندما عزل « بيبرس المظفرى الجاشنكير » من السلطنة طلب خمسمائة مملوك ، ولكن لم يحصل الا على مائة فقط (٣) • وكان أكثر الأمراء مماليك هو « يلبغـا الناصرى الخاصكى » فطبقا للرواية كان لديه ألف وخمســمائة مملوك (٤) ، وفى رواية أخرى ثلاثة آلاف مملوك بينهم أربعة أمراء الألوف (٥) • ويذكر ابن تغرى بردى أن مماليك «يلبغا» كان يطلق عليهم اليلبغاوية ، وكانوا يكونون فى بداية القرن التاســع الأغلبية الســـاحقة للجيش المملوكى وكان أكبر الأمراء من بين صفوفهم (٦) • وكان « منجك » له خمسة وسبعون من الكتابية ، ونوروز الحافظى ألف مملوك يتسلم كل منهم جامكيه تتراوح قيمتها بين عشر ومائة دينار ، وكان مجموع رواتب مماليكه عندما ثار على السلطان يتراوح بين عشرين ألف وثلاثين ألف دينار (٧) • وكان « منكلى بغا » له مائة مملوك (٨) •

وفى نهاية عصر المماليك البحرية ، بدأت حياة الأمراء التقليدية وغيرهم يزول تدريجيا ، منهم الأمراء الذين يملكون مئات أو حتى ألوف من المماليك (٩) ، هذا ولقد ذكر المقريزى قائمة بعدد الأجناد على اختلاف طوائفهم ورتبهم فى مصر ، وبالرغم ان هذا المؤرخ لم يبين لنا اسم السلطان الذى وصل فى أيامه الجيش المملوكى الى هذا الحد ، الا أنه بصفة العموم يعطينا فكره عن عدد الجيش فى العصر المملوكى عامة ، والمملوكى البحرى خاصة • واذا علمنا ان عدد مماليك الأمراء لم يكن يتناوله التغير عادة فى الزيادة أو النقصان حيث أن المبدأ أن الجديد يحل محل المتقادم ونخص بالذكر العصر المملوكى البحرى وفيما يلى هذا البيان :

---

(١) نفسه ، النجوم الزاهرة ، ٥ ص ١٠١ •

(٢) خليل بن شاهين ، زبده كشف الملوك ، ص ١٣٢ •

(٣) أبو الفدا ، المختصر لتاريخ البشر ، ٤ ص ٥٧ •

(٤) أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ١ ص ٩٣ •

(٥) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الملوك ، ص ١٤٨ ؛
ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، ٤ ص ٤٣٨ و
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٢١٩ •

(٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٥ ص ٤٦٠ •

(٧) نفسه ، المنهل الصافى ، ٨ ص ٣٩٠ •

(٨) نفسه ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٤٤٢ ــ ٤٤٣ •

(٩) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٣ ــ ١٠٦ •

٢٤	أمير مائة مقدم ألف
٢٤٠٠	مماليكهم بمعدل مائة لكل أمير
٢٠٠٠	أمراء طبلخاناه
٨٠٠٠	مماليكهم بمعدل أربعين لكل أمير
١٤	ولاه بالأقاليم
٥٦٠	مماليكهم بمعدل أربعين لكل أمير
٢٠٠	ولاه الأقاليم
٢٠٠٠	مماليكهم بمعدل عشرة لكل أمير
٢	أمير عشرة وربما بوظائف
٧٠	مماليكهم بمعدل عشرة لكل أمير
١٣٤٧٥	المجموع لمماليك الأمراء

٤٠	مقدمو المماليك السلطانية
٢٠٠٠	المماليك السلطانية
١٨٠	مقدمو الحلقة
٨٩٣٢	أجناد الحلقة
٢٤	نقباء الألوف
١١١٧٦	مجموع المماليك السلطانية وأجناد الحلقة

١٣٤٧٥	مماليك الأمراء
١١١٧٦	المماليك السلطانية وجند الحلقة
٢٤٦٥١	مجموع جند مصر (١)

(١) خليل ابن شاهين ،زبده كشف المماليك ، ص ١٠٣ ـ ١٠٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٦٤ .

أما بيانات الشام فلم يتعرض المقريزى لذكر عدد الجنود فيها ، ولكن خليل بن شاهين الظاهرى أوضح لنا عدد الجنود فى مصر والشام ، وهو أكثر تفصيلا وأقرب الى الصواب ، كما كان فى العصر المملوكى البحرى ، حيث سجلت فى فترة معركة « عين جالوت » ويبدو من هذا الاحصاء التعبئة لجميع الأجناد والممكن استغلالها لحساب المجموع الكلى للجيش المملوكى البحرى ، حيث كان احصاء الظاهرى على النحو التالى : ٠

٤٢٠٠٠	الجنود المصرية (مماليك سلطانية ، أجناد ، حلقة ، مماليك أمراء)
١٥٠٠٠	أجناد حلقة بدمشق ومماليك كامل والأمراء ٠
٨٠٠٠	حلقة حلب ومماليك الكامل والأمراء ٠
٥٠٠٠	حلقة طرابلس ومماليك الكامل والأمراء ٠
٢٠٠٠	حلقة صقر ومماليك الكامل والأمراء ٠
١٠٠٠	حلقة غزه ومماليك ٠
٧٣٠٠٠	حلقة ومماليك مصر والشام
٦٠٠٠٠	أجناد النواب بمصر والشام
١٣٣٠٠٠	المجموع الكلى للأجناد بمصر والشام

أما العربان فى الأقاليم التابعة لمصر ـ عدا الشام ، فقد ذكر « الظاهرى » أن عددهم وصل ٣١٤٠٠٠ (وان كان هذا العدد غير مبالغ فيه الى حد كبير) ، وبذلك أحصى هذا المؤرخ جنود الجيش المملوكى البحرى فى مصر والشام والأقاليم التابعة لمصر كما يلى :

٣١٤٠٠٠	جنود عربان فى الأقاليم التابعة لمصر
١٣٣٠٠٠	أجناد حلقة ومماليك مصر وأجناد النواب بمصر والشام
٤٤٧٠٠٠	المجموع الكلى للجيش المملوكى البحرى

هذا هو التركيب التنظيمى للجيش فى عصر المماليك البحرية ، والذى حقق كثير من المهام والأهداف الاستراتيجية للعالم الاسلامى بصفة عامة ، ولمصر بصفة خاصة ، ومهما تعددت فئاته واختلفت اعداد هذه الفئات الا أنها كانت لها جميعا هدفا استراتيجيا واحدا ٠

أما عن الأمور الخاصة بالشئون الادارية للجيش المملوكى البحرى ، فمن الواجب أن ندأدراستها طبقا للتسلسل القيادى الأعلى حتى نصل الى أسفل لمستوى الجند . فلقد كانت الوزارة من أهم المناصب فى المملكة فى صدر دولة المماليك ، وكان سنجر الشجاعى ت ٦٩٣/١٢٩٣ أول أمير يعين فى هذا المنصب ، الذى له علاقه قويه فى امدادات الجيش وشئونه الاداريه . وكان يختار هذا المنصب من المماليك الذين تقف على أبواب مساكنهم الفرق الموسيقية (١) التى كانت تعزف الموسيقى . وكان بعضهم من القوة بقدر جعلهم يوزعون العطايا دون استشارة السلطان ، كما أنهم كانوا يعينون أمراء العشرة والأربعين فى الشام . وفى داخلية التقسيم الادارى للوزارة نجد أن برفوق قد قسم الوزارة مكاتب منفصلة هى : الوزارة الاستدارية ، ناظر الخاصة ، وكاتب السر (٢) (السكرتير الخاص) ، وكان الواجب الرئيسى الذى يكلف به الوزير هو أن يشرف على تزويد الجيش باللحوم .

أما **الاستدارية** فكانت مسئولة عن توزيع المرتبات المالية الشهرية وكذلك الرواتب العينية اليومية والسنوية . ولقد روى المقريزى « ان صلاحيات هذا المكتب زادت زيادة كبرى فى أيامه الا أن مركزه كان دائما محفوفا بالمخاطر ، لأنه كثيرا ما كان يعجز عن دفع رواتب المماليك فى حينها ، وكثيرا ما كان يتعرض للضرب ويصير التحفظ عليه حتى يدفع قدرا كبيرا من الرواتب من جيبه الخاص (٣) . وكان يتبعه الخازندار الكبير (كبير الصيارفة وبيت المال) ـ وهى تشبه الادارة المالية للقوات المسلحة حاليا ـ وكانت خزائن السلطان توكل الى الخازندار ، بما فى ذلك أموال السلطان وملابسه النفيسة الغالية وما شابه ذلك . وكان يشغل ذلك المنصب عادة أمير من الطبلخاناه ثم ابدل فيما بعد بأمير ألف (٤) .

أما عن **كاتب السر** فقد كان مسئولا عن قوائم أسماء المماليك ، وكان يقرأ أسماء المماليك فى المناسبات الرسمية . ولقد وضح لنا أن من اختصاصات السلطان توزيع الاقطاعات على الأمراء والأجناد وتحديد أنصبتهم فيها ، ولقد تجلى لنا نفوذ السلطان « لاجين » والسلطان « الناصر » حين أصدروا الروك

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٦٤ .

(٢) Ayalon, III, B.S.O.A., p. 69.

(٣) المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٣٣٦ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ٤٠٣ .

المعروف باسم الدولة الحسامى (١) ، والروك المعروف باسم الروك الناصرى (٢)، وذلك فى سنه (١٢٩٦/٦٩٦ / / ١٣١٥/٧١٥) ٠

وكان الناصر محمد بن قلاوون يتحرى العـدل ما أمكن فى مكافأة امرائه وأجناده ، وتوزيع الاقطاعات عليهم ، اذ أنه كان خبيرا بأحوال كل منهم باعتباره القائد الأعلى لجيوش المماليك ، الذى طالما خاض غمار الحروب وقاد تلك الجيوش بنفسه ضد الأعداء وخاصة المغول ، وشاهد ما أظهره بعض أمرائه من شجاعة وتفان فى القتال وما أبدوه من استبسال ومن شهامة فى الدفاع ٠

وكان السلطان يتولى تعيين كبار موظفى الدولة مثل نائب السلطان والوزير وكاتب السر والمحتسب ونظار الدواوين ، كما له الحق فى عزلهم وتأديبهم ، كما كان يتولى أيضا النظر فى المظالم ٠ وكان للسلطان مطلق الحكم والتصرف ، ولكن اذا أراد البت فى موضوع من الموضوعات الهامة (٣) أو اعلان الحرب ، أو ابرام صلح ، عقد مجلس السلطنة ، وهو المجلس المعروف باسـم (المشـوره) (٤) ، برئاسته وعضوية اتابك العسكر ، والخليفة ، وقضاة المذاهب الأربعة ، وأمراء المئين وعددهم أربعة وعشرون أميرا ٠

وما كان السـلطان يتكلم فى نفس المجلس بنفسـه ، وانما كان يتكلم بلسانه (المشير) والغرض من استعانة السلطان بالمشير الاحتفاظ بهيبة الملك ، لأن السلطان اذا أدلى برأى فى المجلس ثم نقضه الأعضاء ، كان ذلك انتقاصا من هيبته واحراج مركزه (٥) ٠ وكان يتولى أمير المجلس الأمور الخاصـة بمجلس السلطنة ، ويختار صاحب هذه الوظيفة من بين أمراء المئين ٠

وكان الظاهر بيبرس أول من حدد اختصاصات صاحب هـذه الوظيفة ، وقد ازداد قرب أمير المجلس من السـلطان حتى أصـبح يحرسـه فى داخـل قصره (٦) ، بل وفى حجرة نومه ٠

---

(١) بيبرس الدوادار ، زبده الفكر ، ٩ ق ١٤٥٠ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٤٢ ٠

(٢) العينى ، عقد الجماد ، ١/٢٣ ق ٥٤ ؛
المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٨٨ ٠

(٣) طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص ٧٠ ٠

(٤) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٣٤٤ ٠

(٥) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٦ ٠

(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ٠

ولقد كان اذا انعقد المجلس جلس رأس النوبة على يسار السلطان ، اذا كان يعتبر أكبر طائفة الأمراء مقاما ، وأعلاهم مركزا بحكم زعامته للمماليك السلطانية (١) ٠

وكان أمير خازنداره (٢) يتولى ادخال الناس على السلطان وهو جالس بالديوان بقلعة الجبل ، وكذلك كان الحاجب يقوم بهذه المهمة اذا جلس فى قصره ٠

وعند الكلام عن تأمير الأمراء وشعارات الامارة ، فلقد أورد «المقريزى» وصفا لما جرت عليه العادة من الاحتفالات عند تأمير السلطان مملوكا من المماليك ، وأشار كذلك الى اليمين الذى يقسمه المملوك للدلالة على امرنه ، وهو فيما يبدو يمين الاخلاص والتبعية للسلطان وكذلك شعارات الامارة ، « كانت العادة اذا أمر السلطان أحدا من أمراء مصر والشام ، فانه ينزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش ، وتوقد له القاهرة فيمر الى مدرسة الصالحية بين القصرين ، ولقد عمل ذلك فى عهد « المعز ايبك ومن بعده ، فنقل ذلك الى القبه المنصورية قلاوون ، وصار الأمير يحلف عند القبة المذكورة ، ويحضر تحلبفه حاجب الحجاب ، وتمد اسمطه جليلة بهذه القبة ٠ ثم ينصرف الأمير ويجلس له على طول شوارع القاهرة الى القلعة أهل المغانى لتزفه عند نزوله وصعوده ، وكان هذا من جملة منتزهات القاهرة ٠ وقد قل ذلك منذ انقرضت دولة بنى قلاوون (٣) ٠ وكما رأينا يلاحظ أن فرص الترقى لم تكن تهيأ لجميع المماليك على قدم المساواه ، اذا يبدوا أن الأمل فى التحرر والحصول على لقب الامارة كان مهيأ للمماليك السلطانية وهم أعظم الأجناد شأنا وأرفعهم قدرا ، وأشدهم قربا ، ومنهم ترقى الأمراء رتبه بعد رتبة (٤) ٠

وهنا نرى أن المملوك اذا وصل الى رتبة الامارة أصبح سلطانا مصغرا أو على حد قول القلقشندى « سلطانا مختصرا » (٥) له اسطبل أى مجموعة من المبانى تشمل مسكنا وبيوت مماليكه ، وموضع خيوله ومخازن مؤنها وسروجها ، ولكل

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٥ ٠

(٢) نفسه ، نفس المصدر ، ٤ ص ١٩ ،
السيوطى ، حسن المحاضرة ، ٢ ص ١١١ ٠

(٣) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ١٨٠ ،
نفسه ، السلوك ، ٢ ص ٣٣٥ ،
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٢ ص ٢١٦ - ٣٣١ ،
العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٤٦ - ١٥١ ٠

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٥ - ١٦ ٠

(٥) نفسه ، نفس المصدر ونفس الجزء ، ص ٦٠ ٠

أمير موظفون مثل الطشت خاناه ، الفراش خاناه ، وله أجناده اسنادار ، ورأس النوبة ، والدوادار ٠٠ ولقد كان حقا سلطانا فى معيشته ٠

ومن الجدير بالذكر ان المملوك عندما كان يتحرر ويصبح أميرا يقتنى بدوره عددا من المماليك ، وأنه كان يوليهم حظا من العطف والرعاية مثلما ناله هو من أسناذه من قبل ، فكان الأمير لا يمكن أن يأكل الا وجميع أجناده معه ، ويأخذ الغلمان أجناده الطعام كل يوم من مطبخه ، واذا رأى نارا موقدة سأل عنها فيقال له فلان اشتهى كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده (١) ٠

ومن الملاحظ أن الانعام برتبة الامارة لم يقتصر على المماليك وحدهم ، وانما وجدت حالات نادرة أنعم فيها السلاطين بهذه الرتبة على أفراد لا ينتمون بحكم أصلهم الى طبقة المماليك ، ومن ذلك ما يرويه المقريزى من أنه « قدم فى أيام الناصر محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية الى ميكتمر الحجازى فاعجبته مصر ، واسلم وعرف باسم اقسنقر الرومى ، وانعم عليه السلطان الناصر ومحمد بن قلاوون بأمره عشرة (٢) ٠

ولقد كانت أرزاق الجند تدفع آن ذاك من متحصلات الاقطاعات ، ويعتبر جيش الدولة قويا طالما كانت خزائنها مملوءة بأموال ، ويجدر بنا فى هذا المجال أن نتتبع كيف تملأ هذه الخزينة بالمال سواء شرعيا أو غير شرعى (٣) ٠ أما المصدر الأول أو المصدر الشرعى فكانت المتحصلات الوارده والتى تمثل دخل الدولة ما يلى :

١ ــ المال الخراجى : هو ما يؤخذ عن أجرة الأرض (الوجه البحرى والقبلى) ٠

٢ ــ دخل الدواوين السلطانية وديوان الوزارة والديوان الخاص وديوان المفرد ، وديوان الأملاك ٠

ما يتحصل عن مستخرج من معادن السلطنة (الزمرد ــ الذ ب ــ النطرون ٠٠ الخ) ٠

٤ ــ الزكاة ٠

٥ ــ الموالى وهى ما تؤخذ من أهل الذمة على الجزيه المقررة على رقابهم فى كل سنة ٠

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٥ ــ ١٦ ، ١٣ ص ٢١٦ ؛
أنظر : سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ١٦ ٠

(٢) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٢١٦ (حوادث سنة ٧٤٧هـ) ٠

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٦٧ ، ص ٤٨٨ ٠

٦ ـ المواريث الحشرية وهى مال من يموت وليس له وارث خاص ٠

٧ ـ الثغور : وهى ما يؤخذ من التجار الاوربيين عن بضائعهم عند وصولهم الى مصر وكان الوضع فى دولة المماليك هو أن يؤخذ الخمس عن كل ما يجلبه الفرغ وربما زادوا ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا (١) ٠

٨ ـ حصيلة دار الضرب على النقود المضروبة بها من ذهب وفضة ونحاس ويقصد بهذه الضريبه ما يؤخذ من صاحب الذهب أو الفضة أو النحاس مقابل ضرب معدنه وتحويله الى دنانير أو دراهم أو الفلوس (من نحاس) ٠ وكانت بالديار المصرية داران أساسيتان لضرب العملة ، احداهما بالقاهرة ، والأخرى بالاسكندرية ٠ هذا وان كانت هناك دور أخرى أقل أهمية فى ترويجه وضربه فى بلاد الصعيد (٢) ٠ وكانت أجرة كل ألف دينار تضرب بالدار أربعة عشر درهما ونصف (٣) (٤ر١٪) ٠

٩ ـ الاقطاعات : وهى فى كل البلاد بالوجهين البحرى والقبلى ، المقطوعة للأفراد والمماليك على قدر رتبهم ودرجاتهم فمن الأمراء من يحصل على اقطاع بلد واحد ، ومنهم من يجمع اقطاع نحو عشرين بلد ، أما المماليك السلطانية فكان منهم من ينفرد باقطاع بلد واحد بذاته ، ومنهم من يشترك على آخر أو أكثر من اقطاع بلد واحد ٠

أما المتحصلات السلطانية الثانية « غير الشرعية » فهى المكوس المأخوذة من الآتى :

١ ـ ضرائب التجارة الواردة عن موانى البحر الأحمر من الشرق وكذا الضرائب على التجارة الواردة من التجار المسلمين الى الاسكندرية ودمياط من أوربا ٠

٢ ـ ضرائب التجارة الواردة من الشام والعراق عن طريق البحر ٠

٣ ـ الضرائب المختلفة المتحصلة بمتاجرة الديار المصرية « الفسطاط والقاهرة » ٠

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٦٣ ؛
انظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ٦٨ ٠
(٢) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٤٤٤ ؛
نفسه ، خطط ، ١ ص ١٧٢ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ٧٤ ٠
(٣) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٤٤٤ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ٧٦ ٠

٤ ــ المكوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية التابعة لاقطاع دواوين السلطنة ، ويعبر عنها بالهلال (١) ولم تكن هذه المتحصلات كافية ، وعلى ما يبدو انه فى أواخر عصر السلاطين البحرية ، وللوفاء بالالتزامات المطلوبة لمختلف النواحى ، أدى الى اضطرارهم الى اتخاذ اجراءات لزيادة دخل الواردات بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التى كانت فيها البلاد .

ذلك هو ما كان من أسلوب الامداد لتمويل الجيش المملوكى البحرى وذلك لتأمين الشئون الادارية للجيش مع ضمان استمرار الامداد ، وطالما أنه يوجد نظام ادارى جيد فانه يوجد جيش قوى قادر على مواجهة الصعاب . وبجانب النواحى الادارية التنظيمية فانه كان لابد من قواعد واسس وقوانين حتى تنظم وتحدد المعاملات سواء كان بين الجند وبعضهم بصفة عامة أو بين العسكريين والمدنيين بصفة خاصة لذا كان هناك قضاه عسكريين متخصصين فى القضايا التى طرفيها أحد العسكريين .

أما عن **قاضى العسكر** ، فلقد كان للجيش المملوكى قضاة مختصون بشئون الجند وكان الواحد منهم يعرف باسم « قاضى العسكر » وكان عددهم ثلاثة ، أحدهم شافعى والثانى حنفى ، والثالث مالكى ، وأحيانا كان يوجد قاضى حنبلى ، ولكن فى أغلب الأحيان كان منصبه خاليا ، أما لعدم وجود حنابله فى الجيش المملوكى ، أو على حد قول القلقشندى « ليس للحنابلة منهم خط » (٢)

وكان هؤلاء القضاة يحضرون مع الفقهاء الأربعة بدار العدل ولكن مجلسهم كان دون هؤلاء القضاه . وكانوا يرافقون السلطان فى أسفاره (٣) ، كما كانوا يرافقون الحملات العسكرية للفصل بين أفرادها ، فضلا عن الفصل فى الخلافات التى قد تنشأ بين الجند عن تقسيم الغنائم أو تقسيم ميراث أحد المتوفين من الجند (٤) . ولم يكن لقضاء العسكر ولاية على غير العسكر ، فلم يفصلوا بين الصناع والعمال وغيرهم ومنذ أن كانت وظيفتهم الأساسية الفصل فى القضايا الخاصة بالعسكر ، أو التى تقوم بين العسكر والمدنيين ، حتى انها كانت تمثل القضاء العسكرى فى الوقت الحالى .

★ ★ ★

هـذا ما كان من التركيب التنظيمى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى مشتملا على ديوان الجيش والامره ووظائفها وتخصصها من أمره وشعاراتها

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٦٤ وما بعدها .
(٢) المقريزى ، السلوك ، ٢ ص ٣٩١ ،
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١١ ص ٥ .
(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٦ .
(٤) ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

من الرنوك وصله ذلك بفئات الجند المملوكيه المختلفه من جند السلطانيه ، وجند الحلقة ، وجند الأمراء مع ربط كل ذلك بالشئون الادارية بكل جوانبها من امداد واعاشة وقضاء ٠

وبهذا التركيب التنظيمى لهذا الجيش استطاع بقوته أن يدمر كل قوى التهديدات التى أصابت العالم الاسلامى بصفة عامة ومصر بصفة خاصة حتى أثبت قوة اعداده وتشكيله وتدريبه للعالم كله ٠

الفصل الرابع

الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى

- مدخل عن الفن الحربى فى العصر المملوكى البحرى .
- التجهيز القتالى وتطبيقاته على معركة عين جالوت .
- التشكيلات القتالية .
- التكتيكات .
- أجهزة الاستطلاع والمواصلات (البريد) للجيش وأثره على الفن
- ظهور البارود واستخدامه وأثر ظهور الأسلحة النارية على الفن
- استراتيجية المعارك مع الصليبيين بعد معركة المنصورة
- استراتيجية المعارك مع المغول بعد معركة عين جالوت .
- الخاتمة .

ان الفن الحربى للجيش فى عصر دولة المماليك البحرية يعنى الأسس والقواعد الحربية التى كان يمارسها الجيش المملوكى البحرى ويطبقها فى معاركه مع أعدائه ، والتى ظهرت واضحة فى معاركه مع الصليبيين والمغول سواء برا أو بحرا ، وكان أساس تطبيق هذه السياسة الحربية يستند الى ما ورد من مبادىء فى القرآن الكريم وخبرة معارك الاسلام الاولى وما تركه من تراث اسلامى حربى كبير حيث تم تطوير هذا الفن تطويرا كبيرا على يد الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية ، فالفن الحربى هو الخط الأساسى الذى ترسمه قرارات القادة عن أقدام وتخطيط سواء استراتيجيا وتكتيكيا ·

ففى العصر المملوكى البحرى نجد انه وجب علينا أن ندرس بعمق الأساليب التخطيطية للقتال الاستراتيجى للعسكرية المصرية فى العصر المملوكى البحرى ، وبجانب ذلك ، يجب أيضا الدراسة التفصيلية للأساليب التنفيذية للقتال ونقصد بها التكتيكات الحربية لهذا العصر فى معاركه ضد الصليبيين أو المغول ·

واذا أردنا أن نصل الى أسلوب المفهوم الصحيح للاستراتيجية العسكرية المصرية فى العصر المملوكى البحرى ، فاننا نجد أنه من المعتاد أن يعقد مجلس الحرب وهو ما يعرف بمجلس الأمن القومى فى الوقت الحالى ــ برئاسة السلطان

وعضوية اتابك العسكر والخليفة وقضاة المذاهب الأربعة وأمراء المئين الذى بلغ عددهم أربعة وعشرين أميرا (١) .

وكان الغرض من عقد مثل هذا المجلس الاستشارة والمشورة بأراء رجال الدولة مثل مسائل الأقدام على حرب من الحروب ، وجعل اعلان الحرب أمرا مشروعا .

فاذا ما تقررت الحرب يأمر السلطان باستدعاء الجنود من مختلف جهات مصر ، فيحلف الأمراء يمين الطاعة والولاء فى حضرته (٢) وينسلمون مايلزمهم من عتاد الحرب من خزانة السلاح التى يطلق عليها « السلاح خاناة » (٣) ، وكان مقرها الايوان الكبير الذى يجلس فيه الخليفة نحت القبة التى هدمت بعد انتهاء العصر المملوكى البحرى أى ســـنة ١٣٨٥/٧٨٧ ـ وهو ما يعرف بالحشد الاستراتيجى فى وقتنا الحاضر ـ (ذكر المقريزى أن خزائن السلاح كانت موجودة على أيامه بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسينى) (٤) كما أنه كان السلطان يعقد اجتماعه مع جنوده بالايوان وهو مرتد لبــاس الحرب مثل الحوذ؛ والدروع وخلافه .

★ ★ ★

أما عن التجهيز القتالى ، وهو ما كان يعرف باسم لباس الحرب وهـــذا يعنى الاســتعداد للقتال ، أو ما كان يعرف بتجهيزات ما قبل المعركة ووضــع الخطة واتخــاذ القرار وتجهيز المعدات فى مصــطلح المالبك الحربى باســم « التغير » (٥) ، وقد يعنى هذا اللفظ لبس الميدان ، مما قد يعرف حاليا باسم التجهيزات القتالية للجيش والتفتيش النهــائى لتجهيز الجيش قتاليا أى كل ما يتعلق بالاستعداد للمعركة . فاذا ما عرض الســلطان الجند وتفقد أحوالهم

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٧ ؛
Ayalon, Studies of the structures of the Mamlouk Army, II, B.S.O.A., Vol. 15 p. 428.

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٤٧ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٢١٨ .

(٣) عرفت الدار فى عهد الفاطميين باسم خزانة السلاح .
أنظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٤٦ ؛
أنظر : الملحق الخاص بالمصطلحات العسكرية .

(٤) ذكر المقريزى أن خزائن السلاح كانت موجوده على أيامه بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسينى .
أنظر : المقريزى ، الخطط ، ١ ص ٤٠٧ ـ ٤١٧ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٢ ؛
الخالدى ، المقصد ، ق ١٢٣ ؛
Dozy, Supp, Dist, Ast.

وسلاحهم عين من كبار امرائه قائدا اذا لم يقودهم هو بنفسه ، حيث كان السلطان غالبا فى مواضع القيادة ، ويسير على رأس الحملة الحربية ، وكان يشترط فى هذا القائد أن يكون ذى بأس وصلابة وله خبرة حروب كثيرة ، وانه قد سبق أن خاض غمارها أكثر من مرة ، واظهر كفايته الحربية فيها • وقد جرت العادة أن يتخذ القائد مركزه فى القلب حتى يراه جميع الجنود وينفذون كافة أوامره فى الوقت المناسب ـ وهو ما يعرف بتأمين القيادة والسـيطرة على القوات ، أو على الأصح مركز القيادة الرئيسى للقوات ، وربما يتخذ مركزه فى المقدمة ليثير الحماسة فى نفوس جنده ويكون قدوه لهم ويلقى الرعب والفزع فى قلوب أعدائه (١) •

وبالنسبة للتجهيزات المسبقة قبل أى معركة وخاصة التى قام بها الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية فلقد ظهر ذلك واضحا عند تحرك الجيش المملوكى المصرى الى فلسطين حيث كان هذا أول تحرك له واحتلاله غزة والذى كان كسبا تكتيكيا فى تحقيق مبدأ المفاجأة التكتيكية وهى المفاجأة التى لا يتوقعها العدو والمبادأة الاستراتيجية وهى من معانيها مبادأة الهجوم على العدو التترى وذلك فى معركة « عين جالوت » (٢) فالبرغم من أن معركة غزة هذه قد بدأت بمعركة تكتيكية بين المفرزه أى المقدمة للجيش المملوكى والحرس الأمامى لجيش التتار ، الا أنها حققت بالفعل المفاجأة التكتيكية غير المتوقعة وذلك بالانتصار لأول مرة على الجيش التتارى الذى لا يهزم ، وبجانب ذلك حققت أيضا أهداف المبادأة الاستراتيجية وهى التى وضع أساسها قرار قطز للتجهيز القتالى فى التحرك لملاقاة الجيش التتارى •

فلقد كانت كل الجيوش غير المصريـة التى واجهت جيش التتار تقـوم بتجهيز قتالى الغرض منـه الدفاع فقط حيث تقف مدافعــه أمامهم ، ولكن المفاجأة التكتيكية والمبـادأة الاسـتراتيجية تعتبر فى تاريخ الحـرب أول مرة يقوم بها جيش بالتجهيز القتالى للتحرك والتقدم والهجوم حتى حقق الانتصار على جيش التتار ، وكان أخذ موقع غزة على يد المماليك له وقع قوى عند المسلمين فى كافة مدن الشام • اذ وجدوا فى ذلك النصر بادرة أمل وتشجعوا على مقاومة التتار (٣) وهو مبدأ الروح المعنوية وتحويلها من الروح الانهزامية فى الشام الى الروح الهجومية ، وفى الوقت نفسه أظهر المماليك كياسه وبعد نظر ، فلم يحاولوا استثارة الصليبيين وحرصوا على مسالمتهم حتى لا يحاربوا خصمين فى وقت واحد ، وهى أرقى أنواع التجهيز لخلق أفضل ظروف للقتال أو ما يسمى بالتحالف الاستراتيجى بمعنى عدم محاربة عدوين فى وقت واحد ، بجانب ذلك

---

(١) المقريزى . السلوك . ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ؛ ص ٥٦٨ •

(٢) خليل بن شاهين ، زبده كشف المماليك ، ص ١٠٣ •

(٣) أبو الفدا ، المختصر ، حوادث سنة ٦٥٨هـ •

فانه يظهر منهم أرقى الاستخدام التكتيكى فى الحرب باستخدام القوات حيث يقابلون الأعداء واحدا يلى الآخر ، وبعد الانتهاء من الجبهة الأولى يتحولون الى الجبهة الثانية ٠

ومن هذه التجهيزات القتالية أيضا ارسال المماليك الى حكومة عكا الصليبية يستأذنونها فى السماح لجيشهم بعبور الأراضى الصليبية لمحاربة التتار ، فوافق الصليبيون على ذلك الطلب ٠ (١) ٠

ويقول المقريزى « ثم نزل السلطان بالعساكر الى غزة ، وأقام بها يوما ثم رحل عن طريق الساحل على مدينة عكا ، وكان بها يومئذ الفرنج ، فخرجوا اليه بتقادم أى بمؤن كافيه له ، وأرادوا أن يسيروا معه لنجدته ، فشكرهم وأخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه ، وأقسم لهم انه حتى اذا تبعه فارس أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين ، رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر » (٢) ٠

ولا شك أن التخطيط فى التجهيز القتالى والذى ظهر فى ذلك التحالف الاستراتيجى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى والذى أدى الى السماح للجيش المصرى باتخاذ الطريق الساحلى الذى كان فى أيدى الصليبيين بجانب حشد هذا الجيش بفضل تموين الفرنجه له ، والذى أدى الى اكتساب الجيش المصرى ميزة تكتيكية كبيرة تمتع بها ، حيث اتاحت لهم فرصة تكتيكية للقاء العدو وهم على أتم الاستعداد ، فضلا عن كثرتهم العددية بالقياس الى جيش المغول ، وذلك أن « كيتوبوقا » قائد المغول من قبل هولاكو كان بجيشه الذى لا يزيد عن عشرة آلاف جندى بعد رحيل هولاكو بمعظم الجيش (٣)

---

(١) قبل الصليبيون هذا التحالف الاستراتيجى مع الجيش المصرى ، وذلك لأن البارونات كانوا يشعرون بالمراره من المغول ، بسبب ما أقدموا عليه منذ زمن قريب من نهب صيدا ، كما انهم لم يكونوا يثقون بهذه القوة القادمة من الشرق التى حفل سجلها بالمذابح الجماعية ، قد ألفوا الحضارة الاسلامية وكان معظمهم يؤثرون المسلمين على المسيحيين الوطنيين الذين حباهم المغول بقدر كبير من العطف ٠

أنظر : رستمان ، تاريخ الحروب الصليبيه ، الترجمة العربية ، ٣ ص ٥٣٤ ــ ٥٣٥ ٠

ولو أننا نعتقد انهم كانوا يتمنون أن يقضى بعضهم على بعض ليكون المستقى لقمة سائغه لهم يشهد بذلك ما قاله أسقف مدينة ونشستر Winchecter من أنه يأمل أن يفنى المسلمون والمغول بعضهم بعضا ، وعندئذ يقيم المسيحيون على اشلائهم كنيسة كاثوليكيه عالمية موحدة ٠

أنظر : Brown, Aleterary Hist. of Persia, p. 643-644.

(٢) المقريزى ، السلوك ٢/١ ص ٤٣٠ ٠

(٣) Levi Della Vida, L'invosione de Tartari un Syria nel 1260, Orientalia nova Saries, Vol. IV (Roma 1935), p. 354.

ومن الواضح أن التجهيز القتالى لقرار قطز الذى اتخذه قبل المعركة والذى يتلخص فى أن يزحف بجيوشه بواسطة مقدمة الجيش وليس كما كان كالمعتاد بواسطة جواسيس أو طلائع محددة ، حينما أرسل بقيادة « بيبرس » على رأس مقدمة الجيش لاستطلاع قوات التتار ودراسة مواقعهم وقواتهم وأسلحتهم وقيادتهم وخططهم ، وكان هو الشيء الجديد فى ذلك الزمن الذى لم يشاهد من قبل فى حروب العرب السابقة ، وهو التطبيق التكتيكى السليم ، اذ يعنى ذلك دراسة العدو للوصول الى أفضل أسلوب لتدميره بأقل خسائر ممكنة وهو الأسلوب الجديد ، حيث كان كل أمراء المدن العربية ، يكتفون بتقوية الحصون عندما تصلهم تهديدات التتار ، ويؤثرون السلامة فى الدفاع من وراء الأسوار اما قطز قائد الجيش المملوكى فقد كشفت خطته عن فهمه الجيد لفنون القتال كما سبق مما تقدم ، والتى حقق بيبرس فيها أول مرحلة قتالية من الخطة الاستراتيجية بتدمير الحرس الامامى للمغول فى غزة وذلك قبل موقعة « عين جالوت » بقيادة « بيدار » واسترد غزة منهم وطاردهم حتى نهر العاصى .

وعندما علم القائد المغولى « كتبويوفا » بهزيمة « بيدرا » صار كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب من جيش المماليك وأقبل معتمدًا الى أقصى حد على قوته وسطوته مدفوعا بدافع الانتقام ، واثقا من نفسه ، موقنا بأن الجيش المغولى لا يمكن أن يهزم ، معتمدا على استراتيجية الجيش المغولى وهى استراتييجية القوة التى تعنى انه جيش لا يقهر .

أما بقية أحداث المعركة مع المغول فان دلت على شيء فانها تدل على مدى الوعى فى التجهيز القتالى بكل مشتملاته وعناصره وكيف طبق الجيش المصرى المبادىء الحربية حتى تحقق له النصر ، وفى ذلك نجد أن الجيش المصرى قد تجمع عند أسوار عكا حيث عقد قطز مؤتمرا حربيا حضره رؤساء الفرق العسكرية لعرض خطة القرار للمعركة . وهو أحدث ما وصل اليه الفن الحربى تكتيكيا واستراتيجيا حيث يعرض القائد قراره على المرءوسين ويأخذ الآراء ويلقن كلا منهم بالمهمة المطلوبة منه تفصيليا .

ولم ينس قطز ضمن تجهيزاته القتالية أن يستغل هذا الجمع ليثير الحماس للقتال فى نفوس الحاضرين ، ويذكرهم بأهمية الموقعة التى سوف يخوضونها ، وما يترتب عليها من ازالة المفاسد والمذابح والأهوال التى لاقاها المسلمون على يد التتار ، ويحثهم على عدم التهاون فى محاربة المغول حتى لا يصيبهم ما أصاب سكان البلاد الاسلامية من القتل والسلب ، وما حاق باقاليمهم من الخراب والتدمير وأخيرا حثهم على انقاذ الشام من التتر ونصرة الاسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله ، وكانت الكلمة التى القاها عليهم قائدهم قطز بليغة ومؤثرة ، الهبت مشاعرهم وغيراتهم ، فصمموا على التفانى فى الجهاد الى آخر رمق فى

حياتهم (١) ، وهذا ما يعرف بالروح المعنوية . أما عن سجل الأحداث لمعركة عين جالوت لهذه التجهيزات الفتالية نجد أن القوات المملوكة ، تتجه عبر بلاد الفرنجه نحو نهر الأردن يتقدمها الأمير بيبرس البندقدارى على رأس قوة المقدمة الى أن واجه الطليعة ، بحيث كتب الى قطز يعلمه بذلك ، وأخذ فى مناوشتهم حتى لحق السلطان قطز عند مكان يسمى « عين جالوت » (٢) ويروى بعض المؤرخين ان رجوع هولاكو بجزء من جيشه الى فارس قبيل ذلك الوقت أضعف من قوى المغول أمام المماليك (٣) ، ويروى أبو المحاسن أن بعض أمراء المسلمين الخاضعين للتتر ، نصحوا القائد المغولى بالانتظار ريثما يعود هولاكو أو يصل المدد من عنده الى الشام ليستطيع ملاقاة الجيش المصرى (٤) .

ومع ذلك فان رجوع هولاكو الى فارس لم يغير من عزم التتار على التقدم لغزو مصر ، كما أنه لم يلق فى نفوس المماليك أمنا ولا هدوءا ، بل ظلت قلوبهم مضطربة واهية (٥) من هؤلاء القوم الذين اجتاحوا آسيا وجزءا من أوروبا دون أن تلحق بهم هزيمة واحدة ، وفى صباح يوم الجمعة ٢٦ رمضان ٣/٦٥٨ سبتمبر ١٢٦٠ التقى الجمعان المملوكى والمغولى للمعركة عند « عين جالوت » .

ولقد طبقت القوات المملوكية مبدأ المفاجأة سواء استراتيجيا بنقل أرض المعركة خارج الأراضى المصرية أو تكتيكيا باخفاء القوات المملوكية الرئيسية فى التلال والاحراش القريبة حول عين جالوت ، ولم يظهر للعدو الا المقدمة التى قادها بيبرس حيث وقع « كيتوبوقا » « فى الفخ » اذ حمل بكل رجاله على العدو الذى شاهده أمامه ولم يحتفظ باحتياطى خفيف الحركة ، وهو مبدأ أساسى من مبادىء الحرب تغاضى عنه القائد التتارى فتولدت له الهزيمة .

وطبقا لخطة المصريين المحكمة فى التجهيز القتالى ، تقهقر المصريون أول الأمر ، واطمعوا فيهم المغول فشجع هؤلاء وتعقبوا المصريين حتى بلغوا الأرض التى اختارها المصريون لادارة المعركة والتى تعطى لهم ميزة كبرى وهذا هو مبدأ أساسى من مبادىء الحرب حيث تجبر العدو على اختيار أرض المعركة التى

---

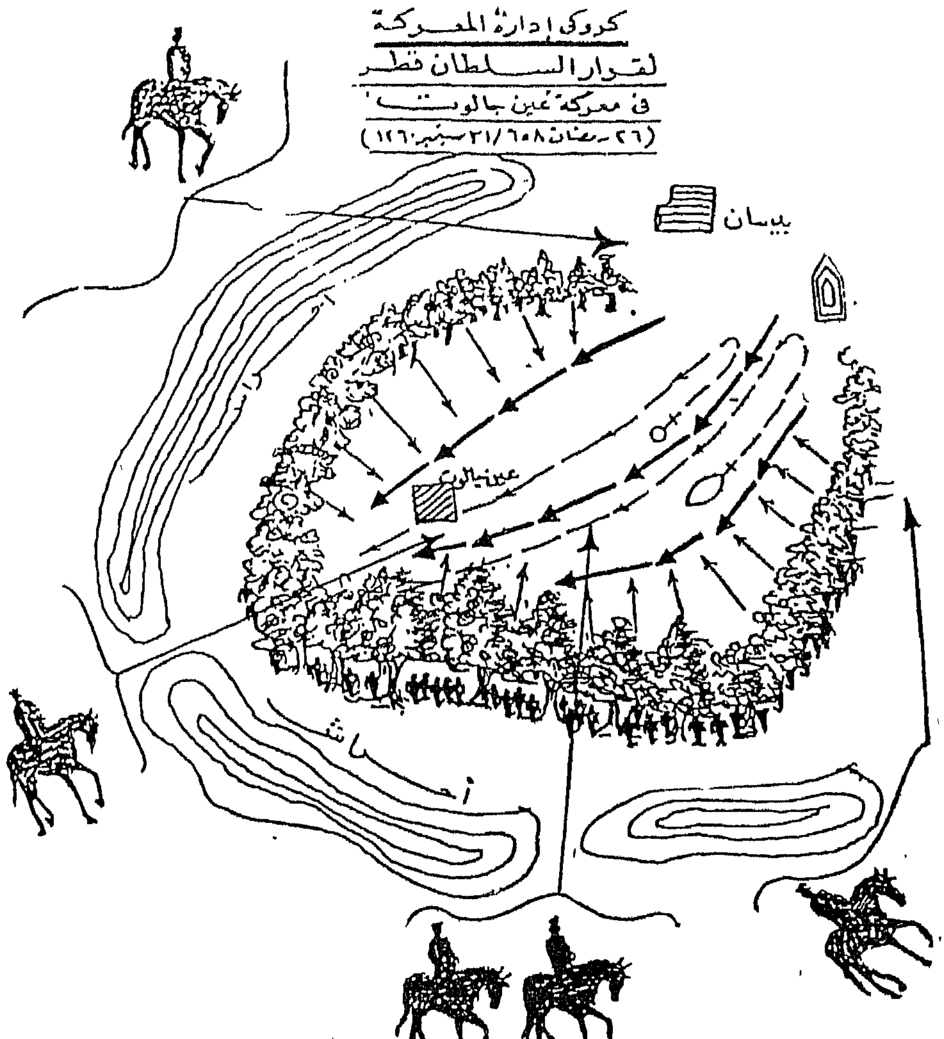
(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣٠ ؛
أنظر : ابراهيم العدوى ، العرب والتتار ، ص ١١٥ - ١١٦ .

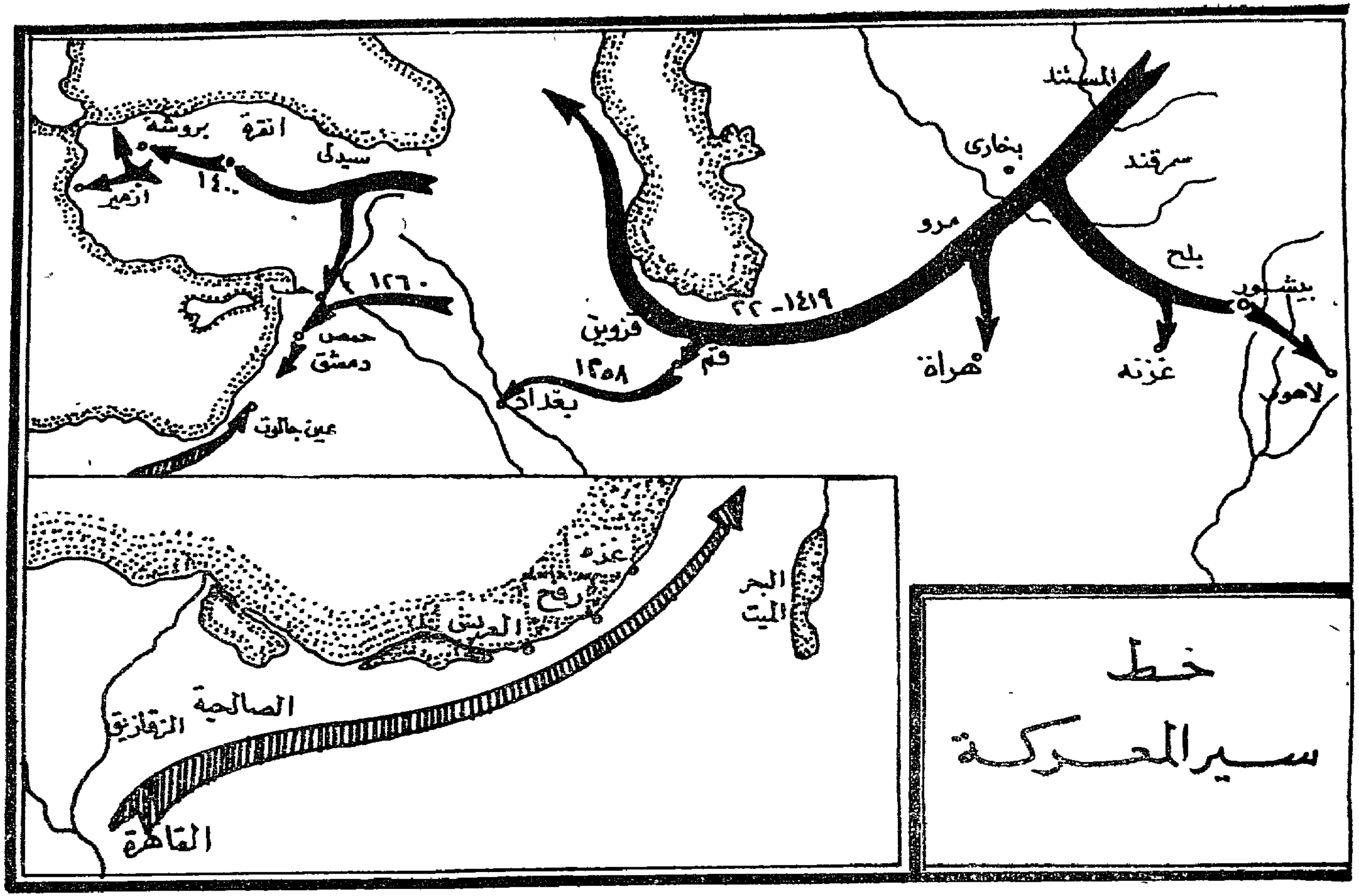
(٢) عين جالوت ، هى بليدة شرق داربن بيسان ونابلس من أعمال فلسطين ويرجع هذا الرسم الى الاسطورة القائلة بأن داود قتل جالوت فى هذا المكان وسماها الصليبيون مدينة تابينا
أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٦٠ ؛
Ency. of Islam, art Aindgalut.

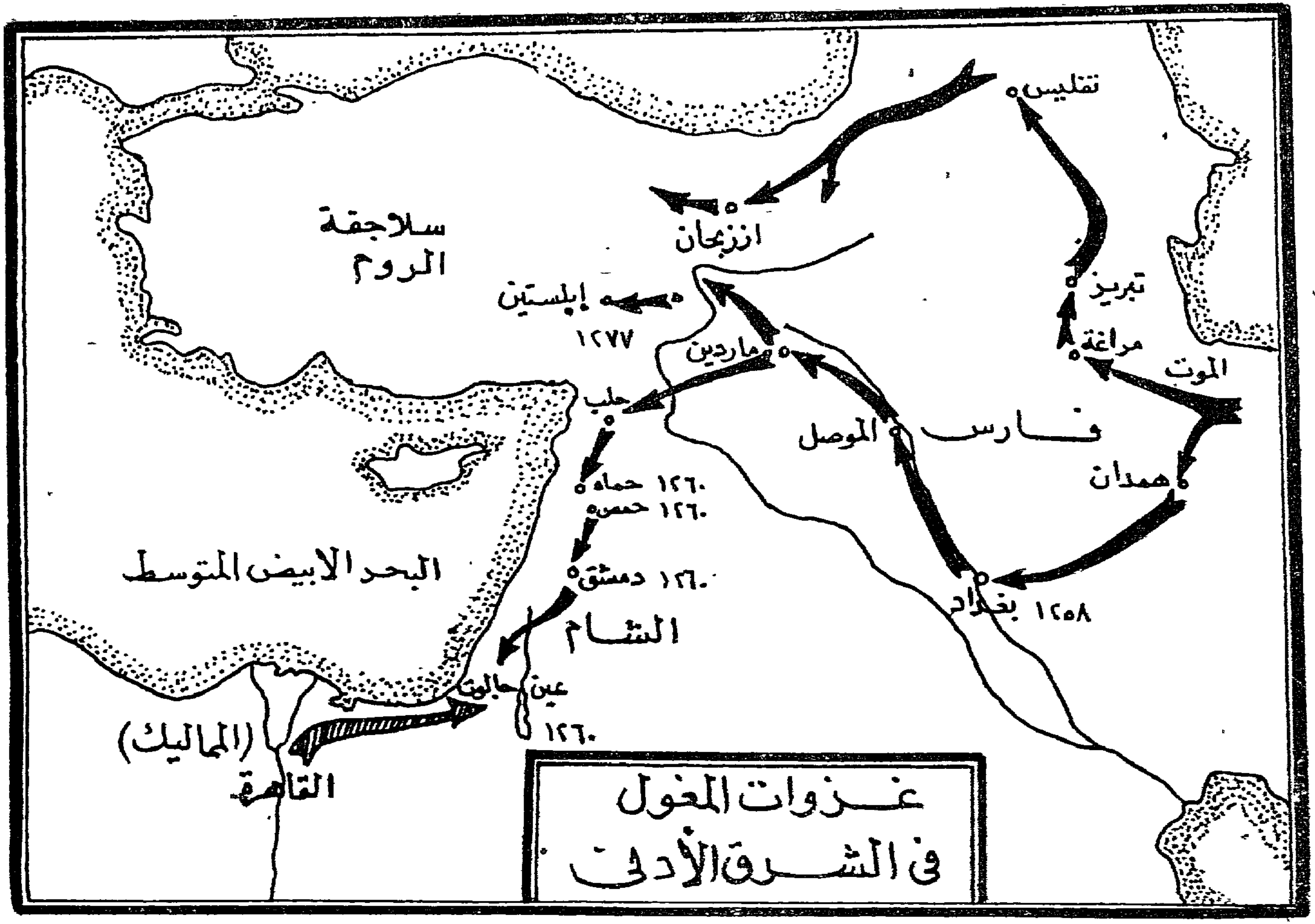
(٣) Dellavida Linvasione de itartari in Syria, Nel 1260 di un Testimone Oculare-Orien — Talia, Vol IV, (Roma 1935), p. 352-376.

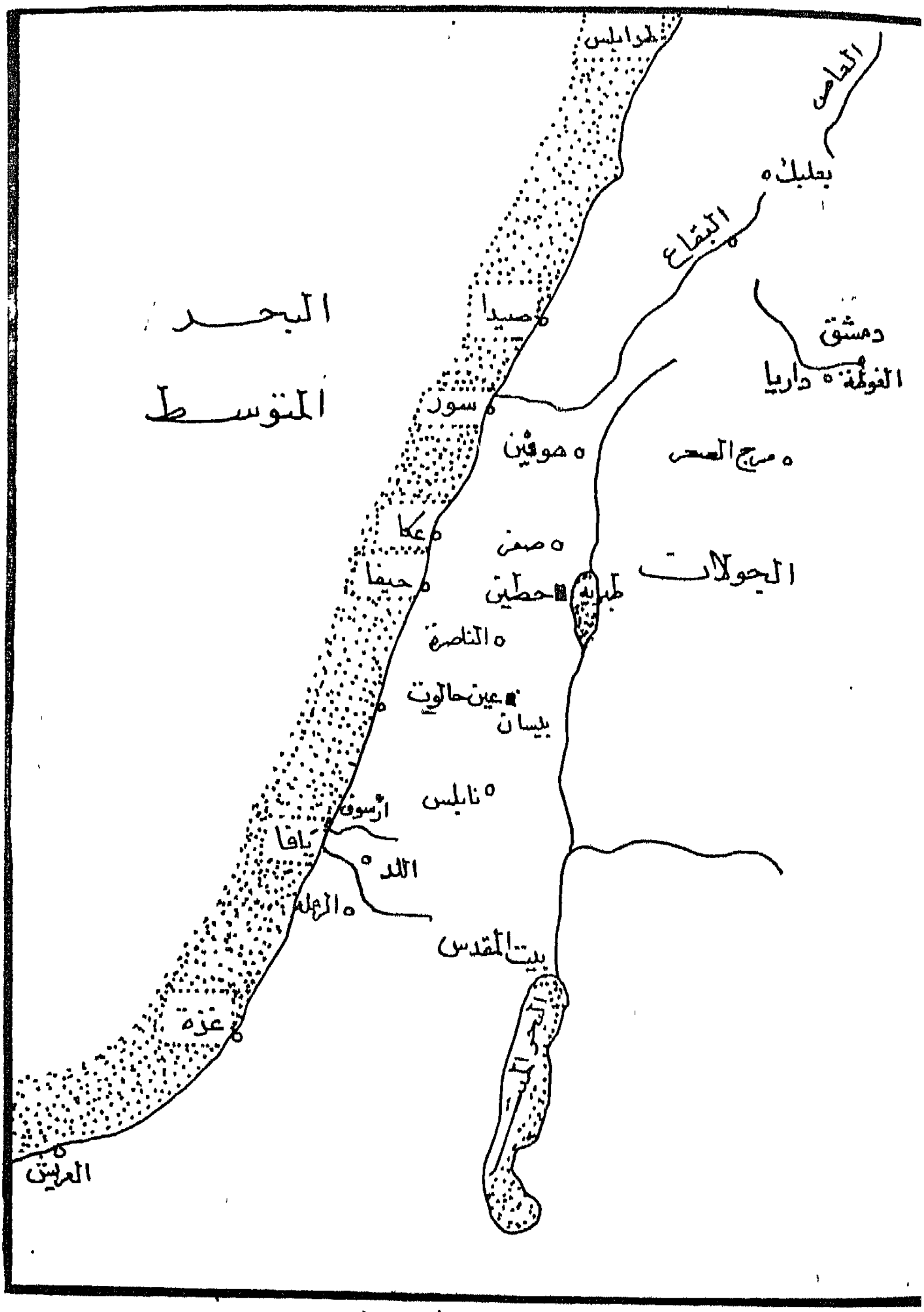
(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٥) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣٠ .


كروكى إدارة المعركة
لقرار السلطان قطز
فى معركة عين جالوت
(٢٦ رمضان ٦٥٨/٢١ سبتمبر ١٢٦٠)
بيسان
عين جالوت


خط
سير الحركة
المستند
بخارى
سمرقند
مرو
بلح
بيشاور
لاهور
غزنه
هراة
١٤١٩ - ٢٢
قزوين
قم
١٢٥٨
بغداد
انقرة
بروسة
سيدى
١٤٠٠
ازمير
١٢٦٠
حلب
حمص
دمشق
عين جالوت
غزه
رفح
العريش
البحر
الميت
الصالحية
الزقازيق
القاهرة


غـــزوات المغول
فى الشـــرق الأدنى
سلاجقة
الروم
البحر الابيض المتوسط
ازنجان
تفليس
تبريز
مراغة
الموت
همدان
فـــارس
الموصل
ماردين
إبلستين
١٢٧٧
حلب
١٢٦٠ حماه
١٢٦٠ حمص
١٢٦٠ دمشق
الشام
عين جالوت
١٢٦٠
١٢٥٨ بغداد
(المماليك)
القاهرة



طرابلس
العاصي
بعلبك
البقاع
البحر المتوسط
صيدا
دمشق
الغوطة
داريا
صور
هونين
مرج الصفر
عكا
صفد
الجولان
حيفا
طبرية
حطين
الناصرة
عين جالوت
بيسان
نابلس
أرسوف
يافا
اللد
الرملة
بيت المقدس
غزة
العريش

(فلسطين)

تختارها ، وهو ما فعله المصريون حتى اذا ما بلغ التتار كمينهم انشق عليهم من ثلاث جهات وطوق المصريون الجيش المغولى (١) ٠

وليس أدل على مدى ما وصل اليه المصريون من الرقى فى التجهيز القتالى والتنظيم لتلك المعركة الحاسمة من رواية « صارم الدين أزبك ابن عبد الله الأشرفى » (٢) الذى وقع أسيرا فى يد المغول أبان غزوهم فى الشام ، وقبل الخدمة فى صفوفهم ، وحارب معهم فى تلك الموقعة ، فروايته لها قيمتها لا بصفته شاهد عيان للموقعة فحسب ، بل للدور الذى لعبه فيها كما يتضح من النص حيث يقول فيه « لما قدمت الشام ، وجدت التتار مجتمعين على نهر الأردن ، وقد خرجوا قاصدين الديار المصرية ، وقد خرج المصريون للقائهم فلما علمت أن التتار لابد لهم من الديار المصرية ، بعثت غلاما لى فى صفة جاسوس ، وأمرته أن يجتمع بالملك المظفر قطز ، والأمير بيبرس البندقدارى ، وبلسباى الرشيدى وميسرة الرومى ، ويعرفهم أن التتار لاشىء فلا يخافوا منهم، وأن تكون ميسرة المسلمين قوية بالخيل والرجال ، وعرفهم ان التتار فى عسكر قليل ، وأوصيته أن يراعى المسلمون أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس فلما وصل غلامى الى عسكر المسلمين وجدهم خائفين من التتار خوفا عظيما ، فاجتمع ببعض الأمراء الذين عرفته بهم ، وعرفوه فأوصيتهم به ، وكنت قد قلت كلامى : قل للأمراء ، لا تخافوا ٠ ها أنا وأصحابى والملك الأشرف ، ننهزم بين أيديكم ، والله وكذلك كان ٠

فلما سمع الأمراء كلام الغلام ، قال بعضهم لبعض « ألا يكون هذه معمولية على المسلمين » فلما كان ملتقى الجمعين على عين جالوت طلعت الشمس علينا ، وظهرت عساكر الاسلام ، كان أول سنجق (فرقة) بيرق أحمر وأبيض ، وكانوا لابسين العدد المليحه وأشرقت الشمس على تلك العدد ، فطلبنى كتبغا وقد بهت

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٧٩ ٠

(٢) بدأ صارم الدين اربك حياته مملوكا عند الملك الأشرف موسى صاحب حمص ، وشغل وظائف ادارية فى الشام ، وعاش ببلاد المغول مدة من الزمن وتوفى فى حوالى سن الخمسين عام ١٢٨١/٦٧٩ بعد ان أعطانا معلومات دقيقة عن المغول ، وصور حيه عن عاداتهم تضمنها التاريخ الذى كتبه قرطاى العزى الخازندار ، وهو أيضا موظف مملوكى شغل وظائف أمير دمشق وصاحب حلب ونائب طرابلس ت ١٣٣٣/٧٣٤ فوق سن الستين ٠ أما الجزء باخبار صارم الدين ازبك فى تاريخ قرطاى العزى مخطوط بمكتبه الفاتيكان (Art. 726) ، وقد نشره العالم الايطالى « دالافيد » Dallavide تحت عنوان غارة التتار على سوريا فى ١٢٦٠ كما أوردها شاهد عيان ٠

أنظر : Levi Della Vida invasione dei tariari cn Syria, nel 1260, Orientalla nova, Vil V, Roma 1935, p. 354.

ويوجد هذا النص فى مخطوط ـ أنظر عبد الله بن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ٨ ق ٤٦ وهو مخطوط بدار الكتب ٠

هو والتتار الذين معه لكثرة تلك العساكر وما عليهم من حسن وجمال ، وهم ينحدرون من الجبل ، وقال لى « يا صارم هذا رنك من ؟ (١) قلت « سنقر الرومى » ثم ظهر سناجق صفر ، فقال هذا رنك من ؟ قلت « بلسباى الرشيدى » ثم تتابعت الاعلام أول فاول وانحدروا من سفح الجبل ، ودقت الكوسات والطبلخانات ، وامتلأ الوادى والبر من العباد ، وغاب الفلاحون وأهل القرى والبلدان من كل جانب ، وكنت غرا بمعرفة رنوك المسلمين ، فصار كتبغا يسألنى « هذا رنك من ؟ » وفتح الله ونصر هذه الأمة المحمدية بالمماليك الترك البحرية ، ولم يسلم من التتر الا من كان مقيما بدمشق أو حلب ٠

وتوضح المصادر المعاصرة أهمية التجهيزات القتالية لهذه المعركة وتؤكد رواية صارم الدين ، فتقول بأن المغول انقضوا على المصريين فى بادىء الأمر وتمكنوا من تشتيت شمل جناحهم الأيسر ، فاضطرب المصريون وتزلزلوا زلزالا شديدا ، وباتت الكرة عليهم ، وعند ذلك القى السلطان قطز خوذته من على رأسه الى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته « واسلاماه » وقاد الهجوم بنفسه فضرب بذلك مثلا من أمثلة القائد النادر الشجاعة ، اذ سرعان ما التفت حوله القوات المصرية وحملوا على المغول حملة صادقة ، فاختل توازنهم وارتدوا الى التلال المجاورة بعد ان تركوا قائدهم « كتبغا » جريحا فى الميدان وابنه أسيرا فى أيدى المماليك (٢) ٠

ولقد عاد المغول وانتظموا ثانيا فى « بيسان » القريبة من عين جالوت وتقع شمالها ثم اشتبكوا مع المصريين فى معركة ثانية واشتدت وطأة القتال وعاد قطز يصيح صيحة عظيمة سمعها معظم العسكر وهو يقول « واسلاماه » ثلاث مرات يا الله !! أنصر عبدك قطز على التتار (٣) عند ذلك مالت كفة النصر الى جانب الجيوش المصرية ، وانتهى أمر هذه الواقعة الدامية التى اهتز فيها ميزان النصر والهزيمة مرات ، حتى انتهت الى نصر الجيش المصرى وهزيمة المغول لأول مرة فى تاريخهم ، عند ذلك نزل السلطان قطز عن فرسه ومرغ وجهه فى الأرض وقبلها وصلى ركعتين شكرا لله ثم ركب لينظر ما حل بالمغول (٤) ٠

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٦١ — ٦٢ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٦٧٣ ؛
Fox Davies, A Complete guide to heraldry, P. 1102.

(٢) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٧ ٠

(٣) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣١ ٠

(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٧٩ ٠
أبو الفدا ، المختصر، ٣ ص ٣١٤ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣١ ؛
ابن ايبك ، كنز الدرر ، ٨ ص ٤٢ — ٤٣ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ٩٧ ؛

وبهذا نجد أن خطة (التجهيز القتالى) للمعركة قد وضعت على أساس سليم وبفضل هذا التجهيز القتالى أمكن تحقيق مبادىء الحرب ، معتمدة على النقاط التالية :

أولا : اختيار أرض المعركة لصالح الجيش المصرى حققت المبادأة الاسترانيجبة ٠

ثانيا : تحقيق مبدأ المفاجأة التكتيكية الغير متوقعة وذلك باخفاء القوة الرئبسة فى الأحراش مع الهجوم بقوة المقدمة والتظاهر بالانسحاب (الكر والفر) حتى يجبرهم الى الدخول فى الأرض التى تكون خصائصها فى صالح الجيش المصرى ٠

ثالثا : انه ليس بديلا للنصر الا الشهادة

وبهذه النقاط المتعددة للتجهيز القتالى وضع الجيش المصرى أسسه ليحقق أكبر نصر استراتيجى فى منطقة الشرق الأدنى والأقصى ٠ هذا وقد أورد القلقشندى (١) رسالة فريدة على لسان الملك المظفر قطز الى الملك المنصور نور الدين سلطان الدولة الرسولية باليمن يبشره فيها بهزيمة التتار ، والتى تبين التجهيزات القتالية (٢) ٠

وما أن وصلت الأخبار الى دمشق باندحار المغول ، حتى سارع المسلمون الى الانتقام من العناصر التى كانت تتعاون مع المغول ، وفى مقدمتهم المسيحيون الذين دفعوا الثمن غاليا بسبب تعاطفهم السابق مع المغول ، وما اقترفوه من آثام ضد الأهالى المسلمين على أثر انتصار المغول (٣) ٠ ولقد ثبتت أهمية موقعة « عين جالوت » الاستراتيجية ليس فى تاريخ مصر والشام فحسب ، ولا فى تاريخ الأمم الاسلامية وحدها ، بل فى تاريخ العالم بأسره ، حيث كانت حربا شرسه

= وقال أبو شامه فى هذا النص :

غلب التتار فى البلاد فجاءهم   من مصر ترى يجود بنفسه
الشام أهلكه وبدد شملهم   ولكل شىء آفه من جنسه

أنظر . أبو شامه أ ، الزيل على الروضتين ، ص ٢٨ ٠

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٧ ص ٣٦٠ ٠

(٢) أنظر الملحق رقم (٢) المرفق بالبحث

(٣) أبو شامة ، الزيل على الروضتين ، ص ٢٠٨ ؛
الذهبى ، دول الاسلام ، ٢ ص ١٢٥ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣٢ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٨١ ٠

شنتها قبائل متعطشه لسفك الدماء ، مخربة للعمران ومدمرة للحضارات ، ضد سكان المدن فى كل مكان .

أما بالنسبة للمعدات فهى من ضمن عناصر التجهيز القتالى لاستخدامها فى المعركة فاننا نجد أن المماليك البحرية استعانوا فى هدم أسوار الحصون التى تعترضهم فى القتال بعدة آلات مثل الدبابات ذوات العجل والصنبور والكبش (١) ، وكانت تتكون من عدة طبقات حتى أصبحت أشبه بالبروج المتحركة (٢) ، تسير على عجل ، بقصد تسلق الحصون ، وتنقيب الأسوار (٣) ، أما بالنسبة للدبابات فيدخل المحاربون فى جوفها ، ويدفعونها الى جوار الحصن فينقبونه وهم بداخلها يحميهم سقفها وجوانبها من ضربات العدو . ولقد عرف الصنبور فى عهد المماليك البحرية ، وهو كالدبابة تقريبا ويصنع من الخشب المغطى بالجلد ويكمن فيها المهاجمون ويقربون للحصن ، فيقاتلون أهله وهم فيه ويعرف بالسيارة المدرعة (٤) ، وبالنسبة للكبش فهو عبارة عن حجرة صغيرة مركبة على عجل ومصنوعة من الخشب المحكم مغلقة باللبود أو جلود منقوعة فى الخل وبداخلها الجند الذين يحركونها بدفعها حيث لا يوجد بها أرضية ، وقد يعلق فى سقفها سلاسل يربط فيها عمود أفقى ونهايته رأس الكبش ، وتقرب الاله الى أسوار الحصن أو القلعة حيث يعمل الرجال فى الأسوار لنقبها اما بآلات عندهم أو بواسطة الكبش ، وذلك بتحريكها حتى تصطدم بحائط السور (٥) .

ومن المعدات الحربية التى استخدمت فى القتال أيضا والتى استعان بها الجيش المملوكى فى الحروب (القلاع المتحركة) ، وهى أبراج من الخشب مرتفعة مغلقة باللبود والجلود مثل الكبش ، وتدار حركتها بواسطة لوالب أو مشاقص (٦) يدفع بها لتساعدها من أسفل وهى ضيقه فى أعلاها وفى أسفلها بكر مركب عليه ، يتصل بعضه ببعض باضلاع من الخشب فيأتى الرجل بالمشاقص فيدخلها بين تلك الخشب ، ثم يقيمها بدفعة قوية فتنحدر وتجرى بسهولة ،ويصعد الرجال الى أعلاها وقد دبرت حولهم الستائر ، ويحمل على هذه القلاع المنجنيقات الصغيرة ، حتى يشرف الرماة على أماكن المحصورين ، وتستعمل هذه القلاع اذ لم يكن هناك أكمه أو مرتفع يمكن اعتلاؤه بالمنجانيق ،

---

(١) Dozy, Supp. Dict., Art.

(٢) ماجد ، نظم دولة السلاطين ، ١ ص ٦٩ .

(٣) ابن اردبغا ، الأنيق فى المنجانيق ، ق ٧٢ — ٨٨ .

(٤) أمين الخولى ، الجندية فى الاسلام ، ص ٤٠ — ٤٩ ؛
جورجى زيدان ، تاريخ التموين الاسلامى ، ١ ص ١٤٣ — ١٤٤ .

(٥) المشاقص ، هى سهام ترمى بها الوحوش فى الصيد .

(٦) ابن ارنبغا ، الأنيق فى المنجنيق ، ٨٢ ، ٨٨ ؛
انظر : على ابراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٧٦ .

فاذا وجد هذا المرتفع استغنى به عن هذه الاله ، ويســاعد القلاع مجموعة من السلالم الخشبية ترمى على الأسوار عند الهجوم على أسوار الحصن من أعلاه • وهو الاستخدام التكتيكى السليم فى ذلك الوقت •

★ ★ ★

أما الطريقة التنفيذية فى القتال أى التشكيلات القتالية (١) ، فلقد كان المماليك يتبعون فى حروبهم طريقة قتال الصفوف (٢) المعروفة عند العرب وغيرهم حتى قبل ظهور الاسلام واستمرت بعد ذلك ، فيسير الجندى بجانب صاحبه حتى يكاد يلتصق به (٣) ، ويسيرون على هذا النحو حتى يصلوا الى حيث استقر العدو ، وهذه الطريقة التى كانوا يتبعونها فى حروبهم هى أفضل أسلوب فى التقدم للقتال من حيث سهولة تامين الأجناب ضد أى ضربات مفاجئة من العدو ، مع سرعة التأمين الادارى (الشئون الادارية) وهى الامداد والتموين ، وبجانب ذلك تحقق مبدأ الحشد الاستراتيجى بجانب خفة الحركة ، وكذلك السرعة فى تنفيذ وتطبيق ، على مستوى الجيش كله ، التكتيكات الحربية والتى تعنى تأمين الصف وعلى الجانب الآخر فهى تحقق ارهاب العدو وهو الردع الاستراتيجى والارهاب التكتيكى للعدو وعلى مستوى تكتيكى من الوحدات والوحدات الفرعية •

ويصف ابن خلدون طريقة القتال أى التشكيلات القتالية عند المماليك بقوله « وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد كان قتالهم مناضلة بالسهام ، وأن تعبئة الحرب عندهم بالمصاف ويقصد بها الصفوف ، وانهم يقسمون ثلاثة صفوف ، يضربون صفا وراء صف ويترجلون من خيولهم ، ويفرغون سهامهم بين أيديهم ، ثم يتناضلون جلوسا ، وكل رد للذى أمامه أن يكسبوا العدو ، الى أن يتهيأ النصر لاحدى الطائفتين على الأخرى • وهى تعبئة محكمة غريبة (٤) •

والمقصود بالمصاف هو تشكيل القتال فيما قبل المعركة وهو عبارة عن تنظيم وترتيب الجنود للسير فى الصفوف القتالية التى بهذا الترتيب يدخل بها القائد المعركة ـ وهو ما يسمى فى المصطلح العسكرى الحالى « الانساق » ـ من فعل نسق انساقا ، أى أن المصاف تعنى الانساق ـ وعلى هذا نجد أن تشكيل المعركة يتكون من ثلاثة مصاف أى ثلاثة انساق ، حتى اذا وصل الى أماكن

(١) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٥٦ ؛
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ص ٩ •
(٢) ابن منكلى ، الأدلة الرسميه فى التعابى الحربية ، مخطوط ورقة ١٣ وما بعدها •
(٣) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٥٦ ـ ٥٨ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة سلاطين ، ١ ص ١٨٥ •
(٤) ابن منكلى ، الأدلة الرسمية ، مخطوط ، ورقة ١٥ •

تمركز العدو وكان فى مرمى السهام ترجلوا وذلك بهدفين ـ أولهمـــا : حتى يكون مختف ومستور ·· من سهام العدو ، والآخر حتى يتمكنوا من رمى سهامهم بدقة وتلافى الاهتزازات التى يمكن أن تحدث أثناء التنشين نتيجة تحركات الخيل ، وبالتالى يضمن وقوع أكبر خســـائر ممكنة فى قوات الطرف الآخر (العدو) قبل الاقتحام ـ وهو ما يشبه التمهيد بالنيران قبل الوصول الى خط الاقتحام حاليا ـ وهو القرار التكتيـــكى لقائد المعركة وهو ما يصفه ابن خلدون بأسلوب سهل مختصر أوضح فيه أحدث نظرية فى القتال تسمى « الضرب مع الحركة » أى اتخاذ وقفة قصيرة والترجل من المعدة (الفرس) ثم القيام بالضرب (الرمى) على العدو ·

أما عن **تشكيل القتال** فى المعركة فمما يدلنا على أن المماليك قد عملوا فى كل الحروب التى خاضوا غمارها على قتال عدوهم وهـم صفوف ، وتوعدهم لكل من يخرج من الصـف بأقصى أنواع العقاب ، وتلك العبـــارة التى ننقلها عن المقريزى عند كلامه عن خروج السلطان الناصر محمد لقتال التتار عام ١٣٠٢/٧٠٢ فى عهد سلطنته الثانية لقتال التتار « اذ نودى على العسكر : من خرج من الأجناد عن المصاف فأقتلوه ولكم سلاحه وفرسه (١) ويقول نفس المؤرخ فى موضع آخر بصدد الحرب نفسها » ان الأمراء والأكابر ظلوا طول الليل دائرين على الأجناد يرصونهم ويرتبونهم ، ويكثرون من التأكيد عليهم فى التيقظ وأخذ الاهبة فلما طلع فجر يوم الأحد كان قد اجتمع شمل عساكر السلطان ووقف كل واحد فى مصافه مع أصحابه (٢) ·

وفى هذا المجال وجب علينا أن نوضح المصاف والصف بشيىء أكثر تفصيلا وكما جاء فى مقدمة ابن خلدون وغيره من المؤرخين (٣) وان لم تظهر بالدقة التى ظهرت فى مؤلفات ابن منكلى فى كتابة الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية حيث أنه المؤلف الوحيد التى وصف فيها المؤلف التشكيل القتالى مســـتعينا فيهـــا بالتوضيح بالرسم لهذه التشكيلات ، ولقد عرفت ان تعبئة الحرب عندهم كانت بالمصاف ، ففى مفهومه يعنى أن الصف الأول لتفتيت الاستحكامات ، والصف الثانى لتدمير البقية الباقية من العدو ، والصف الثالث لتدمير باقى الفلول وأسرها وبهذا يكون الهجوم فى ثلاثة انساق أو ثلاث موجات والموجة هى مجموعة من القوات تســـمى صفا أو نسقا ويكون التشكيل القتالى ثلاثة صفوف أى ثلاثة انساق ، وكل صف (نسق) أو موجة ، كان عملها هو مهاجمة العدو بالتنابع ، أى أن الصف أو النسق أو الموجة تستولى على جزء معين فى عمق العدو ، بجانب

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٩٣٣ ·
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣، ص ٧٦٠ ·
(٣) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٢١٧ ؛
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ص ٩ ؛
ابن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط ورقة ١٣ ، ما بعدها ·

أن تقوم بتدميره – ثم يليها الموجة الثانية أو الصف الثانى ثم النسق أو الموجة الثالثة وهكذا ٠٠ حتى يتم تدمير العدو تماما ، وعلى ذلك فان الصف أو الموجه أو النسق هى أسلوب للهجوم الذى يحدده القرار العسكرى ويسمى حاليا كما سبق أن أوضحنا بالهجوم بالانساق المتتابعة أى الصفوف المتتابعة ٠

أما تشكيل القتال فى داخلية الصف نفسه فهو يمكن أن يكون تشكيل حلقة أو مستطيل أو مربع ، أو رأس سهم ، أو رأس سهم معكوس ، ويترك ذلك لقرار قائد الصف أو النسق أو الموجه ، ولقد أوضح ابن منكلى فى كتابه (١) جميع التشكيلات التى يمكن أن تتخذ فى الحروب ٠

هذا ولقد ظهرت هذه التشكيلات فى المؤلفات المملوكية المتعددة عن الفن الحربى وظهرت بها أنواع التشكيلات العسكرية التى أوردها ابن منكلى وهى تطابق التشكيلات الحديثة المختلفة التى مازالت تستخدم حتى الآن ومازالت تستخدمها القوات المسلحة فى وقتنا الحالى خاصة فى تشكيلات الدوريات وان اختلفت المسميات حيث نجد تعبية **الصف المستوى** وهو ما يعرف بتشكيل نسق واحد المستخدم فى وقتنا الحالى لتطهير المواقع المحتلة على عجل أى بقوات قليلة العدد وغير كافية لصد هجوم الطرف الآخر (انظر شكل رقم ١) أما التشكيل المسمى **تعبية السوران** وهى التى أوردها ابن منكلى بهذا المصطلح أى الأسوار وهو المعروف لدينا الآن « تشكيل رأس سهم معكوس » والتى تستخدم فى عمليات التطويق والالتفاف لنقطة منفصلة أو مستقلة بعد حصارها (أنظر شكل رقم ٢) ٠

ثم هناك تعبية **الصف الخارج الصدر** وهو ما يعرف بتشكيل نسق واحد مع حماية الأجناب ويستخدم فى حالة توقع هجوم مفاجيء للعدو من أحد الأجناب مع ضرورة تأمين هذه الأجناب (أنظر شكل رقم ٣) ٠

أما تعبية **الظامتر** وهو مصطلح لابن منكلى لا نعرف لها معنى ولكن مضمونها كما يبدو من رسم التشكيل (أنظر الشكل رقم ٤) وهو ما يعرف الآن بتشكيل ثلاثة أنساق والذى يستلزم فى حالة تركيز العدو بقوات كثيرة العدد ويحتاج الى قوات كثيرة لتدميره ، فتستخدم هذا التشكيل حتى يمكن تدميره تماما وأسر فلوله . ويبدو أن لها نوعين بدليل اشارة ابن منكلى الى **ظامتر مصغرا** أو ما يسمى حاليا تشكيل نسقين « واحتياط » ويستخدم لزيادة السيطرة على القوات فى حالة تدمير عدو يركز جهوده الرئيسية فى نقطة قوية يمكن تطويقها (أنظر الشكل رقم ٥) ٠

---

(١) أحمد بن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط ، ورقة ١٢ – ١٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ٣ ص ٢٢٤ ٠

أما عن تعبية **السماوى** وهو أيضا مصطلح من كتاب ابن منكلى أو ما كان يعرف بمنسوب حرف (ج) فى ذلك الوقت ، والتى تعرف حاليا بتشكيل رأس سهم وهو يستخدم أساسا للوصول الى العمق فى دفاعات العدو (انظر الشكل رقم ٦) . ومن هذا التشكيل السماوى يتبع التشكيل المسمى « **تعبية تسعة أجناد الفرسان** » أو منسوب حرف (ط) وهو ما يعرف الآن بتشكيل رأس سهم فى نسقين وتستخدم لسرعة الوصول الى عمق دفاعات عدو قوى كثير العدد (انظر الشكل رقم ٧) كما ذكر ابن منكلى تشكيل تعبية **أربعة عشر من الأجناد** الفرسان أو ما يسمى منسوب حرف (د) وهو ما يعرف حاليا بتشكيل نسق واحد ، ويستخدم لتدمير عدو قليل العدد . ويتبع ذلك ابن منكلى بتشكيل آخر يسمى « **تعبية خمسة عشرة فارسا** » أو منسوب حرف (ى) كما يسميه فى ذلك الوقت ويستخدم لتدمير عدو قليل العدد (انظر شكل رقم ٩) .

ولقد كان عند المماليك البحرية تشكيلات قتالية أخرى متشابهه مثل تعبية **الدبزان** (حوض النجاه) أو ما يعرف فى ذلك الوقت بمنسوب حرب (ز) وهو على شكل رأس سهم مقلوب ولكنه يستخدم لتطويق أحد الأجناب فقط وليس لتطويق الجانبين مثل تعبية « **السوران** » أى رأس السهم المعكوس (أنظر الشكل ٣ ، ٩ ، ١٥) ونجد كذلك من التشكيلات القتالية المتشابهة هو تعبية المنازل القمرية أو ما يعرف حاليا تشكيل نسق واحد وكذلك تعبية **منزله الرشا** (أنظر شكل ١١ ، ١٢) .

ومن التشكيلات القتالية المستخدمة ما ذكره ابن منكلى أيضا باسم تعبية **شهروان** وهو ما يعرف بالتشكيل الصندوقى والذى استمرت معرفته بعد المماليك البحرية واستخدم فى الحرب العالمية الأولى وعرف لأول مرة بالتشكيل الصندوقى (انظر شكل ١٣) .

أما التشكيل القتالى الذى مازال يستخدم أيضا حتى الآن وهو ما يسمى تعبية **ذات الدوائر** أى التشكيل الدائرى والذى يستخدم حاليا لتحقيق القيادة والسيطرة وللتأمين من جميع الاتجاهات من الهجمات المفاجئة من أى اتجاه أو عدة اتجاهات (انظر شكل ١٤) وخاصة فى الدوريات القتالية .

ومع ذلك اتجه بعض الكتاب والمؤلفين الى أن اتخاذ التشكيلات بالحروف هو روح العصر فى ذلك الوقت مدعين أنها روح السحر والشعوذه ، ولكننا نجد أن اتخاذ التشكيلات القتالية بهذه الصورة أى بالحروف هو أرقى أنواع العلم العسكرى وليس كما يدعى البعض من أنها روح العصر . فيكفى أن يصدر القائد الحرف اللازم لاتخاذ التشكيل دون أى اضافة أو شرح ـ وهو ما يستخدم الآن كأى اصطلاح كودى ـ وبذلك يوفر الوقت مع سرعة التلبية للأوامر ـ وذلك طبقا لقرار القائد وطبقا لظروف المعركة .

ومع ذلك فان القوة الضاربة الرئيسية فى صلب التشكيلات القتالية التى اعتمد عليها المماليك البحرية كانت الخيالة حيث اعتمدوا عليهم فى حروبهم ، لذلك عنوا بأمر الخيل كل عناية ، واتخذوا لها الأدوات الفاخرة من اللجم والسروج والكنابيش التى صنعت من القماش الموشى بالذهب والمطرز والمزركش بالحرير (١) .

ولقد أوضح المؤرخ النويرى أهمية الخيل فى التشكيل القتالى عند المماليك فى تحقيق القرار العسكرى بصدد معركة دارت فى أيامه والتى سميت مرج دابق (٢) فى صفر ١٣٠٢/٧٠٢ والتى اشترك فيها بنفسه والتى دارت بين السلطان الناصر وبين غازان المغولى فى هذه العبارة « وأقمنا بالمرج يومى الخميس والجمعة ، فلما كانت ليلة السبت المسفرة عن ثانى شهر رمضان ، دار النقباء على العساكر وأخبروهم ان العدو على قرب منهم ، وان يكونوا على أهبة الاستعداد فى تلك الليلة وليس منا الا من لبس لباس الحرب وأمسك بعنان فرسه فى يده ، وتساوى فى ذلك الأمير والمأمور ، وكنت قد رافقت الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق لصحبة كانت بينى وبينه ، فلم نزل على ذلك ، واعنة خيلنا بايدينا حتى طلع الفجر ، فصلينا وركبنا واصطفت العسكر الى طلعة الشمس وارتفع النهار فى يوم السبت المذكور ، ثم أرسل الله مطرا شديدا نحو ساعتين ، ثم ظهرت الشمس ، ولم نزل على خيولنا حتى وقت الزوال ، وأقبل التتار لقطع الليل المظلم ، وكان وصولهم ووصول السلطان بالعساكر المصرية فى ساعة واحدة (٣) » .

وبجانب أهمية استخدام الخيل ضمن التشكيلات الحربية التى أوردها المؤرخ النويرى نجد أنه أورد لنا يبين لنا مدى حرص قادة المماليك بمرورهم (النقباء) على الأجناد لتوعيتهم وأخبارهم بقرب وصول العدو ، وكذلك طاعة الأجناد للقواد فى لبسهم لباس الحرب واستعدادهم بمقاتلة العدو وهم فى غاية الشجاعة باذلين كل نفس ونفيس (التضحية) فى سبيل نصرة بلادهم ، وكيف تساوى فى ذلك الأمير والمأمور ، فالكل سواسيه أمام عدوهم المشترك ــ وهذه

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٩٣٣ ؛
نفسه ، الخطط ، ٣ ص ٢٢٤ ؛
ياقوت ، معجم البلدان ، ٣ ص ٧٦٠ ؛
ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٢١٧ ؛
أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ص ٩ ؛
ابن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط ورقة ١٣ وما بعدها ؛
(٢) وهى غير مرج دابق المعركة المشهورة التى دارت فى أيام الغورى .
(٣) النويرى ، نهاية الأرب ، ٣ ص ٣٣٦ .

هى الروح القتالية المطلوبة عند تنفيذ السياسة الحربية والتى ترفع من قدر الفن الحربى ·

أما عن القيادة والسيطرة للتشكيلات القتالية فقد استخدموا جميع الوسائل المرئية والصوتية حيث كانت الموسيقى تصحب الجيش وقت القتال ، وكانت الفرقة الموسيقية توزع فى انحاء المعسكرات بحيث يكون لكل أمير طبله الخاص ، وكانت بها أنغام متعددة ودقات اصطلاحية حيث كانت تستخدم بدلا من الطلقات الاشارية أو قنابل الدخان الملونة أو اللاسلكى كاشارات اصطلاحية متفق عليها بين القوات وهذا يعنى أن الطبول كانت تستخدم كطرق اتصـــال بين الجنود وقادتهم أو بين الوحدات وبعضها وكانت هذه الطبول تحفظ فى أيام السـلم فى الطبلخاناه · وكان يشرف أمير عام على شئون الموسيقى فى السفر ولها مهتار يعرف باسم الطبلخاناه تحفظ فى عهدته جميع الآلات الموسيقية (١) ·

وكان الخليفة يصحب الحملات أحيانا وذلك لحث الجند على الجهاد وبث روح الدين فى نفوسهم فيقول المقريزى فى كلامه عن خروج الســـلطان الناصر لنفس المعركة فيقول « مشى الســـلطان والخليفة بجانبه ومعهما القوات يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشـوقون الى الجنة (٢) · وصار الســلطان يقف ويقول الخليفة « يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم ، وقاتلوا عن حريمكم وعن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم (٣) » ·

ويبدو أن الطبول كانت جزءا أساسيا من معدات الجيش فى عهد المماليك حيث كانت وسيلة اتصال تكتيكية بين الجند والوحدات الصغرى ·· اذ من الممكن أن تصدر منها أصوات متفق عليها مثل أهجم ·· ترجل ·· واستخدم السهام امتط الجواد ·· وانطلق للهجوم ·· الكر والفر ·· التف حول القائد فى تشكيل محدد وانتظر اشارة الهجوم ·· الخ وهكذا استخدمت كوسيلة اتصال وقيادة بين الجند وقادتهم ، وذلك بدليل العبارة التى ننقلها عن المقريزى فى وصف جيش المماليك قبل التحامه بالتتار فى موقعة مرج الصفر « بات السلطان وسائر العسكر على ظهور خيولهم ، والطبول تضرب وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات (الصنج) الحربية (٤) ·

ولقد كانت النقارات وهى نوع من الطبول ذات شكل اســطوانى مجوف مشدوده بالجلد من الناحيتين وقد كانت تستخدم منذ عهد الفاطميين وكانت

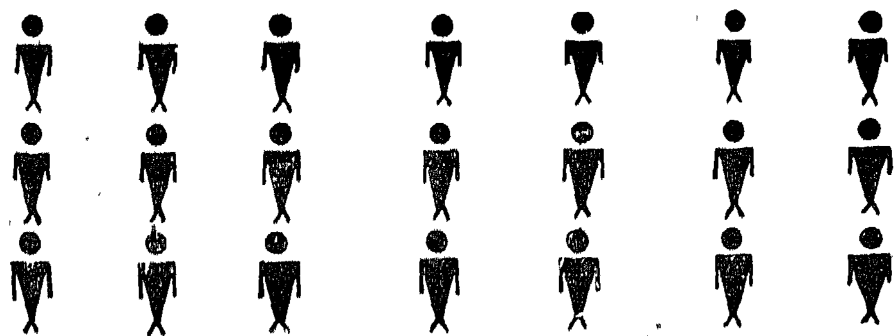
(١) خليل بن شاهين ، زبده كشف المماليك ، ص ٦٣ ؛

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٠٩ ؛

(٣) Lane — Poole, The art of saracens, p. 25.

(٤) أبو المحاسن ، النجوم ، ٦ ص ٢٥٦ ؛
Dozy, Suppl, 2, p. 225; p. 711.

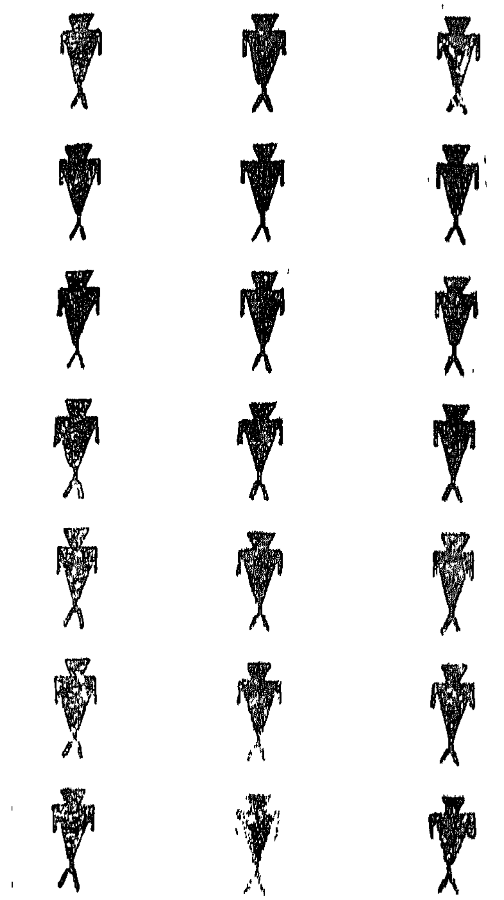
تعبية الحرب بالمصاف [ثلاثة صفوف]
تشكيل قتالى فى ثلاثة انساق



صمم هذا التشكيل القتالى كما ورد بالمصادر

أنظر : (ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٥٦ ، أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ص ٩ ، محمد بن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية)

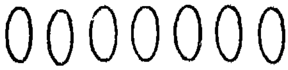
التعبئة تشكيل القتال المتقاطرة



من كتاب الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ـ ورقة ٢١

أنواع التعبية أنواع التشكيلات القتالية

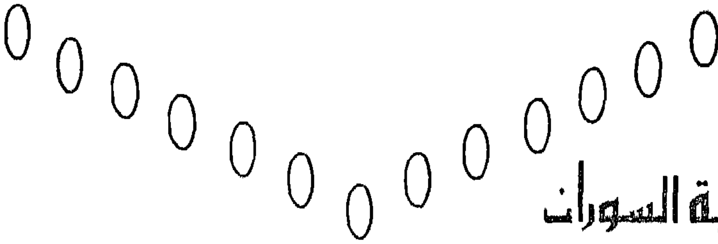
(من كتاب الأدلة الرسمية في التعابي الحربية)



تعبية الصف المستوى

(تشكيل نسق واحد)

(١)



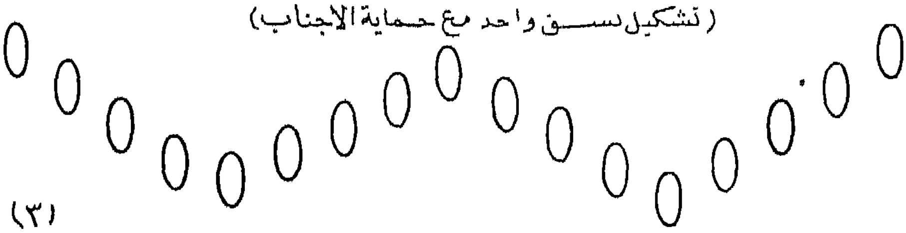
تعبية السوارت

(تشكيل رأس سهم معكوس)

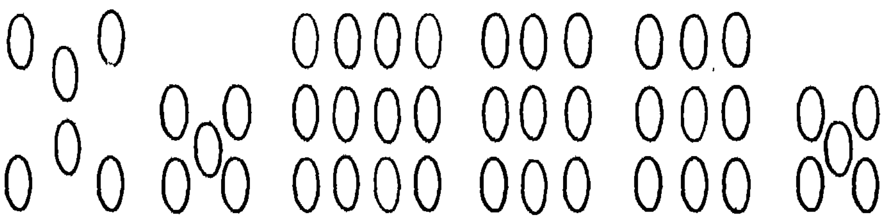
(٢)

تعبية الصف الخارج الصدر

(تشكيل نسق واحد مع حماية الأجناب)



(٣)



تعبية الظامتر

(٤)

(تشكيل ثلاثة أنساق)

ممكن أن يكون كل شكل ( ) يمثل جندي أو مجموعة من الجنود بقوة "أمير خمسة" أو أمير عشرة أو أمير أربعين وحتى أمير مائة" ويكون في داخلية كل مجموعة تشكيل يناسب العدد من تشكيلات القتال للوحدات الصغرى وكذلك يناسب مكانه ضمن التشكيل الأكبر.

بعض انواع تعبية القليل العدد
التشكيلات الصغرى

(يلاحظ أنه حدد لكل تشكيل قتالى حرف من الحروف الهجائية حتى يسهل على الجنود معرفته)

(كما أنه ربط التشكيل بمنازل القمر)

تشكيلات الطائفة الصغرى

(تسعة فرسان)

(تشكيل نسقين واحتياط)



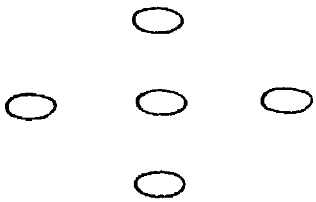
(٥)

تعبية الشكل الهندسي السماوي

منسوب حرف "ح"

(خمسة فرسان)

(تشكيل رأس سهم)

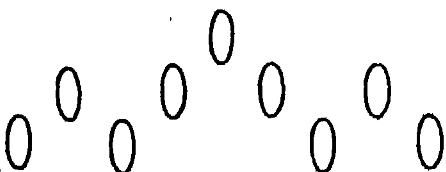


(٦)

تعبية تسعة اجناد الفرسان

منسوب حرف "ط"

تشكيل رأس سهم فى نسقين

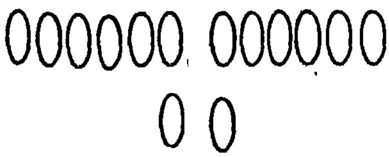


(٧)

تعبية اربعة عشر من الاجناد الفرسان

منسوب حرف "د"

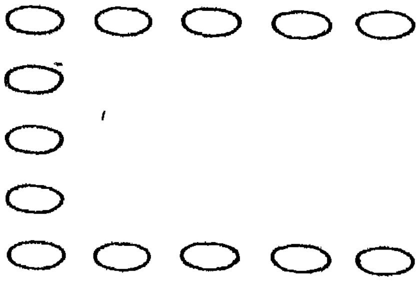
(تشكيل نسق واحد)



(٨)

تعبية شهروان

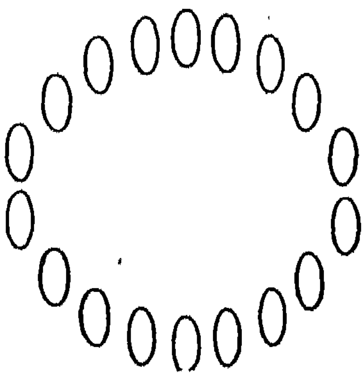
(تشكيل صندوق)



(٩)

تعبية ذات الدواير

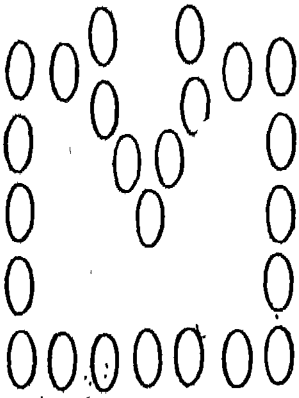
(تشكيل دائرى)



(١٠)

تعبية حوض النجاه

(تشكيل رأس سهم مقلوب)

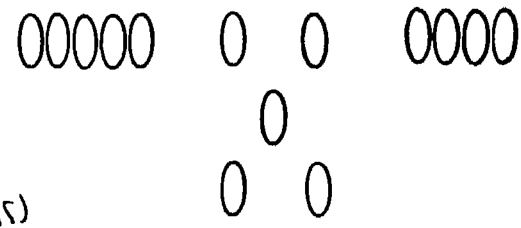


(١١)

تعبية خمسة عشر فارسا

منسوب حرف "ى"

(تشكيل نسق واحد واحتياطى خفيف)

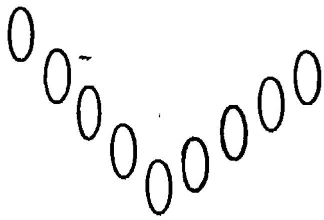


(١٢)

تعبية الدبزات

(منسوب حرف "ز")

(سبعة فرسان)



(١٣)

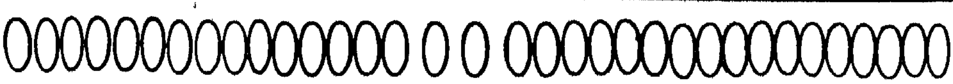
تعبية المنازل القمرية

(تشكيل نسق واحد)



عدد الشمالية ستة عشر — عدد الجوبية إثنى عشر

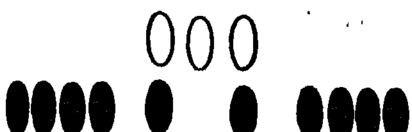
(١٤)



تعبيه منزلة الرشا

(تسعة وثلاثون فارسا)

(تشكيل نسق واحد)



ثم يمكن أن يرتب عليها تسعة من الفرسان ليكون تشكيل خمسة وأربعون

(ويكون فى هذه الحالة تشكيل نسق واحد واحتياط)

(١٥)

تحمل فى ركاب السلاطين الى ساحة الحرب ولقد استمر هذا الاستخدام الى أيام المماليك حيث كانت تستخدم فى اصدار الأوامر ، وفى الايذان ببدأ القتال ، وكانت تحمل على عشرين بغلا ، على كل بغل منهما مثنى وثلاث ورباع (١) ، وبجانب استخدام هذه الآلات الموسيقية كاشارات للقيادة والسيطرة فى اصدار الأوامر فهى من الممكن أن نكون مستخدمة كوسيلة لتوصيل المعلومات أو اصدار بلاغات باشارات متفق عليها مثل الطبول تماما .

وكذلك من ضمن معدات القيادة والسيطرة للتشكيلات القتالية للجيش المملوكى البحرى الاعلام ، فلقد اتخذت الجيوش المملوكية الاعلام فى الحروب شعارا يلتف حولها الجند ويدافعون عنها وذلك كرموز لوحداتهم وكذلك لجيشهم ثم كذلك كرموز لدولتهم . فنجد تكتيكا يستطيع القائد أن يجتمع به جنده حوله وذلك باصدار بعض الاشارات المعينة بالاعلام وعن طريق هذه الاشارات تصل الأوامر والتعليمات أو البلاغات القتالية أو تقرير معلومات للجندى .. وكذلك استراتيجيا بنفس الأسلوب بين الوحدات وبعضها أو بين الوحدات والقيادة العليا .

وكان للسلطان من الاعلام ثلاثة أحدها من الحرير الأصفر المطرز بالذهب ، وينقش عليه القاب السلطان واسمه ويسمى « العصابه » ويحمله « العلم دار » (٢) والثانى كبير أبيض تعلق عليه خصلة من الشعر ويسمى «الجاليش» (٣) وكان المماليك يطلقون هذا اللفظ أيضا على الطليعة من الجيش ، وهى مقدمة القلب وربما يمثل وحد ات الاستطلاع على المستوى الاستراتيجى حيث أن أى وحدات تخرج للاستطلاع من القلب تحمل مثل هذه الاعلام لتأمين عودتها حتى لا تتعرض لسهام القناصة ، أما العلم الثالث فهو عبارة عن راية صفراء صغيرة

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٧٥ ، ٤ ص ١٣ ؛
Dozy, Supp Dict. Art p. 227.

(٢) يتركب اللفظ « علم دار » من كلمتين الاولى علم وهو لفظ فارسى معناه الراية ، والثانية « دار » بمعنى حامل فيكون العلم دار يعنى حامل الراية .

انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٨ ، ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٦٣ ؛
ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٢٠٥ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٢٤ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٤٨ ، ١٢١ ؛
أنظر : ماجد ، نظم دولة سلاطين ، ١ ص ١٥٨ .

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٧ ، ٥ ص ٤٥٨ ؛
المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٤٢٣ ؛
نفسه ، السلوك ، ١ ص ٦٢٨ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٠١ .

تسمى السنجق ويحملها السنجق دار (١) ويظهر أن السلطان كان يركب فى المواكب فى زمن السلم بالسناجق فقط • أما فى زمن الحرب فكان يخرج بالاعلام الثلاثة (هيئة الميدان كاملة) ويبدو أن هذه الراية كانت تستخدم فى جميع وحدات الجيش المملوكى كرمز أنه يتبع الجيش المصرى ، وكان يستخدم على المستوى الاستراتيجى لاصدار المعلومات والأوامر المطلوب اصدارها أو للاجابة عليها بواسطة اشارات معينة ومازال هذا الأسلوب يستخدم فى القوات البحرية الى اليوم •

★ ★ ★

أما عن **تكتيكات الجيش المصرى** فى العصر المملوكى البحرى فى ذلك الوقت والتى تعتبر من أعظم التطبيقات للفن الحربى ليس فقط فى العصر المملوكى ، ولكن يعتبر فى وقتنا الحاضر من المبادىء الأساسية فى الفن الحربى التكتيكى ، ومفهومه فى المصطلح الحربى الحديث هو فن استخدام القوات والأسلحة والمعدات ، فنجد أن الجيش المملوكى كان يستعمل نقاط الضعف فى مواقع العدو (٢) ، ويكتسب لنفسه أى مميزات يتفوق بها على خصمه قبل أن يقرر نهائيا خوض المعركة على العدو طبقا لمصلحتهم التكتيكية ، حيث كانوا عادة يلبثون على مسافة مناسبة من العدو حيث احتفظوا بحريتهم فى اختيار زمن ومكان المعركة (٣) مما يحقق أكبر خسائر ممكنة فى قوات العدو ، وأقل خسائر ممكنة فى قواته •

وكان الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى ـ الجيوش بعامة ـ تستخدم حيل التظاهر بالارتداد ، ولقد زاولت جيوش الفرنج هذه المناورة قبل الحرب الصليبية الأولى ، ويقال أن الفرنج استخدموها فى بعض الأحيان فى الشام • فلقد كان المسلمون مثل غيرهم من الجيوش المحاربة بصفة عامة والمماليك بصفة خاصة يستخدمون هذه المناورة باستمرار وبطرق مختلفة ، وكان ارتدادهم فى بعض الأحوال يستغرق أياما عدة حيث يقصدون من وراء ذلك انهاك العدو واستدراجه بعيدا عن قواعده ، فكانوا يلجئون الى هذه الحيل بالتخطيط والتصميم بعمل كمائن أعدوها مسبقا • حيث يلجئون الى مجموعة الخيالة لاغراء العدو بالهجوم ، وعندما يتحرك العدو لمهاجمتهم تستدرج هذه المجموعة المضللة والتى

---

(١) يتركب لفظ السنجقدار من كلمتين اولهما السنجق وهو لفظ تركى يطلق أصلا على الرمح والمراد به هنا الرايه التى تربط به والثانية دار بمعنى حامل فيكون السنجقدار بمعنى حامل الرايه •
انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٨ ، ٥ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨ ؛
الخالدى ، المقصد ، ص ١٢٦ •

(٢) Smail, Crusading Warfare, p. 76-77.

(٣) رشيد الدين الهمدانى ، جامع التواريخ ، ١ ص ٣١٣ •

تناوش العدو حتى تصبح أحد أجنابه أمام القوة الرئيسية لقواته ، والتى تبقى مختفية حتى اللحظة الحاسمة ، أو اللحظة القاتلة التى يستطيع منها مفاجأته وتدميره تماما • وكانت هذه اللحظة اما أن يحظى بنجاح بسيط وهذا نادر وتنتهى بكسب المعركة تماما وذلك طبقا لمدى مقدار تطبيقها لمبادىء الحرب ، ومدى الالتزام بخطة الكمين (١) •

كذلك كانت الجيوش المملوكية تقوم أيضا بمهاجمة العدو فى قتالها أثناء السير ، ولم يكن هذا الا فى امكان مهاجم قادر على أن يتحرك أسرع من خصمه ، وكان ذلك جديدا فى القتال ومغيظا بصفة خاصة للفرنج (٢) اذ كانوا يميلون قبل القتال الى تنظيم قواتهم واتخاذ تشكيل قتال المعركة ، وكان منشأ الخطر الرئيسى ان من عادة الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى القيام بالهجوم من الخلف.حيث تتمركز الشئون الادارية وهذا فى المفهوم الحربى الحديث يعتبر أرقى أنواع التكتيك حيث يكون الرتل الادارى ـ بما يعني شعار الشئون الادارية ـفعندما كانوا يهاجمون اطلاب ـ طابور سائر ـ ، يوجهون جهودهم الرئيسية نحو مؤخرة العدو ، وفى مثل هذه الظروف تكون مشكلة قائد القوات هى الاحتفاظ بالسيطرة والقيادة على قواته ، وهذا افضل مما لو هاجموا جيش المسلمين مع تركيز الجهود الرئيسية على مقدمة جيش العدو ـ فكان على الفرنج فى الشام خاصة والمغول عامة ان يقاوموا فى مرات عديدة نفس التشكيل الواحد من الهجوم عدة مرات ، ونتيجة لذلك كان تنظيم وقيادة مؤخرة الجيش للاعداء تلقى عناية فائقة ومجهودا كبيرا كان من الممكن توفيره للقوات الرئيسية •

هذه هى الصفة المميزة التكتيكية التى تميز بها جيش مصر فى العصر المملوكى والتى استفادوا منها خلال صراعهم مع الصليبيين والمغول والتى فيما سبق نجد أنهم طبقوا مبادىء الحرب تطبيقا سليما والتى تتضمن خفة الحركة والمبادأة ، والمفاجأة والخداع وكلها المبادىء الأساسية فى التطبيق التكتيكى لمبادىء الحرب لتحقيق النصر •

أما الصفة التكتيكية الأخرى التى تميز بها الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية فى تطبيق مبادىء الحرب والتى استفادوا منها فكانت الرمى بالنشاب ، وكانوا يستعملون القوس (٣) وهم على السرج ، ويرمون به دون أن يتوقفوا أو يتباطئوا ، وكان يمكنهم من الجمع بين الرمى بالنشاب أثناء التحرك فى وثبات تكتيكية مما يدل على مستوى تدريبى عال ، وهو ما يسمى فى المصطلح

---

(١) Smail, Crusading Warfare, p. p. 79.

(٢) Smail, Crusading Warfare, p. 79.

(٣) ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، مخطوط ، ورقة ١٢ ـ ١٣ ؛
ابن هزيل ، حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ص ١٩ •

الحربى الحديث الضرب أثنــاء الحركة ، أى أن الضــارب يقوم بالضرب أثناء تحركه ، كما كانوا يستطيعون فى حالة الارتداد أن يتحولوا من فوق سروجهم وان يصوبوا سهامهم نحو مطارديهم وهو ما يسمى بالضرب التعطيلى فى وقتنا الحاضر ٠

وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب العسكريين المعاصرين ، واعتمد عليهم الكتاب الحديثون الذين تعرضوا للتكتيك الحربى فى العصور الوسطى حيث قالوا « كان الجند يتراجعون الى الخلف بسهولة (١) ، وأملهم كالعادة أن يلتفوا حول العدو أو يطوقوه أثناء ارتدادهم أو أن يرشــــقوه بنبالهم أثناء قيامهم بحركة الالتفاف (٢) ٠ وكان الالتجاء الى الرمى بالنشاب يستهدف ايقاع أكبر خسائر ممكنة برجال وخيل العدو بغرض القضاء على تماسك العدو حتى يسهل اقتحامه ، وكانت قيادة الجيوش المملوكية ترسل الطلائع ـ مجموعات الاستطلاع حاليا ـ لاختيار ارض المعركة ، والالمام بمواقع العدو وأخباره وضمان ســــلامة الطريق الذى ستسلكه قواته وتأمين خط سير قواته سواء من كمين معد له أو من موانع وعوائق فى طريقه ، ثم دراسة أحسن السبل لتسلسل تدمير العدو ، وأسهل واقصر الطرق الى قيادات العدو والمناطق الخاصة بالشئون الادارية من مصــادر المياه والطعام وخلافه (٣) ٠

أما عن نظام ســــير الجنود التكتيكى فى الحرب ، فكان صاحب الجيش يقسم العسكر تقسيما تكتيكيا الى أربعة أقسام : الأول : أصحاب المقدمة ، وهم المتقدمون القائمون بتهذيب الطريق بعد الأمير المرتب لمنصب الحل والارتجال ، والثانى : أصحاب الساقة وهم الذين يســيرون فى المؤخرة يراعون المنقطعين والمتخلفين للجيوش والعساكر ، ويحفظون الشاذ من ذلك ، والخارج من العسكر والداخل اليه والقسمان الآخران : أصحاب أجنحة اليمين والشــمال ، ويراعى هؤلاء الجوانب مثل ما يراعى القسمان المقدمان ، حيث يتولى أصحاب المقدمة الأولى النجار ، الجلابة والسوقة والرجالية ، ثم يتلوهم خزائن السلاح والأموال ، الحملات مثل الثقل ، والاقامات والمؤن وأصحاب الأعمال من الكبــار والنــظار والدواوين ما يتعلق بهم ، ثم يتلو ذلك الحجاب والأساورة ، يعنى الامارة يتقدمون صاحب العســاكر وزعيمها ، فتكون العســاكر محيطه بالأموال والخزائن (٤) (أنظر نظام أمير الجند بالشكل المرفق) ٠

أما التكتيكات والتكتيكات الصغرى وهى التى تعرف بالتكتيكات الخاصة

---

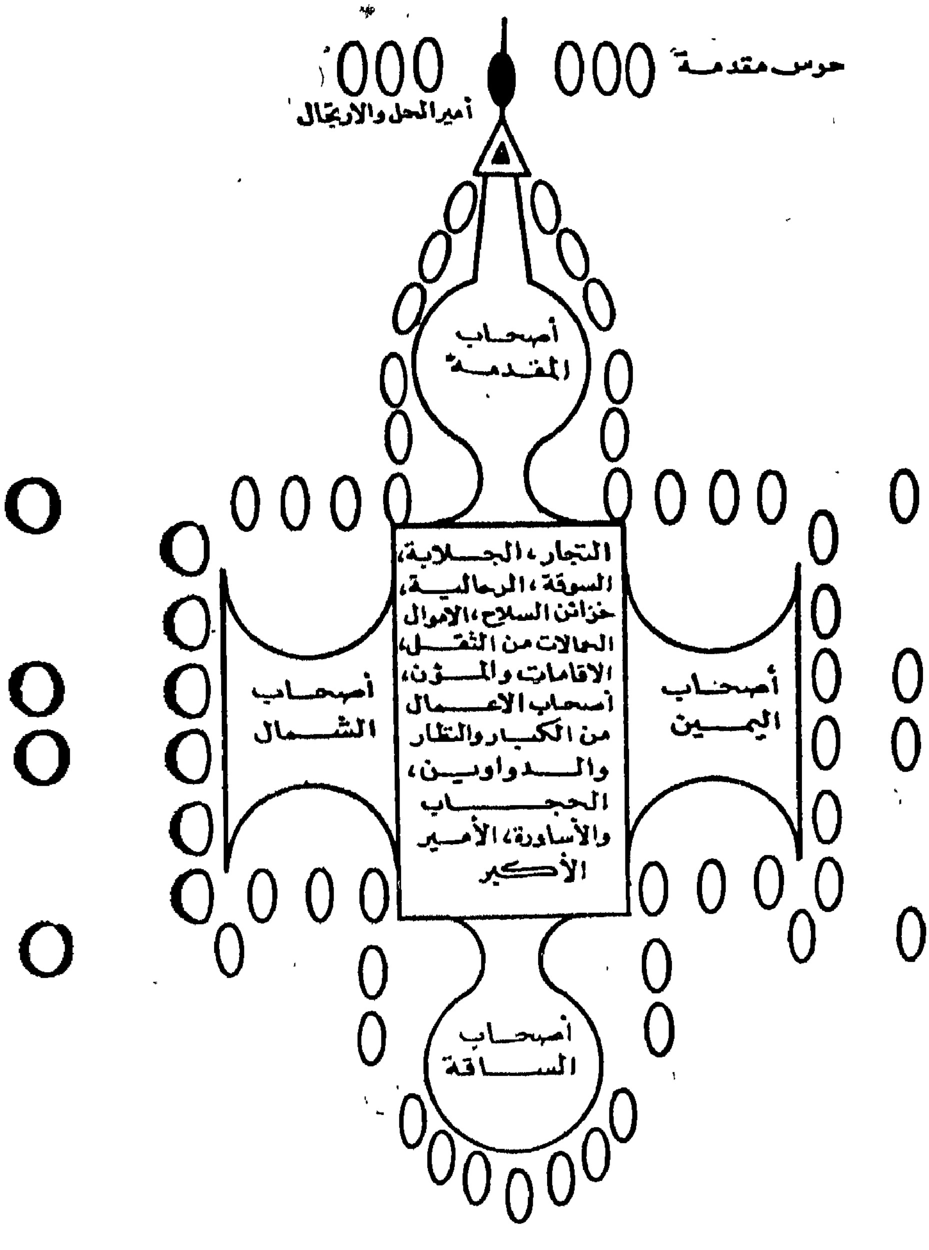
(١) ابن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، ورقة ٢١ ٠

(٢) Smail, Crusading, Warfare, p. 79.

(٣) ابن منكلى ، الأدلة الرسمية ، ورقة ٢٢ ٠

(٤) بكتوت الرماح ، نهاية السؤال والأمنية ، ورقة ١١ ٠

نظام سير الجند في الحرب
تشكيل المسير



بالوحدات الصغرى أى الوحدات قليلة العدد ، فلقد استخدمت منتهى المهارة التكتيكية فى تشكيل قواته وذلك طبقا لعدد الجند والذى مازال يستخدم حتى الآن ، كما أنه ربطها بأشكال القمر والاجرام السماوية (١) نظرا لأنها تستخدم ليلا مستعينا بقوله تعالى «**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**» (٢) ، هذا ولربما قال البعض ان هـذه كانت روح العصر من حيث ارتباطهم بالقرآن والسنة ، ولكننا نجد أن ارتباط هذه التشكيلات التكتيكية الصغيرة وهى قليلة العدد بمنازل القمر لهو أرفع أنواع العلم العسكرى حيث يستفيد من ضوء القمر فى استطلاع العدو والسيطرة على قواته وليس كما أشار المؤرخون من أنها روح العصر ٠

حيث نجد أن ارتباط التشكيلات التكتيكية بمنازل القمر لهو من أسس ومبادىء علم الفن الحربى فى وقتنا الحاضر فنجد أن من وجهـة نظر العـلم العسكرى فى التحرك الليلى للقوات العسكرية عندما يكون القمر بدرا فان ذلك يحتاج الى اتخاذ تشكيل قتالى تكتيكى ذى فواصل كبيرة بين الجنود والوحدات وذلك لتقليل احتمال اكتشـاف العدو لهم ، كما أنه بجانب ذلك يعطى فرصة اكبر لزيادة القيادة والسيطرة على الجنود ومن هذا نجد أن ارتباط التشكيلات التكتيكية باشكال القمر والاجرام السماوية هو تطبيق علمى سليم للفن الحربى وليس كما قرر بعض الكتاب من أنها روح العصر ٠

ولكن رغم هذا العلم العسكرى ، ورغم ان الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية كان مصبوغا بالروح الهجومية فى تكتيكاته وتعبئة صفوفه الا أنه يمكن القول بأنه أخذ من روح العصور الوسطى عامة سواء فى الشرق أو الغرب فى ذلك الحين الى حد ما فى بعض مسائل الفراسة (كما كانت تسـمى فى ذلك الحين) ، والتى اتخذوها عن التكتيك الحربى القديم (٣) ، فيوم السبت له تشكيلاته التكتيكية يختلف عن الأيام الأخرى وله تعبئة معينة ووقت للتحرك ، ويوم الأحد كذلك ، مع كتاباتهم بعض السور للقرآن الكريم يحملها بعض العساكر معهم ومع ذلك لم يتعرض لها المؤرخون العسكريون للمماليك مثل ابن منكلى وغيره ولكن مع كل ذلك فلقد نلاحظ أن غالبية مصافات الجيش المصرى الهجومية فى عصر المماليك البحرية ، كانت تقع اما صباحا قبل اشتداد أشعة الشمس ، أو عصرا تفاديا لوقوع أشعة الشمس على الخوذ والسلاح وانعكاس أشعة الشـمس على

(١) ابن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط ، ورقة ١٣ وما بعدها ٠

(٢) سورة يس ، آية ٣٩ ٠

(٣) الشيبانى ، السير الكبير ، ١ ص ٢١٥ — ٢١٦ (تحقيق أبو زهرة) ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٣٠ — ٦٩٢ ؛
الأنصارى ، تفريج الكروب ، ص ٧٠ — ٧١ ؛
الكردى ، كشف الغمه ، ورقة ٦٢ ٠

العيون فتكل عن النظر وقد تؤثر في بعضها الى حد العمى وهذا ما يراعى حتى الآن فى الحاضر عند اختيار توقيت الهجوم ، هـــذا الى جانب انهم ادخلوا فى حساباتهم حركة الشمس الظاهرية ، والفصل الذى يتحركون فيه هو ما يسمى حاليا تقدير الموقف التكتيكى من ناحية الجو والطقس ٠

وفى ذلك يقول المؤرخ أبو الفدا : وكان مسيرنا بالعجل فى أواخر فصل الشتاء فاتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد ودمشق فقاسينا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البقر وماتت بسبب شدة عظمة البرد ، وسرنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شـــهرا ، وذلك نحو مســـيرة ثمانية أيام للخيل على العادة ٠

ويكمل المؤرخ ابن اياس هو الآخر تلك الصورة فيقول « قيل ان السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون الى البلاد الشامية عندما تنتقل الشمس الى برج العمل فى أوائل فصل الربيع والوقت رطبا ٠ وأما السلطان الغورى فانه سافر فى شدة الحر والشمس عمودية على السرطان فحصـــل للعســـاكر مشقة شـــديدة فى الطريق (١) ٠

ومن الجدير بالذكر أنه لزيادة الكفاءة القتالية التكتيكية فان ألجند فى عصر المماليك البحرية كانوا بجانب تدريبهم الحربى يتدربون على اسعاف المرضى وتضميد الجروح ، ومع ذلك فقد كان الأطباء يصطحبون الجيوش خشية مما قد يحل بهم من أمراض أو ما يلحق بهم من جراح أثناء القتال ٠

وقد اعتاد المماليك بعد انتهاء الموقعة الحربية أن يقوموا باحصـــاء الغنائم والأسرى ، فكان كل أمير يستولى على غنيمته عدا الأســـلحة فانها كانت تؤول للسلطان وليس للجنود أو لقادتهم وكانوا لا يأخذون منها شيئا الا باذنه ، أما الأسرى فكانوا من نصيب السلطان الذى كان يأخذ ما يشاء لنفسه ، ويأمر بتوزيع ما بقى من النســـاء والغلمـــان على الأمراء (٢) ٠ أما الرجـــال من الأسرى فقد استخدموا بالأسلوب القانونى مع استغلال هذه الطاقة لســـد حاجة الدولة فى أعمالها من حفر وبناء وغير ذلك ، وتوفيرها لتكون فى خدمة الجيش وهذا أرقى أنواع التفكير الاقتصادى التكتيكى العسكرى فقد كان السلطان لا يتصرف فى أمر الأسرى الا بعد معرفة مراتبهم ومكانتهم بين أهلهم ، فمن كان منهم ذا مكان خاص طلبت عنه الفدية ، واخلى سبيله باداته المبلغ المقرر ٠

أما من كان من العامة ولا ينتظر منه فدية ، فكان يرسل الى معتقلات خاصة بالأسرى أو يوزع على الامراء ، ويبدو أن استخدام المماليك للأسرى فى الأعمال

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ٣٥ ٠

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٣٠١ ٠

اليدوية كان أمرا عاديا ، وهو ما كان يقرره العرف أو هو ما يطلق عليه القانون الدولى لمعاملة الأسرى وفى هذا قال المؤرخ المقريزى « معاملة السلطان الناصر محمد بن قلاوون للأسرى بالحسنى أمر شاذ (١) وذلك فى عصر سلطنته الثالثة ، ومع ذلك كانوا يستخدمون فى بناء مشروعات الدولة وحفر الشوارع ». وفى رأينا انه بناء على العرف والقانون الدولى فى معاملة الأسرى ، فاننا نجد أن المقريزى أخطأ فى قوله هذا حيث انه أظهر ان باقى السلاطين قد أساءوا معاملة الأسرى (٢) أو أن استخدام الأسرى فى مشروعات الدولة أمر يشير الى الظلم والاضطهاد للأسرى (٣) ٠

أما عن الاستخدام التكتيكى للفرق المساعدة من غير المماليك ووظيفتها ، فقد كان هناك فرقة ش الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية تسمى فرقة أولاد الناس وهم عادة من المصريين (٤) ، وقد سبق الاشارة اليها ، وهى من أبناء المماليك وتعتبر هذه الفرقة كنوع من الاحتياط الاستراتيجى للدولة ويستخدم جزء منها كاحتياطى تكتيكى لفرق الجيش المصرى فى العصر المملوكى ، وكان والد المؤرخ ابن اياس من أولاد الناس بالقاهرة (٥) ٠

وقد ذكر « خليل بن شاهين الظاهرى » ان من الفرق المساعدة أيضا من المماليك هم العربان ، وكانوا منتشرين فى الأقاليم التابعة لمصر ــ عدا الشام وقدر هذا المؤرخ عددهم بحوالى ٣١٤٠٠ (٦) ٠

★ ★ ★

أما عن أجهزة الاستطلاع فى الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى فهى بحق تعتبر ركيزة للفن الحربى المملوكى فكان يتطلب لتحقيقها وتنفيذها من

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ٢ ص ٣٠٥ ٠

(٢) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ٣ ص ٣٧٢ ٠

(٣) نجد فى العصر الحديث بعد الحرب العالمية الثانية أن روسيا استخدمت الأسرى الألمان فى بناء مشروعات الدولة (مترو الأنفاق) وكذلك انجلترا ودول أخرى قد استخدمت الأسرى فى بناء مشروعاتها وهو يعتبر امر طبيعى ٠

تنص معاهدة جنيف الخاصة بمعاملة الأسرى العسكريين انه يسمح للدولة الآسرة بتشغيل أسرى الحرب فى الأعمال الخاصة بالنواحى غير العسكرية ٠

(٤) المقريزى ، خطط ، ٢ ص ١٧ ؛

Ayalon, Studies on the structure of the Mamlouk Army, II B.S.O.A., Vol. 15, p. 458.

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٤٧ ؛

المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢١٨ ٠

(٦) عرفت الدار فى عهد الفاطميين باسم خزانة السلاح ٠

أنظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ١٤٦ ؛

أنظر : الملحق الخاص بالمصطلحات العسكرية ٠

المسئولين عنها عدة شروط تتحق من مراعاة عدة اجراءات أخرى مثل أن يوضع في الاعتبار أهمية الاختيار بين وسائله وهى متعددة منها اختيار صاحب الطلائع رجلا بصيرا ، ناضجا ، أمينا ، جسورا ، وحذرا كما كان ينبغى أن يكون أهل الطليعة من أهل النصيحة والخبرة والتجربة بالحرب وان تكون خيولهم سوابق وجيدة ، ولا يكون مع أحد من رجال الطلائع ما يثقله من سلاح سوى قوس وجعبه من النشاب تحتوى على عشر نشابات أو عشرين ، وعليهم ان لا يباشروا اللقاء مع العدو الا فى حالة الضرورة ، والا يكونوا أقل من ثلاثة ، أحدهم يختص بأتيان الخبز ، والآخران يتقدمان الى العدو ، وكان سيرهم فى الأرض المستوية الصلبة ، حتى يتفادوا اثارة الغبار من ركض الخيل فيعرف العدو خبرهم .

وكان فيما بين الطليعة وقواد الجيش علامات عن خبر العدو وحالاته من الخوف والأمن أو القرب والبعد ، وذلـك اذا لم تتمكن الطليعة من الوصـول الى المعسكر ، وتخشى فوات الفرصة عليهم فمن رأى من العسكر اشارات حيث توجد الطليعة للجيش المملوكى ولها شفرة من الاشارات فان عليه أن يخبر قواد الجيش بما رأى فيعرف الخبر (١) وهى تشبه عمل الحرس الأمامى فى التقدم ونطاق الأمن فى الدفاع حاليا .

وكانت هناك فرقة فى جيش المماليك تعرف باسم « **السرايا** » وهى طائفة مختارة من الجيش ترسل قبل الاشتباك لقتال العدو وارهابه ، أو اســتعلام خبره ، وقد تكون مشاة أو ممتطية للخيل (٢) وهى تشبه الاستطلاع من رجال الصاعقة حاليا وأن اختلفت العدة والعتاد ، فســواء دخلوا الى عمق دفاع العدو مترجلين أو بواسطة الطائرات الهليوكبتر أو العربات المدرعة ولكن الأسلوب واحد هو تحقيق هدف العملية الخاصة كما اهتم المماليك فى اقامة الكمائن ، وكان الكمين مستورا عن أعين العدو ، وقد لاحظنا أن رجال الكمين لا يؤذون طيرا أو يذعرون وحشا حتى لا يعلم بهم عدوهم ، وان يطلبـوا خبر عدوهم بالعيـون الزكية ، وذلك ساعة ظهورهم بالغدوات فى حالة الغفلة من عدوهم ، عند انتشار اعدادهم فى آخر ساعة من أيام الصيف ، وأبرد ساعة من أيام الشـــتاء ، وكان الكمين عبـارة عن كردوس وهى جماعة مقاتلة صغيرة منتشرة وغير متباعـدة عن بعضها البعض لينكمشوا فى الوقت المناسب ويعودوا فى أسرع وقت للانضمام الى جيشهم (٣) .

---

(١) ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، ق ٢٠ ؛
الهرثمى ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٤٨ ؛
الانصارى ، تفريج الكروب ، ص ١٢ ، ١٥ ، ٢٣ .

(٢) ابن منكلى ، التدابير السلطانية ، ق ٥٣ .

(٣) نفسه ، الأدلة الرسمية ، ق ٢٢ ؛
السقا ، مختصر السعى ، ق ٣٧ ـ ٤٠ ؛

ولقد فطن المماليك ان رأس الحرب وأساس الفن الحربى هو جمع المعلومات عن العدو بواسطة الجواسيس والعيون من جانبهم وأساس التخطيط والتطبيق العملى له وذلك ان لا يعرف أحد من جواسيسه بالآخر ، اذ لا يستبعد فى لقائهم أن يتواطأوا معه ، وكان قائد الجيش يهتم بجواسيسه لأهمية ما يؤدونه من مهام كما كان ينتخب منهم العارف بلسان المنطقة الذاهب اليها ، عالما بتكوين جيش العدو ، وذلك لكى يستعلم أخباره على الوجه الصحيح المأمون ، ويعرف ما عنده من السلاح والعتاد · وكان عليه أن يبحث عن أسماء رؤساء الأعداء وقوادهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم ويغمرهم بالتحف والهدايا ويرسل على السنتهم مكتوبا منهم اليه ، ويظهر فى معسكره وعسكرهم لتقوى به قلوب رجاله وتذل بها نفوس أعدائه ، وكان قائد الجيش المملوكى اذا احتاج الى أن يرسل لعدوه برسول ، اشترط أن يكون هذا الرسول نافذ البصيرة ، قوى الجانب ، قوى الفراسه فى أقواله وأفعاله وقد اختبر عقله وفصاحته وثبات جأشه أكثر من غيره وكانوا لا يرسلون الى العدو برسول واحد أكثر من مرة على التوالى ، اذ ربما يحصل من رسول المرسل اليه مؤانسة واحسان (١) وهو ما تقوم به ادارة المخابرات والاستطلاع (فرع الخدمة الخاصة) حاليا ·

★ ★ ★

وبجانب ذلك نجد أن البريد (٢) عاون كثيرا فى نقل أخبار العدو وتحركه ومواقعه ، وقوة قواته ، وسلاحه ، وعتاده ، وأماكن قيادته ، ومناطق شئون ادارته ، وأماكن أهم الأمور وأنفعها ولقد ظهر هذا النظام وتطور فى عهد الظاهر بيبرس بشكل لم يعرف من قبل ، وحدد عام ظهوره (٣) فى عام ٦٥٩/١٢٦٠/١٢٦١ وكانت هناك أساليب له ، أسرعها ابقاء النيران على رؤوس

= الهروى ، التذكرة الهروية ، ص ٢٣ ؛
الأنصارى ، تفريج الكروب ، ص ٧٢ ؛
الهرثمى ، مختصر سياسة الحروب ، ص ٥٠ – ٥١ ·

(١) الكرودى ، كشف الغمه فى بيان حرب النظام حق على هذه الأمة ق ٢٦ – ٣٢ ؛
الأنصارى ، تفريج الكروب ، ص ١٧ – ٢٧ ؛
الهرثمى ، مختصر سياسة الحرب ، ص ٢٣ – ٢٥ ·

(٢) كلمة بريد أصلها فى اليونانية Beredos أو اللاتينية Veredae بمعنى خيل – ومن الفارسية «بريدة دم» ومعناها مقصوص الذنب كناية عن البغال فى نقل الرسائل أو البريد وفى الأصل اسم لمسافة معلومة مقررة بأربعة فراسخ (الفرسخ ٣ أميال) وربما كانت الفاصل من نقطة لأخرى ·
أنظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١ ص ٥٨ ؛
نفسه ، نفس المصدر ، ١٤ ص ٣٦٦ ·

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٠٨ ؛
أنظر : ماجد ، نظم سلاطين المماليك ، ١ ص ٦١ ·

الجبال أو الأماكن العالية ليلا ، والدخان نهارا ذلك انه عندما كانت الحروب بين التتار والمماليك وكان من جملة احتياطات تأمين المملكة أن جعلوا هذه المناورة للاعلام بحركة السار ، وقد رصد فى كل موقع «الدبان» وهى اصطلاح مملوكى يعنى النظارة لرؤية العدو والاعلام بقصده ، وكان لهؤلاء الحراس الجوامك المقررة لذلك وهم مرتبون من الفرات الى غزة ، فاذا حدث أن تحرك التتار أوقدوا النيران أن كانوا ليلا أو أثاروا الدخان أن كانوا نهارا ، فيصل ذلك فى أسرع وقت من الفرات الى غزة ثم يرسل الحمام البريدى من غزة الى مصر فيعلم ذلك فى يوم واحد هذا بجانب أن البريد كان وسيلة الاتصال بين القاهرة وثكناتها فى الشام وغيرها .

وقد تنبه المماليك الى منفعة البريد والذى عظم شأنه فى سياسة الدولة واصدار الأوامر للجيش وحمل المكاتبات الغائبة فى أسرع وقت ، بما يضمن صحة تنفيذ التوقيت الاســـتراتيجى والتكتيكى للموقعة أو المعركة فى الوقت المناسب . كما سبق ان أسلفنا ، فلقد اعتنى به بيبرس البندقدارى فرتبه سنة ٦٦٩/١٢٧١ ووضع له نظاما ارتبطت بمقتضاه جميع أنحاء مملكته شبكة خطوط البريد البرى والجوى .

ويقع على طول خطوط البريد كثيرا من المحطات على مسافات لا تزيد احداها عن ثمانية وعشرين ميلا وكانت هـذه المحطات تزود بما يحتـاج اليه الموظفون والخيل من ماء الطعام وعلف ومبان لسكنى الموظفين ومن هذه المحطات يستطيع البريديون (١) أن يغيروا خيولهم بخيول أخرى ، وبهذا يضمن وصول الأوامر والتعليمات الى القوات فى الوقت المناسب .

ولم يقتصر الأمر على هـذا ، بل كان البريديون يختارون من الأشـخاص الذين عرفوا باخلاصهم لعملهم ، واتصفوا بالفطنه والذكاء ، لأنهم لم يكونوا مجرد رسل يحملون الأوامر والتعليمات للقوات أو رسائل مختومة الى الملوك ، بل كانوا يكلفون أحيانا بمهمة توصيل أخبار السلطان المسافر به الى بعض الملوك والأمراء . ويصف القلقشندى للبريدى وما يجب أن يتحلى به من الصفات ، اذ يقول ان من صفات البريدى أن يكون « قديرا على تنويع الكلام وتحسين العبارة وسماع شهادة المرسل اليه ورد جوابه واقامة الحجة عليه ، وتصـحيح الفكرة والمزاج اذا أبدى وعارضه وليبدو استحكام حجته ، وأن يكون بصيرا بمخارج الكلام ، وأجوبته مؤديا للألفاظ السهلة فى معانيهـا ، وصـادقا ، وبريئا من الطمع (٢) .

(١) كما أسلفنا ان رجال البريد تابعين للدوادار الذى كان من أمراء المماليك ، وربما يطمع فى العرش وربما يعاون السلطان ، ولكنهم الحقوا فى نهاية القرن ١٤/٨ ، بديوان الانشاء ، منذ ذلك الحين كانت الأسرار البريدية يقدم بها موظف من أرباب القلم لا مطمع له فى العرش انظر : Hautecœur et Wiet, les Mosquées du Caire, p. 56.

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٧٦ .

وقد عرف البريدى أيضا بالسواق ، « لأنه يسوق خيل البريد كما كان لكل محطة بعض من السياس يعنون بأمر الخيول لتكون صالحة لقطع المسافات المقررة على أكمل وجه وأسرعه ، ولم يكن يسمح بركوب خيل البريد الا بمرسوم سلطانى (١) على أن البريديين لم يكونوا فى هذا العصر طبقة واحدة : فمنهم من يحمل البريد العادى الى الولاة والنواب ، فاذا أحسنوا القيام بأعمالهم وأصبحوا موضع ثقة السلطان ،ومحل سره ، عهد اليهم بحمل الرسائل الهامة الى الملوك ، لهذا لا نعجب اذا أصبح للبريديين فى عصر سلاطين المماليك مكانة كبرى حتى كانوا يمنحونهم الأرزاق السخية والخلع الثمينة أسوة بكبار رجال الدولة (٢) .

وكان يشرف على البريد صاحب ديوان الانشاء أو كاتب السر (٣) ، وهو من أكبر موظفى الدولة ، كما كان يسمى منذ أيام السلطان قلاوون . وقد عهد الى صاحب ديوان الانشاء حفظ الواح البريد بالديوان والحرص على ارســـال بريد السلطان واذاعة أوامره (٤) ومما يدل على ما كان للبريد من شأن وأهمية كبرى فى ذلك العصر انه اذا وصل البريد الى القاهرة تلقاه كاتب السر والدوادار وهذا الأخير من موظفى الحاشية وصحباه الى السلطان ، فيسلم ما معه من بريد بحضور هؤلاء جميعا .

وقد ذكر الخالدى انه كان للبريديين رئيس مباشر أطلق عليه اسم « مقدم البريدية » يضطلع بمهام البريد ويشرف على شئونه ، ويعمل على النهوض به ، ويرجع فى النهايـة الى كاتب السر للموافقة على ما يقدمـه هــذا الموظف من الاقتراحات . وكان مقدم البريديـة يقوم بعمل صـاحب البريـد عنـد الأمويين والعباسيين ويليه فى الرتبة سبعة من الموظفين ، أطلق عليهم اسم « المقدمين » يتولى كل منهم أعمال البريد يوما فى كل أسبوع ويعرض أعماله فى نهاية كل يوم على مقدم البريدية (٥) .

ولقد بلغ نظام البريـد فى عهـد المماليك البحرية عامة وعصر بيبرس والناصر خاصة مبلغا عظيما من الدقة والأحكام ، وكان له أثره الكبير فى صد غارات التتار التى طالما هددت مصر كما ساعد على تفقد الأحوال فى مختلف أنحاء السلطنة والالمام بكل كبيرة وصغيرة سواء عن مجريات الأحداث التكتيكية فى الحرب أو عن أعمال الولاة والنواب فى السلم وكان هذا بمثابة سلاح الاشارة

---

(١) المقريزى ، وخطط ، ٢ ص ٢١١ ؛
ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٠٨ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٧٢ .
(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١١٥ .
(٣) Wiet, Precis de L'histoiri d'Egypte, Ton 11 pp. 247.
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١ ص ١١٤ .
(٥) الخالدى : المقصد ، ص ١٢٩ .

للقوات المسلحة فى وقتنا الحالى . والتى مازالت بعض هذه الاشارات تستخدم حتى الآن والتى تسمى « الاشارات المرئية » نهارا « والاشارات الضوئية » ليلا وخاصة فى القوات البحرية .

ولم يقتصر سلاطين المماليك البحرية على البريد العـادى فى ارسـال الرسـائل ، بل اسـتخدموا « الحمام الزاجل » وكان له براجون يعنون به ويدربونه ، فيأخذونـه بعيـدا عن برجه ويتركونه حتى يعود اليه ثم يزيدون فى المسافة شيئا حتى يستطيع الحمام أن يقطع مسافات بعيدة (١) .

وكما سبق أن أسلفنا ، فقد كانت القلعة مركز أبراج الحمام الزاجل ، كما كانت له مراكز معينة فى جهات مختلفة كمراكز البريد الجوى ، ولكنها تزيد عنها فى المسافات وكانت له محطات أشبه بمحطات البريد البرى ، ولكن قد تصل المسافة بين كل محطة وأخرى من محطات البريد الجوى الى ثلاثة أمثال محطات البريد البرى ، وخصص لكل محطة من المحطات ومثيلتها من المحطات الأخرى من محطات البريـد الجوى عـدد من الحمام يعنى بشـئونه موظفون اخصائيون ، واذا أراد السلطان ارسال رسالة من الحمام ، وضعت تحت جناحه ، فاذا وصل الى المحطة التالية نزع البراج هذه الرسالة ، وعلقها فى جناح طائر آخر فيوصلها الى المحطة التى تليها (٢) .

وفى كل محطة من محطات الحمام برج أو أكثر يحفظ فيه الحمام الذى يستخدم فى حمل الرسائل الى المحطة التالية ، ولا شك أن تسلم الرسالة من الطائر وشدها الى أخرى فى كل محطة تستغرق الكثير من الوقت ولكن كان لهذه الطريقة ، بالاضافة الى ذلك مزايا حربية لا يستهان بها ، حيث يربط القيادة بسائر الولايات وكذلك التشكيلات والقوات بسائر الولايات . وكانت ادارة بريد الحمـام تحت اشراف حكـام الأقاليم ، أما رواتب البراجين فلم تقل عن رواتب زملائهم من البريد البرى (٣) .

وقد جرت العادة لزيادة الاطمئنان والثقة وخاصـة من النـاحية الحربية ان تكتب الرسالة من صورتين ترسلان مع حمامتين ، تطلق احداهما بعد اطلاق الأخرى بساعتين ، حتى اذا تأخرت احداهما ووصلت الأخرى أخذت البطاقة من تحت جناحها وتركت حتى تعثر على رفيقتها لئلا تكون قد نزلت فى برج من أبراج المدينة أو افترستها الجوارح أو وقعت فى أيدى الأعداء (٤) .

---

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٩١ .
(٢) نفسه ، نفس المصدر ، ١٤ ص ٣٩١/٣٩٢ ؛
المقريزى ، خطط ، ٢ص ٢١١ .
(٣) خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٦ .
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١ ص ١١٨ ؛
المقريزى ، خطط ، ٢ ص ٢٣١/٢٣٢ .

وقد نظم نقل البريد بواسطة الحمام طبقا للخطوط ، ويلاحظ أنها تغطى جميع أنحاء السلطنه فى جميع الاتجاهات ، وبالتالى تؤمن حدود السلطنة من أى اخطار خارجية تهدد الحدود وهى تؤمن من جميع الاتجاهات الاستراتيجية للدولة وهى كالآتى :

١ ـ بين القاهرة والاسكندرية .

٢ ـ بين القاهرة ودمياط .

٣ ـ بين القاهرة والوجه القبلى (قوص وأسوان) .

٤ ـ بين القاهرة ودمشق عن طريق غزة وأورشليم .

٥ ـ بين دمشق وبرثه (١) على نهر الفرات .

٦ ـ بين برثه وقيصرية .

٧ ـ بين حلب والرقة على نهر الفرات .

٨ ـ بين دمشق وصيدا وبيروت وطرابلس .

٩ ـ بين غزة والكرك على البحر الميت .

١٠ ـ بين دمشق وبعلبك (٢) .

★ ★ ★

أما عن مؤثرات ظهور البارود واستخدامه على الاستراتيجية العسكرية للجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية ، فاننا نجد أنه كانت هناك جذور عميقة لهذا الاستخدام كما أوضح ذلك كثير من المؤرخين بحيث كان نقطة تحول هامة فى حروب المماليك وبالنسبة للعالم كله من حيث تطويرها .

ولقد كان قبل البارود تستخدم النار الاغريقية كعامل مؤثر فى الحرب وهى التى أساسها البترول حيث كان متوفرا فى بلاد المسلمين واستعمله المماليك بما يعرف فى ذلك الوقت بالنار الاغريقية (٣) فى أكثر المعارك الحربية التى

---

(١) برثه ـ موضع بنواحى الكوفة ـ انظر ياقوت ، معجم البلدان ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) المقريزى ، خطط ، ١ ص ٢٢٦ ؛
القلقشندى ، صبح الأعشى ، الأعشى ، ١٤٣ ص ٣٩٨ ؛
العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٩٩ ؛
الأنصارى ، تفريج الكروب ، ص ١٢ ١٥ .

(٣) ابن ارتبغا ، الأنيق فى المنجنيق ، ق ٨٥ ـ ٨٨ ؛
على ابراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٧٦ . وسميت بالنار الاغريقية نسبة الى مخترعها المهندس الاغريقى الكلينيكوس Kallinikos الذى اخترعها فى عهد الامبراطور «قسطنطين الرابع (٦٦٨ ـ ٦٨٥م)» وقد وضحت الأميرة ؛ أن كومنين ابنة الامبراطور ـ توثين اليكس ١٠٨١ ـ ١١١٨م) هذه النار الاغريقية فى كتابها عن تاريخ حياة أبيها فصورت هذه النار بما تحدثه من أضرار جسيمة ، ثم أوضحت تركيب هذه النار فقالت انها مزيج من النفط والزيت =

خاضوها ، وكان يسمى القائمون على استعمالها بالنفطية ، وقد دل استخدام الجيش المصرى فى عصر المماليك البحريـة على مهـارة فائقة وخبرة عالية فى استعمال النار الاغريقية قبل استخدام البارود ، وان كنا نرى فى الواقع أنهم استخدموا البارود الذى استخدم أول مرة فى التاريخ بواسطة المصريين ــ أولاد الناس ــ أو سودان مصر ·

ومن الثابت تاريخيا وعلميا ان المدافع البارودية قد استخدمت لأول مرة فى التاريخ بواسطة المصريين فى معركة المنصورة وليس أدل على ذلك من مؤرخ معاصر لهذه المعركة هو الفارس الفرنسى جوانفيل Joinville الذى أورد فى كتابه «ذكريات عن الحروب الصليبية يصف النار الاغريقية التى كان المصريون فى عصر المماليك البحرية يرمون بها جيشه فى معركة المنصورة فيقول «وفى ذات ليلة كنا نحرس الأبراج حيث أحضر المسلمون **آلة لم يستعملوها من قبل يقذفوننا منها بشىء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ··· نار مستقيمة كأنها اسطوانة كبيرة وذيلها من خلفها مثل الحراب الطويلة ، ودويها يشبه الرعد وكأنها جارح يشـق الهواء ، لها نور ساطع جيد من جراء عظيم انتشار اللهب الذى يحدث هذا الضوء** حتى انك ترى كل ما فى المعسكر كما لو كان فى وضح النهار ، وقد رمى علينا المسلمون هذه النار فى تلك الليلة ثلاث مرات من الآلات الكبيرة ، وأربع مرات من القسى العريضة وكان ملكنا القديس لويس كلما سمعهم يقذفون النار الاغريقية ينهض من فراشه ويبسط يداه الى منقذنا ويقول باكيا « أيها السيد العظيم احفظ لى رجالى » (١) وليس أدل على استخدام المماليك المدافع فى قتالهم من هذا النص السابق ·

ثم اسـتطرد جوانفيل Joinville فى وصـف القذيفة النـارية والتى شهد سقوط واحدة منها على الصليبيين وهو قائم بدوره مع القائمين على الحراسة حول البرجين الخشبيين المتحركين قائلا بأنها أشبه ببرميل مشتعل من حامض النبيذ ، فى ذيله عود من نار طول عود المزراق العظيم الاشتعال · وأحدثت هذه القذيفة بالذات دويا هائلا مثل دوى الرعد ، وتراءت كأنها مثل طائر فى الفضاء وأضاءت جوانب المعسكر الصليبى حتى غدا الليل فيه كالنهار (٢) ·

= والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال وكان هذا المزيج يوضع فى أنابيب من النحاس لها فم يوقد منها ، وفى مؤخرتها قوس يدفعها بقوة الضغط الى الامام ، وكانت تلك الأنابيب النحاسية توضع بكميات كبيرة فى اسطوانة هائلة مستديرة ، وتلقى فى موقع المنجنيق ثم تقذف على العدو فتصليه نارا حامية وانها نفس نظرية قاذفات اللهب حاليا والتى تطورت الى النابلم ·

انظر : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على مصر ، ص ١٥٦ ،
Joinville, ed — Wailly, 112-6, C.F. Croussot.

(١) جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على مصر ، ص ١٥٧ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ، ص ٦٢ ·

(٢) انظر : Joinville, Op. Cit., pp. 112-113.

وهذا يؤكد ان المماليك فى العصر البحرى اسـتخدموا المكحل أو المدافع ـ جمعها المكاحل أو المدافع ـ والتى تسنخدم بواسطة البارود ، وهناك كثير من التأكيدات الدقيقة انهم أول من استخدموا المكاحل أو المدافع كسلاح (١) بأنواعها الكثيرة (٢) وان كنا قد وجدنا سلاطين المماليك البحرية مهتمين بهذا النوع من الأسلحة ، وكان يشرف بنفسه على صناعه المكاحل بالقاهرة ، وكان حريصا على مشاهدة تجربتها (٣) مما يدل على اقتناعه بالدور الهام الذى قامت به من قبل ، فلا يعقل ان تصنع المدافع بين يوم وليلة ولابد لها كأى اختراع أن يمر بأطوار ، ولا نعتقد أن صناعة مثل المدافع تأخذ زمنا اختراعها لا يقل عن قرنين وهناك من أثبتوا وجود تجارب قبل معركة عين جالوت بالقلعة (٤) حيث يذكر ابن فضل الله العمرى الذى انتهى من تأليف كتابه فى عام ١٤٣١/٧٤١ ٠ التعريف بالمصطلح الشريف) يذكر أن من بين أسلحة المماليك فى مصر مكاحل البارود فهذا النص يؤكد معرفـة المماليك بالبـارود والمكحلة أى المدفع ونعتقد انه حقق المفاجأه الاستراتيجية فى موقعة عين جالوت وكان من أسباب انتصار المصريين فيها ـ ونعتقد أنه كان يعتبر سلاحا سريا حتى هذه المعركة ٠

ومما يؤكد ذلك ان المؤرخ أبا شـامة ١٢٦٨/٦٦٥ فى كتاب (٥) الذيل على الروضتين فى أخبار الدولتين ، وذكر بصراحة ان نجاح المصريين فى معركتهم ضد المغول راجع الى استخدام النفط الذى كان السبب الحاسم فى نصرهم ، ويعتمد فى ذلك على حسن الرماح أحد كبار مؤلفى العلم العسكرى المملوكى ومن أوائلهم فى عصر المماليك البحرية ولا شك أن النفط الذى أشار اليه أبو شامة يقصد به البارود ، الذى أساسه ملح البارود وليس أساسه البترول الذى كانت تعرف بالنار الاغريقية ، وأن كلمة نفط كانت مستعملة لتعنى البارود طوال عصر المماليك ٠ ولقد أشار الى ذلك أستاذنا الدكتور عبد المنعم ماجد فى محاضرته التى القاها فى الجمعية التـاريخية عـام ١٩٧٨ بعنـوان أضواء جديدة على « عين جالوت » ٠ ومما يجعلنا نؤكد ان المماليك البحرية هم الذين اسـتخدموا البارود هو ما ذكرنا فيما ذكر ٠

---

(١) ماجد ، محاضرة بالجمعية التاريخية سنة ١٩٧٧ بعنـوان أضـواء جديد على موقعة عين جالوت ٠

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١٢ ص ٢٧ ٠

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٤٣٠ ، ٣٧٤ ٠

(٤) عبد المنعم ماجد ، أضواء جديدة على عين جالوت ، محاضرة بالجمعية التاريخية سـنة ١٩٧٧ ٠

(٥) أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ٢ ص ١٨٠/١٧٩ ٠

وبتحليل نص ما أورده جوانفيل Joinville فيما وصفه واعتبره المؤرخون على أنه وصف للنار الاغريقية ، وهو أن وصفه بعيد كل البعد عن ذلك حيث قال أولا « احضروا آلة لم يستخدموها من قبل (يقصد المسلمين فى معركة المنصورة) .. فهل كان المسلمون فى العصر المملوكى البحرى يستخدمون النار الاغريقية لأول مرة وهى معروفة لدى المسلمين من قديم الأزل ، ثم نجد من بقية الوصف نارا مستقيمة كأنها اسطوانة كبيره وديولها من خلفها مثل حراب طوال ، دويها يشبه الرعد ، وكأنها جارح يشق الهواء ولها نور ساطع جدا (١) . وكل هذه الأوصاف تنطبق على المدافع .. والمدافع فقط .

ومن تحليل هذا النص أيضا من وجهة نظر العلم العسكرى للفن الحربى نجد أن نص جوانفيل Joinvilleفى كتابه هـذا نجد ان وصـفه هنا لا يمكن أن ينطبق على وصف النار الاغريقية ولكن ينطبق تماما على المدافع أو المكاحل وذلك فى قوله :

أولا : آلة لم يستعملوها من قبل . والنار الاغريقية معروفة لدى العصر المملوكى البحرى وما قبل ، وقد سبق ان أوضحنا ذلك تفصيلا .

ثانيا : ثم تشـبيه الكاتب لنوعية تأثير السـلاح فى الضرب حيث قال : « نار مستقيمة ، وكأنها اسطوانة كبيرة وذيولها من خلفها مثل الحراب الطويلة ، ودويها يشبه الرعد وكأنها جارح يشق الهواء ، لها نور سـاطع جدا من جراء عظم انتشار اللهب الذى يحدث الضوء .. الخ وكلها لا تنتج الا من تأثير ضرب دانات المدفعية .

ثالثا : ومما يؤكد انه كان المدفع أو المكحل وانه ليس بارودا مجهزا للضرب منه من القس العريضة (السهام الميكانيكية) انه دخل فى قوله « وقد رمى علينا المسلمون هذه النار فى تلك الليلة ثلاث مرات من الآلات الكبيرة) ويقصد هنا من هذه الآلة الجديدة وهى المدفع وليس المنجنيق أو السهام النارية — وربما المجهزة بالبارود ثم يستطرد المؤلف بعد ذلك عن تصرف ملكه لويس التاسع حيث كان وصفه كلما سمعهم يقذفون النار الاغريقية وذلك لعدم علم المؤلف بنوعية الآلة الجديدة فأطلق عليها النار الاغريقية كما كان معروفا فى ذلـك الوقت ولو وجد لها اسما آخر لا طلقه عليها ، ولكنه وجد هذا الاسم أقرب رمز لما تحدثه هذه الآلة الجديدة من آثار .

رابعا : وان وصف المؤرخ جوانفيل Joinville للقذيفة لا يمكن أن ينطبق على وصف النار الاغريقية سواء حدد هذه القذيفة عن باقى القذائف

---

(١) Joinville (ed — Wailly) 112-6 C.F. Croussot.
جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على مصر ، ص ١٠٧ .

بكلمة خصصها بحدوثها دويا هائلا ، ثم وصفه لها بأنها أسبه ببرميل مشعل من حامض النبيذ وما يحدثه هذا البرميل من انفجار شديد نتيجة ضغط شديد ناتج عن الغازات المضغوطه بالبرميل نتيجة الاشتعال ٠٠ وهـــذا لا يحدث الا نتيجة انفجار دانه من دانات المدفعية ٠

هذا كله يؤكد استخدام المصريين فى عصر سلاطين المماليك البحرية آلة جديدة هى المكحل أو المكحلة أو المدفع فى معركة المنصورة ٦٤٨/١٢٥٠ ويؤكد وصف مؤرخ عاصر وشارك هـذه المعركة هو جوانفيل أى أن المصريين أول من استخدموا المدفع فى هذه المعركة يؤكد النص التاريخى أى أنه معروف لديهم منذ عام ٦٤٨/١٢٥٠ ٠ وأنه من الممكن أن يكون قد احتفظوا به كسلاح سرى حتى استخدم مرة أخرى فى معركة « عين جالوت » ٠

ومن الجدير بالذكر أن مثل هـذه المدافع المصنوعة بكر اختراعها موجودة بالمتحف الحربى بالقلعة ، وثانيا ان استخدام البارود وآلاته من المدفع أو البنادق كان قاصرا على أن أبناء مصر وسودانه وحدهم اذ يقول النص التاريخى أن من يرمى بالمدفع أو البنادق فى أيام دولة المماليك هم أولاد الناس ، أى المصريين وسودان مصر وذلك لأن المماليك كانوا من الفرسان لا يستعملون الا السيف ، أو ما فى نوعه ، أما من يعمل على المدفع نفسه فقد سماهم هؤلاء بالعساكر الملفق أو حتى الطبقة الخامسة (١)وهذا ما أكده استاذنا الدكتور/عبد المنعم ماجد فى محاضرته ومقالاته ٠

ولو أن الظروف ســاعدت سـلاطين المماليك على النجاح فى اقناع المجتمع المملوكى العسكرى بالدور الذى يمكن أن تقوم به الأسلحة من تغير فى الأساليب الاستراتيجية والتكتيكية فى نظرية التطور العسكرى لأحداث انقلاب فى نظم وتقاليد هذا المجتمع ولأخرج جيشا حديثا متطورا على جميع العصور ٠

وان كان هذا الاهتمام قد وضح تماما منذ أيام سلاطين المماليك البحرية وأدى بالتالى الى اهتمام أكبر فى صناعة الأســلحة النـارية الثقيلة (المكاحل) فى العصر المملوكى الشركسى الـذى اتى بعد العصر المملوكى البحرى ، كذلـك لاقتناعهم بصلاحيتها كسلاح بعيد المدى ، شـــديد التأثير على العدو ، منذ أيام أجدادهم فى معركة « المنصورة » كما سبق أن تقدم ، حيث نجد أن السلطان الغورى نزل فى رجب ٩١٣/١٥٠٧ « الى قبة الهوى » خلف القلعة حيث جربوا قذافة مكاحل نحاسية (٢) ٠

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ١٢٣ ٠
ماجد ، أضواء جديدة على معركة عين جالوت ، محاضرة بالجمعية التاريخية سنة ١٩٧٧ ٠
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ١٢٣/١٢٤ ٠

وكانت هذه المكاحل على نوعين ، نوع يحمل على عجل نتم تجربته « بقبة الهواء » والتى كانت تسمى المطعم السلطانى فى الريدانية (١) ونوع آخر يركب على السفن وكانت تجربته نتم على سفن فى نهر النيل عند طره (٢) وكانت المكاحل تصنع من النحاس أو الحديد ، وأنها كانت بأحجام مختلفة ، وكان أغلبها كبير الحجم (٣) حتى أنها وصفت فى كتاب الفروسية لمؤلفه حسن الرماح (٤) الذى أشار فيه ضمن تركيب مواد سلاح النفط كان ملح البارود ولبس البترول كما سبق أن نقدم (وضح ذلك فى بعض صفحات كتابه المصورة والمرفقة بالبحث) .

ومن هذا نجد أن الأسلحة النارية كانت تستخدم منذ معركة المنصورة وبالتالى استخدمت أيضا فى عين جالوت وربما كانت ندرة ورودها فى المصادر المعاصرة وذلك يرجع أساسا الى السرية والأمن كسلاح استراتيجى جديد الاختراع بجانب استهانة المماليك بهذا السلاح وتمسكهم فى وقت قتالهم بسلاح السنة النبوية ، وهى الجهاد فى سبيل الله بالسيف .

هذا عند ظهور الأسلحة النارية فى العصر المملوكى البحرى وعدم استجابة المماليك للتدريب عليها واحتقارهم لها ولمن يتدرب عليها وتركوا استخدامها الى طبقة أولاد الناس ، مما أدى فى النهاية الى القضاء على دولتهم وان كان من الممكن أن تكون من الأسباب الرئيسية فى انتصارهم على الصليبيين والتتار .

★ ★ ★

أما عن ظهور الأسلحة النارية وأثر ذلك على استراتيجية الجيش المصرى فى العصر المملوكى فاننا نجد أن الجيش المصرى فى هذا العصر كان يسلح

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٤ ص ١٢٣/١٢٤ .

(٢) نفسه ، نفس المصدر ، الجزء ، ص ١٤٢ ، ٢١٥ .

(٣) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، ص ١٩١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ، ٣٤٠ .

(٤) نجم الدين حسن الرماح ، ويعرف بالأحدب ت ٦٩٥/١٢٩٥ ، كتاب الفروسية ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، رقم ٣٨ فنون حربية ، لقد تكلم المؤلف عن التركيب للقنبلة تتضمنه البارود ، وكانه سلاح معروف فى مصر منذ زمن مبكر ، فيذكر تركيبه من الملح والكبريت المسحوق ، ورماد الفحم والبرادة والنشادر ـ والزرنيخ الأحمر والبيلة الزرقاء والقنابل ، واللهب منها ، وان البارود يوضع فى طاحن ، وأوضح كيفية الحرب به ، وكذلك تكلم حسن الرماح عن الصواريخ ، ويرى أنها من البارود وذكر القنبلة وكيفية عمل ذخيره لها ، وأنها لا تستعمل الا اذا جاءتها نار .

كذلك أورد ابن ارنبغا الزردكاش فى كتابه « الأنيق فى المنجنيق » عن تركيبات الذخيرة مع العلم بأنه أسماها المنجنيق ونسبها الى سلاح النفط ـ وكان يقصد بها سلاح البارود حيث أن تركيب الذخيرة الذى أورده مؤلفه يطابق تماما تركيب سلاح البارود وأكثر من ذلك نجد أنه يطابق تقريبا تركيبة دانات المدفعية فى الوقت الحاضر .

بالمكاحل (المدافع) التى كانت نصنع من النحاس ومن الحديد ، وأنها كانت بأحجام مختلفة ، أغلبها كبير الحجم (١) ٠ وان انتاجها كان كبيرا رغم عـــدم استطاعتنا تحديد حجم هذا الانتاج بالضبط وأن اسىخدامها افنصر على مبدانين ، الميدان الأول وهو الموضوع منها على السفن فى الجبهة ، أما المبدان الناىى فهو تحصين القلاع والأبراج فى القلعة وفى رشـــيد ، وفى جدة ، وفى العقبة (٢) وفى الاسكندرية التى نالت وحدها مائتى مكحلة (٣) ٠

ومما يلفت النظر انه رغم احنكار المماليك للأسلحة النارية بجميع أنواعها ، فان القلعة فى القاهرة وهى معقل المجنمع المملوكى كانت مســلحة بكبر من المكاحل والأســلحة الناريه الخفيفة (٤) بل ان ببوت الأمراء كان بها مكاحل وبنادق ، ومما يدل على ذلك انه كان بعد فترة حكم المماليك البحرية أصـــدر المرسوم الذى أرسله السلطان سليم بعد انتصاره على طومان باى بالقاهرة الى نائبه بدمشق ان المماليك « قد جمعوا فى القلعة المصريـة وببوت الأمراء وثغر الاســكندرية وســائر البـلاد والقلاع من المكاحل والكفيات والبندقـات (٥) لاستخدامها فى قتال العثمانيين ٠

سريته وبذلك احتفظ به المماليك وذلك بدلبل ما أسار اله جوانفسلGroinfil
وربما لم يظهر هذا السلاح الا مؤخرا قبل المؤرخين الا أنه كأى اختراع له فى كتابه ذكريات عن الحروب الصليبية مما ملأ قلوبهم بالدهشة والرعب فى معركة المنصورة وهذا دليل على أنه كان السلاح الاستراتيجى الذى حقق المفاجأة الاستراتيجية لدولة المماليك ولو أن المماليك بجانب دلك كانوا يعتبرون أن الحرب والجهاد فى سبيل الله ما هو الا سلاح السنة ولأنهم كانوا يرددون « نحن قوم لا نترك سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، وهى الجهاد فى ســـبيل الله بالسيف » (٦) ٠

ولقد كان من الأسباب الأساسية فى تحقيق النصر للمسلمين فى معارك المنصورة « وعين جالوت » يرجع الى استعمال ما كانوا يسمونه بســلاح النفط الذى كان السبب الحاسم فى نصرهم (٧) والذى كان يعتمد على الطبقة الخامسة

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٢ ص ١٤٢ ، ٢١٥ ٠
(٢) نفسه ، نفس المرجع والجزء ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٨٧ ، ٤٢٢ ، ٤٧٤ ٠
(٣) نفسه ، نفس المرجع ، ٥ ص ١٤ ٠
(٤) ابن زنبل ، وقعة الغورى والسلطان سليم ، ما جرى بينهما ، تحقيق عبد المنعم عامة تحت أحدة المماليك ، ص ٣٣ ٠
(٥) ابن طولون الصالحى ، مفاكهة الخلافة ، ٢ ص ٤٥ وما بعدها ٠
(٦) ابن زنبل ، ص ٣٨ ، ماجد ، طومان باى ، ص ١٣٩ ٠
(٧) نشر عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ ، ص ٢١٧ ، ماجد ، طومان باى ، ص ١٣٠ ٠

أولاد الناس (المصريين) والتى تبتت أنه كان يدفع لهم مرتبانهم مع باقى الفئات الأخرى من المماليك ٠

★ ★ ★

أما عن استراتيجية الجيش المصرى فى عصر المماليك البحرية فى معاركه مع الصليبيين بعد معركة المنصورة فلقد أظهرت بوضوح مدى الفكر العسكرى الاستراتيجى المنسر لقادة البلاد فى هذه الفترة ، ففى الحروب الصليبية وعندما تولى السلطان أيبك ، وتلقب باللقب السلطانى « الملك المعز » حيث أثبت أيبك أنه يمتاز بصفات السياسة والحزم والشجاعة ، وقد وصفه بعض المؤرخين بالدين والرصافة والعقل والحزم وأنه عمل على قيام دولة المماليك التى عملت على دفع اخطار شديدة (١) عن مصر بصفة خاصة والاسلام بصفة عامة وهى كلها الصفات القيادية للاستراتيجية العسكرية السليمة بجانب ما أظهره من حسم تجاه الصليبين ٠

وبانتهاء الحملة الصليبية السابعة التى اقترنت أحداثها بنهاية الدولة الأيوبيه ، وقيام دولة سلاطين المماليك البحرية ، حيث أبحر لويس التاسع واتباعه من عكا فى صفر ٧/٦٤٨ مايو ١٢٥٠ (٢) ٠ وحينما كانت مطالبة الأيوبيين للحكم على أشدها والحرب قائمة بينهم وبين المماليك ، استطاع لويس التاسع بدهائه أن يستغل هذا النزاع لصالحه وان يصل فى سلام الى ما عجز عنه بالحرب وما أحدثته هزيمة المنصورة وبفضل هذه السياسة المرنة تمكن لويس التاسع من اطلاق عدد كبير من أسرى جيشه الذين كانوا أسرى عند المصريين وكذلك ما تبقى عليه من أموال الفدية التى تم الاتفاق على دفعها بعد معركة المنصورة والتى أسر فيها لويس التاسع LOUIS IX ودفع جزء منها فورا لاطلاق سراحه ويدفع الباقى قبل اطلاق سراح باقى أسراه وذلك نتيجة اتفاقية مع شجر الدر زوجة ايبك التى كان لها نفوذ كبير ٠

ولكن جاء تدخل الخليفة العباسى فى الوقت المناسب الذى حسم النزاع بين الطرفين المتنازعين (٣) مخيبا لآمال الصليبيين ، واضطر لويس التاسع أن يعود الى بلاده بعد فشله فى تغير الأوضاع السياسية فى فلسطين ، وحرمان المسلمين من الحصول على نتائج نجاحهم الاستراتيجى بعد أن كاد ينجح سياسيا

---

(١) المقريزى ، خطط ، ١ ص ٤٠٧ ــ ٤١٧ ،
أبو المحاسن ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، لوحة (مخطوط دار الكتب)
(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٦ ص ٣٦٨ ٠
(٣) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٨٥ ــ ٢٨٦ ،
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٠ ٠

فى التفرقة بين المسلمين (١) ، وتدعم مركز الصليبين منها عام ١٢٥٤/٦٥٢ ومع ذلك فقد استطاع باقامته هناك أن يرفع الروح المعنوية بين الصلسين فى الشام بعد انقطاع سبل الامدادات العسكرية عنهم من أوروبا ٠

ولقد تلت الفترة بين رحيل لويس التاسع الى تولى بيبرس السلطنة على مصر والشام ان ساد الهدوء والمسالمة بين الصليبيين والمسلمين بسبب انشغال كل فريق منهم بمشاكله الداخلية . نجد الموقف من هذا الهدوء لم يلبث أن تبدل تماما فى عهد بيبرس وخلفائه ، حيث نمت الاستراتيجية العسكرية المصرية نحو الصليبيين فى الشـــام قد أخذت طابع العنف والقســـوة وذلك لتعاون الصليبيين مع مغول فارس ضد المماليك حيث كانوا قد اجتاحوا الشرق الاسلامى منذ أيام جنكيز خان زعيمهم ، بل يزيد على هـــذا أنهم كانوا يعملون كادلاء ومرشدين لجيوش المغول المغيرة على الاراضى الشامية وقد ساعدهم على ذلك موقعهم الجغرافى فى الشام ، الذى اتاح لهم معرفة تحركات الجيوش المصرية الشامية ، واحاطة المغول علما بها بما ساعدهم على أحباط خطط المسلمين فى كثير من الأحيان ٠ ولم يقتصر الأمر على ذلك النحو ، بل نجد أن بعض الامارات الصليبية قد سمحت لعدد من الحاميات المغولية ان تفرض ارادتها على الصليبيين فى كثير من الأحيان ، وصارت تملى عليها ارادة الخان المغولى المقيم فى تبريز ٠

وعلى ذلك فان الحركة الماكرة من جانب الصليبيين فى الشام كانت هى السبب فى انماء الاستراتيجية المملوكية وهى استراتيجية القوة التى أخذ بيبرس وخلفاؤه فى تطويرها نحو الصليبيين ، اذ أن الرد الطبيعى للتفكير العسكرى هو طردهم أو حتى قفل الحدود معه فى حالة العجز عن طرده حتى لا يراقبوا الجيوش المصرية بواسطة الفرنج لصالح التتار ٠ وقد صمم المماليك على طرد الصليبين من الشام وهى ما تسمى استراتيجية العنف أو القوة حاليا ٠

ولقد بدأت الحرب مع الصليبين على شكل مناوشات محلية ، حيث ذهب بيبرس بنفسه (٢) الى الشام عام ١٢٦٣/٦٦٠ ، وكانت تحركاته تدل على أنه يتفقد قواته ويعيد توزيعها توزيعا استراتيجيا خاصا (٣) . عندما سارعت اليه

---

(١) من الممكن أن تنجح قوات تكتيكا وتفشل استراتيجيا مثل حرب فرنسا فى الهند الصينية وكذلك العدوان الثلاثى على مصر وأفضل مثل على هذا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث نجحت القوات الاسرائيلية فى فتح الثغرة نجاحا تكتيكيا باهرا وفشلت فشلا استراتيجيا ذريعا فيها ولنا مؤلف فى هذا المجال بالقوات المسلحة المصرية باسم « أسلوب ودراسة التاريخ العسكرى وفن الحرب » ٠

(٢) الفضل ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ١٩٢ ـ ١٩٥ ؛
المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٨٤ ـ ٦٠٠ ٠

(٣) تدل تحركات بيبرس فى تفقده على القوات واعادة توزيعها من وجهة نظر العلم العسكرى بأنه كان يقوم بعملية تقدير الموقف من ناحية دراسة الموقف يصاحبها اعادة تنظيم وتشكيل للقوات ـ التشكيل المناسب لمواجهة المعركة أو ما يسمى التوزيع الاستراتيجى للمعركة ٠

وفود الامارات الصليبية فى الشام تطلب منه السلام والمهادنة*، حيث قابلها بمنتهى القسوة مما يدل على تصميمه على القتال (١) • ثم دخل بيبرس فى غزوات حربية واسعة النطاق ضد الامارات الصليبية الساحلية فاستولى على مدينة قيساريه (٢) ثم على مدينة أرسوف (٣) فى جنوبها • وفى السنة التالية هاجم بيبرس قاعدة استراتيجية هامة فى الشام ، وهى « قلعة صفد » (٤) التى كانت القاعدة الأساسية لفرسان الداويه ، وقام قتال عنيف تمكن بيبرس من الاستيلاء عليها ، وبذلك أصاب الصليبيين بضربه قاسية ، وحطم معنوياتهم الى حد كبير ، بدليل ان بعض القوى الصليبية سارعت الى عقد الهدنة مع السلطان بيبرس على أساس مبدأ المناصفة أو المشاركة معه فى غلات بلادهم ومنتجاتهم (٥) ، حتى أبرمت معاهدة بين بيبرس وملكه بيروت ازابيلا Sabella بنت الملك جون الثانى ابلين John II Ibelin والتى أطلقت عليها المصادر العربية اسم الدبون ، وهو تعريب لاسم البيت الحاكم فى بيروت D'Ibelin والتى خلفت ازبيلا اباها وفاته عام ٦٦١/١٢٦٤ فى الحكم على بيروت وجبالها — لبنان — باعتبارها ابنته الكبرى •

ولقد عقدت الملكة ازابيلا هدنة مع السلطان بيبرس وكان ذلك عام ٦٦٧/١٢٦٨ مدتها عشر سنوات ، ولقد أورد القلقشندى نصوص هذه الهدنة والتى تبين حدود مملكة بيروت ونواحيها بجانب الدلالة على ما كان للسلطان بيبرس من نفوذ فى تلك البلاد (٦) ويضيف المؤرخ ابن الفرات فى تاريخه ان هذه الملكة كانت كلما عزمت على السفر ومغادرة بيروت ، ذهبت الى السلطان بيبرس بنفسها واستودعته بلادها الى أن تعود (٧) • ونجد فى هذا أوضح مثال على اظهار نتائج السيطرة الاستراتيجية بمعنى أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا خارج حدود بلادها دون استشارته للمماليك البحرية وكل ذلك يعنى السيطرة على البلاد المجاورة •

---

(١) رد بيبرس على رسل الصليبيين « ردوا ما أخذتموه من البلاد وفكوا أسرى المسلمين جميعهم فانى لا أقبل غير ذلك » ؛
أنظر المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٤٨٥ — ٤٨٦ •
(٢) الظاهرى ، زبده كشف الممالك ص ٢٨ ، ١١٧ •
(٣) العمرى ، مسالك الأبصار ، ٥ ص ١٦٦ •
(٤) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٤٨ ؛
العينى ، عقد الجمان ، ١/٢٣ ق ٥٤ •
(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٤٢ — ٥١ ؛
أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٥ •
(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٩ وما بعدها •
(٧) تاريخ ابن الفرات ، ٧ ص ٣٥ ، تحقيق قسطنطين زريق ؛
Runciman, A history of Crusaders, Vol. III, p. 324, 343.

واستطاع بيبرس فى طلائع سنة ١٢٦٨/٦٦٦ ان يستولى على مدينة يافا فى أقصى الجنوب ، ثم وجه ضربة حاسمة فى نفس السنة الى أهم امارة صليبية وهى انطاكية فى أقصى الشمال الشرقى ، فيروى المؤرخون انه هاجمها بثلاث فرق الفرقة الاولى المملوكية اتجهت الى ميناء « السويدية » (١) لتقطع الصله بين انطاكية والبحر ـ قوة عزل وهى ما يعرف عنه حاليا قوة لفصل وعزل وحصار قوات الأعداء عن أى امدادات من قوات أو تموين ، والفرقة الثانية سدت الممرات بين قليقيه والشام ومنعت الامدادات من ارمينه الصغرى ـ قوة منع وتطويق وهى ما تعنى فى الاصطلاح العسكرى الحالى قوة لمنع وتطويق وعزل قوات العدو وصد أى تحركات له والفرقة الثالثة وهى القوة الرئيسية بقيادة بيبرس ـ قوة الضربة وهى ما تعنى استراتيجيا القوة الرئيســية التى تقوم بمهاجمة العدو وتدميره والقضاء عليه واحتلال مواقعه وقد هاجمت المدينة نفسها واستولت عليها فى رمضان سنة ١٢٦٨/٦٦٦ ولقد بلغ من كثرة الغنائم التى غنمها المسلمون من انطاكية (٢) ان قسمت النقود بالطاسات كما بلغت من كثرة الأسرى انه لم يكن هناك غلام الا وله غلام ٠٠ وبيع الصغير باثنى عشر درهما ، والجارية بخمسة دراهم (٣) ٠

ولقد بين قرار بيبرس الخاص بخطته الحربية نحو انطاكية من وجهه النظر الاستراتيجية العسكرية طبقا لما جاءت به المصادر المعاصرة والتى تتناول عادة الخطط الحربية المملوكية وأوضحت عن تشكيل القتال الاستراتيجى مثلما أورده « محمد بن منكلى » مبدع الفن الحربى المملوكى فى كتــابه « الأدلة الرســمية فى التعابى الحربية » حيث أوضح هذا المؤرخ عن ترتيب التعابى الهندسية وهى التى أوضحناها سابقا برسومات مملوكية دقيقة ويقصد التشــكيلات القتالية بنص واضح لشكل التعبية ـ تشــكيل القتال أو ما يســمى بالتعبير المملوكى « المتماطره » (٤) ـ وعلى حسب تعبيرهم ان قلوا أو كثروا من شروط أصحاب هذه التعبية أن يتباعدوا عن اخوانهم لتخليص رماحهم وليكن الشجعان الكهول أمام وخلف ، والشبان فى الوسط لئلا يصبح الشــبان فى ذهول ويتقهقروا ٠ وكانت معركة انطاكية أوضح مثال طبق فيه بيبرس ـ كما أشار اليه المؤرخ بن منكلى فى كتابه ـ ما ذكره عن تشكيلات القتال فى هذا المجال ٠

ولقد أظهرت خطة الهجوم على انطاكية من التخطيط الاستراتيجى وأوضحت مدى ما وصل اليه الفن الحربى فى رقى الاستراتيجية العسكرية المملوكية ولقد

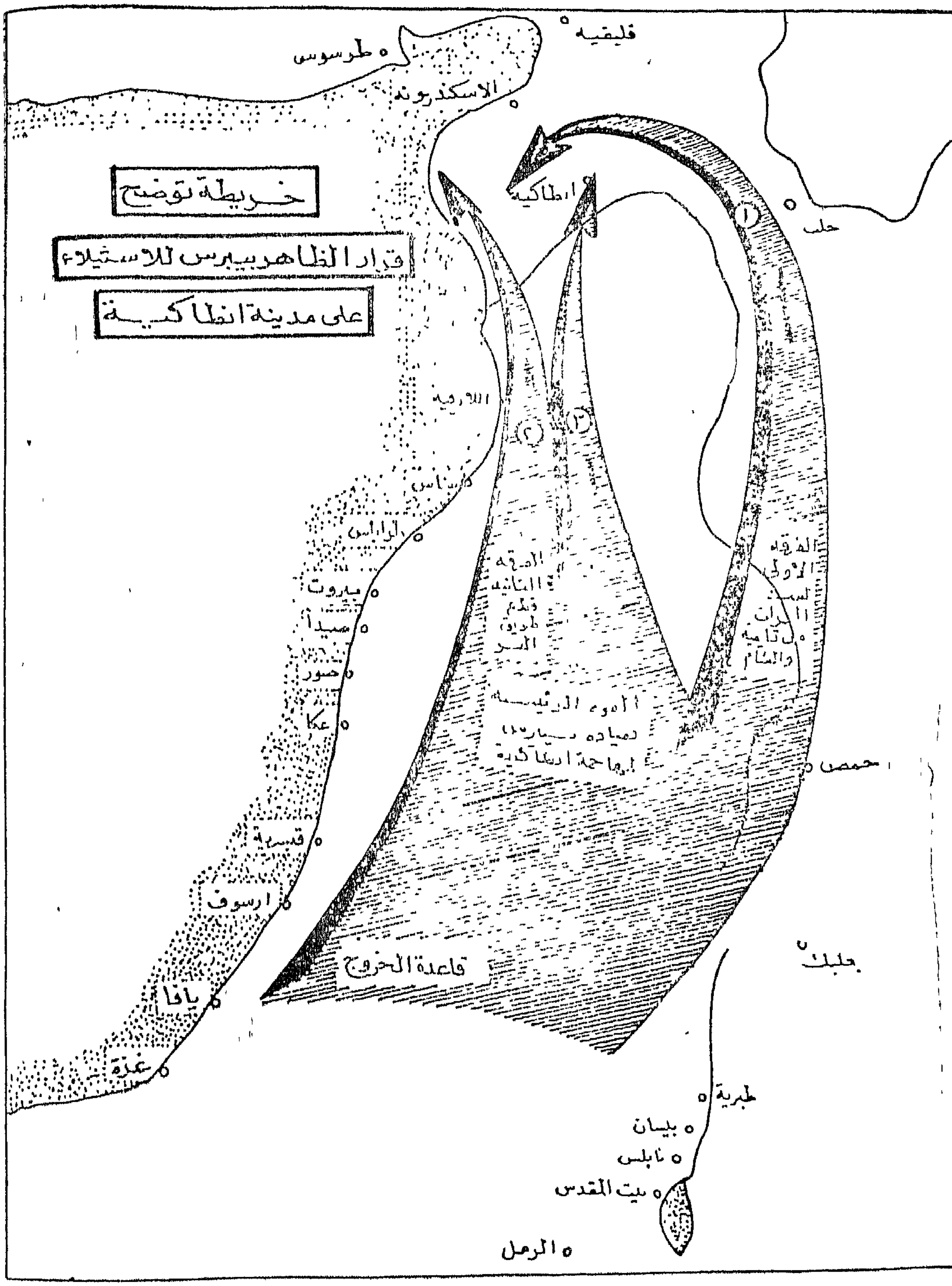
---

(١) العمرى مسالك الابصار ، ٥ ص ١٦٦ ٠

(٢) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٦٨ ؛

(٣) Runciman, A history of the Crusaders, Vol. III, p. 342-346.

(٤) محمد بن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط ، ورقة ٢١ ٠



صممت طبقا للمادة في الآتي:
١- كتاب الأدلة الرسمية لابن منكلي
٢- كتاب النجوم الزاهرة لأبي المحاسن

ظهر فى قرار الظاهر بيبرس الذى جعل يافا نقطة انطلاق بعد الاستيلاء عليها وهو ما يعرف حاليا بالتخطيط والتجهيز الاستراتيجى للمعركة ـ حيث اتخذها كقاعدة لتقدم القوات ، وللقيام بحركة الالتفاف والتطويق من الجناحين الأيمن والأيسر من تشكيل القتال المكون من ثلاثة اتجاهات وابقى القوة الأساسية فى الوسط ، وهو تشكيل قتال فى ثلاثة اتجاهات لعزل الهدف من اتجاهين ومهاجمته فى الاتجاه الثالث ـ (كما أوردها ابن منكلى ما يسمى تعبئة المماطرة ـ واستطاعت قوات الأجناب ـ الجناحين من القيام بحركة تطويق كاملة للمدينة (انطاكية) وعزلها من أى امداد بحرى أو برى ـ وهو مدى الرقى فى تطبيق التخطيط الاستراتيجى فى المعركة .

ويجدر بنا فى هذا المجال من دراسة قرار بيبرس فى المعركة ودراسة مدى تطبيق مضمون هذا القرار على أسس وقواعد الاستراتيجية الحديثة ، فلقد كان قراره هو التقدم فى ثلاثة اتجاهات :

(أ) الاتجاه الأول (قوة العزل) وتتقدم الى ميناء السويدية لقطع الطريق بين انطاكية والبحر وتمنع وتدمر أى محاولة امداد تقوم بها قوات العدو عن طريق البحر (تسمى حاليا عمليات صد الانزال البحرى) .

(ب) الاتجاه الثانى (قوة المنع) وتقوم بالتقدم وسد ممرات بين قليقية والشام بهدف منع امدادات أو معونة يمكن أن تصل الى انطاكية عن طريق أرمينيا الصغرى .

(ج) الاتجاه الثالث (القوة الضاربة) وهى القوة الرئيسة بقيادة بيبرس نفسه وتقوم بمهاجمة المدينة والاستيلاء عليها وتدمير أى قوات للعدو لها بها على أن يبدأ الهجوم للقوة الرئيسية بمجرد وصول مجموعتى القطيع والمنع الى أماكن تمركزها .

ولقد نجحت القوة الرئيسية فى الاستيلاء على المدينة وتدمير مقاومة العدو بها والاستيلاء على عدته وعتاده وأسر أفراده (١) . وكان تأثير سقوط انطاكية كارثة كبيرة على القوة الرئيسية للقوات الصليبية ، حيث انها بحكم موقعها تعتبر سندا قويا للدولة الصليبية منذ أوائل الحروب الصليبية وأماكن تمركز احتياطى قواتها الاستراتيجية . ولقد أشارت المصادر المعاصرة الى الرسالة التى كتبها بيبرس الى أمير بوهمند السادس Bohamand الذى كان مقيما وقتئذ فى امارته الثانية طرابلس فى جنوب انطاكية ـ وكانت رسالته مليئة بعبارات السخرية والتهكم ، ويمكن منها استنتاج ما وصلت اليه أحوال الصليبيين من

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٦٨ ؛
Runciman, A history of the Crusaders, Vol. III, P. 324-343.

ضعف مما أدى لتوجيه أمال هذه العبارات اللاذعة الى صاحب أكبر امارة صليبية في الشام في ذلك الوقت (١) .

ثم بدأ بيبرس في مهاجمة طرابلس ، واستولى على المنافذ المؤدية الى المدينة وكذلك الحصون المحيطة بها ومن أهمها حصن الاكراد ، وحصن عكا ، ولكن كانت هناك أنباء بخروج الحملة الصليبية الثامنة من فرنسا بقيادة لويس التاسع ، ولم نعرف وجهتها ، مما جعله يترك حصاره لطرابلس ويسرع الى مصر وبذلك أنقذت طرابلس (٢) ، لذلك عاد بيبرس ادراجه مسرعا الى مصر بقصد التعبئة والاستعداد في الموانى والثغور المصريه حتى لا يعيد لويس التاسع قصة المنصورة مرة أخرى .

ومن المحتمل ان ملك فرنسا كان يريد أن يكون اتجاه الحملة الصليبية نحو عقر دار المعاقل الاسلامية في المشرق الاسلامى ، لولا أن أخاه شارل دى انجو Charles De Anego الذى كان ملكا للزمان وهو ايضا على جزيرة صقلية أراد استخدام تلك الحمله في تدعيم ملكة ، وذلك بالاستيلاء على مملكة تونس الاسلامية التى كانت تحت حكم الحفصيين فى ذلك الوقت . ولقد أشار المؤرخ التونسى ابن أبى دينار أن أسباب تلك الحملة هو الانتقام الشخصى (٣) .

والواقع أن السبب في الحقيقة يرجع الى أهمية تونس بالنسبة لصقلية والى تهديد المملكة التونسية لملكه في صقلية التى كان يحكمها شارل أخو الملك لويس التاسع كما هو معروف ، ويكفى في هذا الصدد أن نشير الى أن غزو المسلمين لصقلية قد تم من تونس فى عهد الأغالبة على يد قاضى القيروان أسد ابن الفرات سنة ٢١٢/٨٢٧ ، وكل هذا يفسر مدى خطورة موقع تونس بالنسبه لصقلية ، لذا فقد نجح شارل فى اقناع أخيه لويس بتحويل تلك الحملة الى تونس والتى من الممكن كذلك أن تكون مصدرا من مصادر التهديد مثل مصر وذلك من جهة الغرب كما فعل الأجداد .

ولكن لم تكد مراكب الفرنسيين تصل الى الشواطىء التونسية حتى أصيب الملك لويس التاسع بحمى شديدة مات على أثرها وتولى أخوه شارل قيادة الحملة ، فأخذ يسيرها وفق أغراضه حتى أزال عنها صفتها الصليبية ، وانتهى أمر هذه الحملة باجراء مفاوضات مع الخليفة الحفصى الملقب بالمنتصر الذى تعهد بدفع مبلغ من المال مقابل انسحاب الفرنسيين وهكذا عادت الحملة تجر اذيال الخيبة بتلك القيمة المالية الضعيفة (٤) .

---

(١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٤٧ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، ص ٢٦٩ ؛ انور زقلمه ، المماليك فى مصر ، ص ٣٧ .

(٣) ابن أبى دينار ، المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، ص ١٢٩ .

(٤) جوزيف نسيم ، العدوان الصليبى على مصر ، ص ٦٠ .

أما عن السلطان بيبرس فبعد أن اطمأن على نتائج الحملة الصليبية وعدم وصولها الى مصر حيث غادر مصر الى الشام وعاد الى مقابلة الصليبين فى طرابلس من جديد عام ٦٦٩/١٢٧١ ، فأرسل اليه أميرها بوهمند السادس يطلب الصلح والمسالمة وذلك فى الوقت الذى وصلت فيه حملة صليبية انجليزية بقيادة الأمير ادوارد الى عكا فأجاب السلطان بيبرس صاحب طرابلس على طلبه وعقد معه صلحا لمدة عشر سنوات (١) ٠ ومن الطريف ما ترويه المصادر الاسلاميه فى هذا الصدد من أنه فى أثناء المفاوضات التى دارت بين رسل بيبرس وبوهمند السادس ، ان بيبرس نفسه كان مندسا بين أعضاء الوفد الممثل لبلاده ومتنكرا فى زى خادم لكى يتاح له حرية التنقل بين حصون طرابلس ، ومعرفه مواضع القوه والضعف منها تمهيدا لفتحها فيما بعد ، وان كان قد اشترط فى الصلح ان موت أحد الطرفين المتعاقدين ينقض ما أبرم من صلح بينهما واستمر على هذا الحال الى وفاة بيبرس ٠

ولقد وضح جليا المهارة الحربية التى أظهرها بيبرس فى تطبيق الفن الحربى حيث استخدم استراتيجية الخرسوفة كما يطلق عليها الكتاب العسكريون فى وقتنا الحالى حيث يشبهون الأهداف العسكرية مثل نبات الخرشوفة ، يقطعون ورقة كلما سنحت لهم الفرصة الى أن يبقى الثمار بدون ورق وجاهز للطهى ٠

★ ★ ★

كذلك ظهرت الاستراتيجية العسكرية للجيش المصرى فى العصر المملوكى بصورة واضحة فى المعارك مع المغول قبل معركة عين جالوت وبعدها وذلك بقصد استمرار الجهود القتالية لمكافحة أخطارهم ، حيث واجه السلطان بيبرس منذ بداية حكمة مشكلة مغول فارس ذلك لأن خطرهم كان واضحا تماما ولا سيما بعد موقعة « عين جالوت » والتى كانت بداية النهاية لامكانية عقد صلح معهم حيث توضح تسلسل الأحداث فى المعركة مدى ما وصلت اليه من توتر العداء خاصة بعد ان كانت أول هزيمة تلحق بالمغول فى هذه الفترة وكانت على يد الجيش المصرى بجانب استراتيجية الخطة التى وضعها قطز والتى حققت انتصارا كبيرا وأظهرت مكانة الجيش المصرى بين الدول الاسلامية بصفه خاصة ودول العالم بصفه عامة والتى سبق أن أوضحناها فيما سبق ومع ذلك لم ينس بيبرس الكلمات الجريئة القوية التى فاه بها كتبغا ـ قائد هولاكو ـ المهزوم وجهره قبل مصرعه على يد قطز وهى « انى وان هلكت على يدك ، فانى أعلم أن الله لا أنت هو الذى أراد قتلى ، فلا تنخدع بهذا النصر المؤقت ، لأنه لا يكاد يصل الى هولاكو خان خبر موتى حتى يغلى غضبه كالبحر المضطرب ، فتطأ

(١) المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ، ص ٥٦٨ ٠

أرجل الخيل المغولية أرض البلاد من اذربيجان الى أبواب المصر (١) ٠

ثم لقد ازداد هدا الموقف خطورة عندما ارنبط الحطر المغولى بخطر الصليبيين الذين حاولوا استماله المغول ومحالفتهم طمعا فى نشر المسيحية بينهم والاستعانة بهم فى عزو مصر والشام وهنا تظهر القدرة الفائقة فى التحالف الاستراتيجى لبيبرس وهـو يعنى توافقا وتعاونا اسـتراتيجيا فى شكل حلف واتفاق مع الاستفادة من جميع امكانيات الدول الحليفة فى تدمير عدو مشترك فى مجابهة هذا الموقف ، حيث تحالف مع مغول القفجاق والتى تقع جنوب روسيا وتزوج ابنة زعيمهم بركة خان الذى اعتنق الاسلام وأعلن حربا على بنى جنسه مغول فارس ٠

ويظهر هذا بجلاء فى الرسالة التى بعث بها السلطان بيبرس عام ٦٦١/١٢٦٣ ويقول فيها « فليعلم السلطان اننى حاربت هولاكو الذى من لحمى ودمى لاعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام (٢) ٠

ولم يعتمد بيبرس على هذا التحالف الاستراتيجى فقط بل أخذ فى تحصين أطراف دولته لمواجهة دولة مغول فارس على نهر الفرات ، ولا سيما قلعة البيرة (٣) التى زودها بمعدات تكفيها لمقاومة الحصار لمدة عشر سنوات كى تظل شوكة فى جنب المغول فى هذه الجهة الشرقية كذلك عمل على افساد الطرق والوديان المؤدية الى الشام كى لا يجد المغول أثناء زحفهم ما يحتاجون اليه من أقوات وأعشاب لدوابهم (٤) ٠ وهـذه هى أعلى درجات الرقى فى التفكير الاستراتيجى لتحقيق أسس الفن الحربى ــ وهى الاجراءات والتحضيرات قبل الخوض فى المعركة أو ما يسمى التنبؤ بمتطلبات سير المعركة ٠

ولقد مات هولاكو عام ٦٦٣/١٢٦٥ وبالطبع لم يؤثر موته فى طبع التتار على تحقيق ما بدأه هولاكو من التقدم نحو غزو دولة المماليك فى مصر والشام ، بل ان الخان الجديد واسـمه أباقا أو أبقا فى فترة الأعوام ٦٦٣ ــ ٦٨٠ / / ١٢٦٥ ــ ١٢٨٢ زاد من سـياسـة أبيه هولاكو ، واهتم بمسـألة التحالف مع الصـليبيين حيث كان يعطف على المسـيحيين ويتبادل السـفارات والهدايا مع البابوات وملوك أوربا ٠ وكان الهدف المشـترك من تلك المفاوضـات هو تنظيم حملة مشتركة للقضاء على دولة المماليك والاستيلاء على بيت المقدس ٠ ولقد ظهر أثر هذا التحالف واضحا عندما انتهز أباقا خان فرصة انشغال بيبرس بمحاربة الصليبيين للاغارة على الحدود الاسلامية ، مثل ما حدث عندما أغارت الجيوش

(١) رشيد الدين فضل الله الهمزانى ، مؤرخ المغول الكبير ، تحقيق فؤاد الصياد ، ص ٥٥ ٠

(٢) العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ص ٤٩٤ (الجزء الخـاص بحـوادث ٦٥٦ ــ ٦٧٣ هـ) ٠

(٣) نفسه ، نفس المصدر والجزء ، الصفحة ٠

(٤) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٧٤ ٠

المغوليه على مدينة الرحبة ، فى الوقت الذى كانت فيه جيوش بيبرس تهاجم الصليبيين .

وفى هذا الجو العدائى حاول أباقا خان ان يفرض سيطرته على دولة المماليك عن طريق الدبلوماسيه حيث أرسل الى الظاهر بيبرس رساله يعترض ويطلب من بيبرس الخضوع والرضوخ « فأنت لو صعدت السماء أو هبطت الى الارض ماتخلصت منا ، فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحا (١) » ولكن هذه اللهجه لم تعجب بيبرس حيث رد على الرسول المغولى بقوله « اعلمه انى وراءه بالمطالبة ولا أزال انتزع من يده جميع البلاد التى استحوذ عليها من البلاد الحليفة وسائر أقطار الأرض (٢) » ثم توجه بيبرس عام ١٢٧٢/٦٧٠ لملاقاة التتر فى أرضهم ، فحمل معه عدة مراكب مفككه الاجزاء على ظهور الجمال ، وانزلها فى نهر الفرات لتعبر عليها جيوشه واستطاع بيبرس وجنوده عبور النهر والانتصار على الجيوش المغوليه ومطاردة فلولها فى الارض العراقيه عام ١٢٧٣/٦٧٢ .

ولقد أدى نجاح بيبرس فى حملته الى جذب عدد من كبار رجال الدوله المغولية الى جانبه ، اذ يروى مؤرخ المغول رشيد الدين « ان اباقا خان أتهم الاسرة التى كانت تحكم العراق فى عهده بتهمة الانصال بملك مصر بتبرس ، والاتفاق معه على تسليم العراق له ، ومن بين هؤلاء المؤرخ ملك الجوينى الذى عين من قبل المغول حاكم العراق ، وأخوه ووزيره شمس الدين محمد ، وأبناؤهم كلهم أهل فضل وأدب ، وارباب جود وكرم . وكانت مجالسهم محطا للأدباء والكتاب والشعراء ، بذلوا كل مافى وسعهم لتعمير ما خربه المغول ، ولم يتأخروا عن تنفيذ كل ما هو نافع صالح (٣) ، وهى تشبه نكبة البرامكة أيام هارون الرشيد ، الا أن بيبرس استطاع أن ينتصر على أعدائه فى هذه الجبهة وأن يؤمن حدوده الشرقية استراتيجيا من خطر المغول .

ولم ينته الصراع بين دولتى المغول والمماليك عند هذا الحد ، اذ سرعان ما انتقل الى ميدان آخر فى الشمال من بلاد آسيا الصغرى حيث أراد بيبرس تأمين الجبهة الشمالية بعد أن أمن الجبهة الشرقية وبالتالى استطاع أن يؤمن حدوده الشمالية الشرقية المتاخمة لبلاد السلاجقه الروم فى آسيا الصغرى وهى استراتيجبة تأمين جميع الجهات المهددة .

ولقد كانت هذه البلاد تابعة للمغول منذ أن انحاز ملوكها الى هولاكو ، وكانت مقاليد الحكم فيها بين الوزير المعين الدين سليمان البرواناه (٤) ، وكان

---

(١) المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٥٧٤ .

(٢) العينى ، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ص ٥٤٩ .

(٣) فؤاد الصياد ، مؤرخ المغول رشيد الدين ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) البرواناه لفظ فارسى معناه الحاجب .

يعمل الى جانب أصحاب السيادة فى البلاد وهم المغول ، فلما تغلب بيبرس على المغول مال البرواناه الى جانب المنتصر ، وأخذ يراسل بيبرس معلنا انضمامه اليه فتقدم بيبرس بجيوشه الى آسيا الصغرى ، وانتصر على الجيوش المغولية انتصارا ساحقا عند بلدة ابلستين أو ابلستان (١) ٠

ثم دخل بيبرس مدينة القيصرية عام ٦٧٥/١٢٧٧ بعد أن تسبب فى أن يفقد المغول ما يقرب من ٧٠٠٠ نفس عند استيلائه على عاصمة الروم حيث نزل بدار السلطنة وجلس على عرش السلاجقة الروم وخطب له على المنابر واستقبله الأهالى استقبالا حافلا ثم عاد بيبرس الى الشام (٢) ٠

ولا شك أن هذا السلطان العظيم استطاع بأعماله واصلاحاته الواسعة وما أظهره من فن الحرب واستراتيجيته العسكرية الحازمة أن يحول دولة المماليك من دولة ناشئة الى دولة قوية مدعمة الأركان ، مما ساعد وأدى الى تمهيد الطريق بعد ذلك لخلفائه من بعده كى يتموا رسالته وينفذوا ويحققوا أهداف الدولة الاستراتيجية وهو القضاء على المغول والصليبيين وتأمين الاسلام والمسلمين من أى أخطار تهددهم والحفاظ على الحضارة الاسلامية حيث أصبح لمصر الزعامة العسكرية منذ معركة « عين جالوت » ٠

★ ★ ★

وعلى هذا الخط الاستراتيجى الحازم الذى صار عليه السلطان منصور قلاوون الذى تولى بعد بيبرس ، ورسم خطاه فى مكافحة هذين الخطرين الأساسيين فانتصر على المغول فى حمص عام ٦٧٠/١٢٨١ كما انتصر على الصليبيين وحصل على امارة طرابلس عام ٦٨٩/١٢٨٩ ، ثم خلفه أولاده على التوالى الأشرف خليل ابن قلاوون الذى استولى على الامارة الباقية للدولة الصليبية فى الشام وهى امارة عكا سنة ٦٩١/١٢٩١ حيث انهى المشهد الأخير من الفصل الختامى من تاريخ الحروب الصليبية فى الشام ، ولقد تولى بعده الناصر محمد بن قلاوون الذى انتصر على مغول فارس عند بلدة الصفف جنوب دمشق عام ٧٠٣/١٣٠٣ وقد عقد مع ملكهم أبى سعيد خان صلحا نهائيا ، انهى العداء بين مصر والشام ومغول فارس (٣) ٠ وأكمل تحقيق استراتيجية مصر العسكرية ٠

★ ★ ★

---

(١) تقع ابلستين فى شرق مدينة قيصرية ٠

(٢) تاريخ بن الفرات ، ٧ ص ٨١ ـ ٨٣ ؛
فؤاد الصياد ، مؤرخ المغول رشيد الدين ، ص ٥٨ ـ ٥٩ تاريخ ابن الفرات ، ٧ ص ٨٥ ـ ٨٧ ـ حيث انتشرت روايات المؤرخين حول أسباب وفاته ، ويعتقد البعض انه مات مسموما ؛ نفسه ؛ نفس المصدر والجزء ، ص ٩٢ ـ ٩٣ نشر قسطنطين زريق

(٣) ابن اياس ز ، بدائع الزهور ، ١ ص ٢٦٧ ٠

هذا ما كان من عظمة الاستراتيجية العسكرية للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى والذى تضمن مدخلا عن الفن الحربى فى هذا العصر والتجهيزات لقتالهم ثم انتقلنا الى التشكيلات القتالية وأوضحنا تكتيكات الجيش فى معاركه ومنها أوضحنا كلا من أجهزة الاسطلاع والمواصلات للجيش المملوكى وأثر ذلك على الفن الحربى وكان لابد لنا من الانتقال الى ظهور البارود والاسلحة النارية وأثر ذلك أيضا على الفن الحربى والتى أظهرت استراتيجية هذه المعارك سـواء مع الصليبيين أو مع المغول ٠

الخاتمة

من دراستنا السابقة لموضوع الفن الحربى فى عصر ســـلاطين المماليك البحرية وجدنا أن الأصل فى ظهور دولة سلاطين المماليك البحرية فى مصر قام على أساس دعائم شرعية استندت على منطق القوة وتحقيق النصر على أعداء الدولة الاسلامية وأن استمرارية الحكم المملوكى الأول اعتمد أساسا على تطهير الدولة الاسلامية من أعدائها وأعداء الدولة الاسلامية ، ثم وجدنا التدريب القتالى والتربية والنشأة المملوكية كانت من أعظم النظم العسكرية لانشاء جيل محارب تستطيع الدولة أن تعتمد عليه فى تحقيق أهدافها الاســتراتيجية وحماية مصالحها من التدخل الأجنبى فبها حتى استطاعت دولة ســـلاطين المماليك البحرية تحقيق النصر على أعداء الدولة الاسلامية فأصبحت مصر شبه مؤسسة عسكرية نتيجة للأخطار التى حاقت بدولة المماليك بصفة خاصة والدولة الاسلامية بصفة عامة .

ومن هـــذا يمكننا أن نخرج بانه يمكن التفكير فى تطوير نظـم التعليم العسكرى ومراحله بأسلوب مشابه لأسلوب التعليم والتدريب فى العصر المملوكى البحرى وأن اختلفت طبقا للظروف الاجتماعية ، بحيث تبدأ الدراسة من سن مبكرة فى مراكز تعليم وتدريب عسكرية تكون فيها الدراســـة لمراحل التعليم المختلفة بجانب التدريب العسكرى لينشأ فيها الشاب حياة عســـكرية بجانب دراسته للعلوم الأخرى حيث يتخرج وهو مقاتل على مستوى علمى متخصص عال ، وبهذا يكون الأساس فى استراتيجية الردع للدولة وهى استراتيجية خلق قوة يهابها العدو .

وحيث كان مفهوم الفن الحربى من استراتيجية وتكتيك وشـــئون ادارية فى عهد المماليك البحرية ومنها وجدنا الاستراتيجية فى عصر سلاطين المماليك

البحرية كانت استراتيجية الردع وهى أحدث نظريه عسكرية فى وقتنا الحالى والتى يجب أن تكون منطلقا لاستراتيجية مصر فى المستقبل وهى تنطبق تماما على ما جاءت به العقيدة فى الاسلام ثم أن التكتيك والشئون الادارية سواء اكانت من تشكيلات عسكرية للقوات أم امداد هذه التشكيلات بالشئون الادارية سواء قبل المعركة أو أثناءها كانت تنطبق على أحدث نظريات مازالت تستخدم فى وقتنا هذا وان اختلفت الوسـائل والمعدات ومع ذلك فلقد أشـار كثير من الكتاب ان التشكيلات القتالية فى هذا العصر مرتبطة بما يسمى روح العصر وهذا خلاف ما أشرنا اليه فى بحثنا حيث وجدنا انهم صمموا هذه التشكيلات بأسس علمية سليمة .

وكذلك أثبت تاريخنا ان استخدام البارود فى الحروب كان أول استخدامه فى العالم كله بواسطة المصريين فى عصر سـلاطين المماليك البحرية فى معركة المنصورة كما ثبت فى متن البحث من أقوال المؤرخين الغربيين المعاصرين والذين اشتركوا فى هذه المعركة (شـهود عيان) بجانب ما وجدناه من الأسـلحة والأسـلحة النارية المكاحل (المدافع) والتى اسـتخدمت فى العصر المملوكى البحرى وهو موجود فى المتحف الحربى الآن ، لذا نقترح تشكيل لجنة أخرى من المؤرخين المتخصصين وعلماء الآثار ورجال القوات المسلحة لتصنيف وابراز هذه الأسلحة حتى لا يدفن هذا الكنز القومى . وكذلك وجدنا ان النظام العسكرى نظام أسرى سواء كانوا جند سلطانية أو جند حلقة أو جند أمراء أو فرق مساعده فى قالب نظام عسكرى ـ الذى حقق أفضل سـيطرة على القوات وان التركيب للقوات المصرية فى عصر سلاطين المماليك البحرية حقق أكبر قيادة وسيطره على قوات الدولة أو قوات المؤسسة العسكرية وأخيرا نتج عن هذا النظام العربى والذى مازال تحت الدراسة لأكبر القادة فى العصر الحالى للوصول الى أفضل نتائج فى تحقيق لاستراتيجية الردع سواء فى دراسة أسـلوب التخطيط للحروب عند المصريين فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية أو فى الأسـاليب التطبيقية للمعارك التى حققت النصر لها وذلك نتيجة الأسس الثابتة لاستراتيجيه الدولة العسكرية بأسلوب علمى استمر بعد ذلك طوال هذا العصر .

ملاحق البحث

ملحق

كشف بالمصطلحات العسكرية والوظائف التي وردت في العصر المملوكي المصري

(أ)

أتابك (أطابك) :

مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكي

(القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨)

أجناد الحلقة :

محترفو الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهم أقرب فئات المماليك الى الجيوش النظامية فى العصور الحديثة ، ومرتباتهم من ديوان الجيش .

أسباسلار (أسفهسلار) :

لقب من الألقاب الخاصة بأمراء الطبلخاناه فى عصر المماليك ، على أن هؤلاء الأمراء لم يلبث ان أعرضوا عن هذا اللقب عندما وجدوا أن العامة يطلقون على بعض من يقف بباب السلطان من الأعوام .

(القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٦ ص ٧ ـ ٨)

الأستادار :

وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشيه والغلمان . وله مطلق التصرف فى

استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم ٠

(القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٠ ، ٥ ص ٤٥٧ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٨ ص ٢٣٢ حاشيه ١)

أســـتاذ :

معلم ، أطلقت فى المصطلح المماليكى على السيد الذى اشترى المملوك بالمال وتعهده بالتربية حتى كبر وأعتقه ٠ وكانت رابطة الأســـتاذية ـ التى تربط المملوك بأستاذه ـ من أقوى الروابط فى نظام المماليك حتى أن كثيرا منهم نسبوا الى أساتذتهم ، فيقال مثلا ببيبرس البندقدارى نسبة الى أســـتاذه علاء الدين البندقدار ٠

الأســـطول :

مجموعه مراكب حربية مجتمعة ، أطلق أحيانا على مركب واحد فقط ، والأسطولى هو العسكرى الذى يعمل فى البحر ٠

(زياده ، السلوك ، ١ ص ٤٥٧)

أصحاب الأرباع :

الأرباع جمع ربع ، وهى أقسام أو أحياء المدينة الآهلة . وأصحاب الأرباع هم الخفراءالذين يقومون بحراسة تلك الاحياء ليلا ٠

الأطلاب :

الحرس الخاص لأمراء المماليك ، ويحملون سلاحا كالأجناد ٠

(أبو المحاسن ٠ النجوم الزاهرة ، ١٠ ص ٢٩ حاشية ٢)

اقامــة :

وجمعها اقامات ، ما يلزم الجند من المؤونة والعلف وغيرها . وربمايقصد بها ما ينزل به المسافر من خيام ولوازمها وما يتبعها من أمتعة السفر ٠

(زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٥٠ حاشية ٣ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٩ ص ٥٥ حاشية ٥)

أكديش :

جمعها أكاديش ، الرجل الخليط الذى لا ينتسب الى أصل واحد ٠ وكذلك الحصان غير الأصيل المستخدم فى حمل الأثقال ٠

أمير أخور :

وظيفة يقوم صاحبها بالاشراف على اسطبل السلطان أو الأمير ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات ٠

(زيادة ، السلوك ، ١ ص ٢٣٨ حاشية ٣)

أمير جانـــدار :

الأمير الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم الى الديوان ٠

(القلقشندى . صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٠ ، ٥ ص ٤٥٩)

أمير خمســة :

أصغر مرتبة من مراتب الأمراء ، ويعتبر أصحابها من كبار الأجناد ٠ كذلك كانت تمنح هذه الرتبة لأولاد الأمراء المتوفين من باب التشريف ٠

(القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٤ ــ ١٨)

أمير شـــكار :

موظف يقوم برعاية الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ٠ وكذلك كل ما يتعلق بالصيد وبحيواناته ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٦١

أميرطبلخاناه :

مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف فى مصر المملوكية ، صاحبها يلى أمير مائة مقدم ألف فى الدرجة ٠ وسمى أمير طبلخاناه لاحقيته فى دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئين ٠ ويطلق على أمير طبلخاناه أيضا أمير أربعين بمعنى أن يكون فى خدمته أربعون مملوكا وقد يزيد هذا العدد الى سبعين أو ثمانين ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٢٣٩ حاشية ١

امير عشرة :

مرتبة حربية يكون فى خدمة صاحبها عشرة مماليك · ويكون صغار الولاه من طبقة أمراء العشرات ·

امير علم :

هو الذى يتولى أمر الاعلام والسناجق والرايات السلطانية ، ويشترط فيه الدراية بنوع الأعلام اللازمة لكل موكب من المواكب السلطانية ·

(القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٨ ، ٥ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨)

امير مائة مقدم الف :

أعلى مراتب الأمراء فى عصر المماليك ، وهذه الرتب خاصة بأرباب السيوف ويكون فى خدمة صاحبها مائة مملوك وهو فى نفس الوقت مقدم على ألف جندى من أجناد الحلقة فى وقت الحرب ·

(زيادة ، السلوك ، ١ ص ٢٣٩ حاشية ١)

أمير مجلس :

يتولى صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان أو الأمير · كما كان يحدث الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ، ٥ ص ٤٥٥

الأهراء السلطانية :

المخازن والشون التى تخزن فيها الغلال الخاصة بالسلطان ولا تفتح الا فى حالات الشدة والمجاعات ·

(خليل بن شاهين ، زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ ـ ١٢٣)

الأوشاقية أو (الأوجاقية) :

مفردها أوشاقى أو أوجاقى ، وهى فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسيير والرياضة ·

(القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٤)

باب سر لطيف :

هو الباب الذى يوجد بمكان غير ظاهر من العمارة الاسلامية ، ويدخل منه السلطان أو غيره من الشخصيات الكبرى فى حالة الزحام فى الحفلات مثلا أو عند التخفى فى حالة وجود حريم . والمقصود بباب لطيف أى صغير .

البازدار :

هو الذى يحمل الجوارح والطيور المعدة للصيد على يده .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٤٦٩ .

الباشــــورة :

وجمعها بواشــير ، وهى ســـد من التراب لمنع وصول الخيالة والرجال والسهام الى موضع المحاربين .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٥٠ حاشية ٤

البرانية (المماليك ...) :

المماليك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية ، ويقال لهم الخرجية أيضا . أما الخاصكية فكانوا يسمون باسم الجوانية .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٧٦ ، ٤ ص ٥٦ ؛

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ٢١٧

بركستوان (بركصطوان) :

ما يوضع حول بدَن الفرس كالدرع

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٧٧ حاشية ٥

البركيل :

مرتاد البحار من التجار المغامرين ، البراكية نوع من السفن .

Dozy. Supp. Dict. AR.

البشت :

بكسر الباء أو ضمها وجمعه بشوت ، العباء من الصوف بلونه الطبيعى ٠

البشخاناه :

وجمعها بشاخين ، وهى ما يطلق عليها اليوم الناموسية المزركشة أو داير السرير ، أى الحلية التى توضع فوق السرير وقد تكون حول الغرفة كلها أو الخيمة أو الهودج ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

بطـــال :

وجمعها بطالون أى الأجناد والأمراء العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها واقطاعاتها نتيجة غضب السـلطان أو كبر السن ، أو اضطرارا الى الاعتكاف والاختفاء ، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٣ حاشية ٤

البطســة :

نوع من السفن الحربية ، ويفهم من عبارة ذكرها النويرى أن السفينة من هذا النوع كانت تتبع لعدد كبير من الجند يصل الى نحو سبعمائة ٠

النويرى ، نهاية الأرب ، ٢٩ ص ١٣٢٣ ٠

البقط :

المال الذى فرضه المسلمون على النوبة بعد فتحهم لها ، وظل يحمل الى مصر كل سنة ٠

المقريزى ، المواعظ ، ١ ص ١٩٩ ٠

البـــكلة :

المشبك الذى يشبك به فى الثياب للزينة ، وقد يكون من الذهب ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

البنـــدق :

كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص يستخدمها الرماه فى نطير الحمام ٠ وكان البندق يرمى بالأقواس ثم صار يرمى بالمزاريق والأنابيب عن

طريق ضغط الهواء من مؤخر الأنبوب · والبندقانيون هم صانعوا البندق · زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ٥ ص ١٥٣ ·

البندقدار :

حامل كيس البندق خلف السلطان أو الأمير ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٧ ، ٥ ص ٤٥٨ ؛

المقريزى ، السلوك ، ١ ص ٣٥٠ حاشية ٢ ؛

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٩٤ ·

البواردى :

وجمعه بوارديون ، تاجر الطيور المحفوظة بالبريد أو بالتمليح

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٦١٣ حاشية ١ · ويفهم من بعض كتب الحسبه المعاصرة ان اللفظ أطلق أيضا على تاجر الخضروات المحفوظة بالصلق واضافة الخل والزيت والتوابل والملح اليها ·

ابن الاخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص ٩٦ ·

بيضـــة :

وجمعها بيض ، خوذة من الحديد يلبسها الجندى لوقاية رأسه ، وسميت كذلك لأن شكلها يشبه البيضة ·

البيـــكار :

جمعها بياكير ، الحرب عامة ·

Dozy. Supp. Dict. AR.

★ ★ ★

(ت)

التجريس :

هو أن يشهر المذنب فى طرقات المدينة ، ويضرب الجرس على رأسه ليجتمع الناس حوله ، ثم يضرب أو يوسط علنا فى نهاية المطاف ·

تخت :

مقعد : وتخت الملك (سرير الملك) منبر من رخام بصدر ايوان السلطان الذى يجلس فيه .

تخريج (الخوارج) :

تدريب الجوارح .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٠٠ حاشية ٢

التدرع بالسخام :

تلطيخ الأذرع بالسخام ، وهو الفحم وسواد القدر ، وذلك اظهارا للحزن أو عملية تمويه فى العمليات العسكرية الليلية الخاصة .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٩٦ حاشية ٤

تذكرة :

وجمعها تذاكر ، مكتوب يصدر من السلطان الى نوابه وقصاده لتذكريهم بتفاصيل مايوكل اليهم ، وليكون بمثابة ورقة اعتماد عند الجهات التى يقصدونها

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٤٨٠ حاشبة ٥

الترابى :

الأطفال من اسرى الحروب .

المقريزى ، المواعظ ، ٧ ص ١٩٤ .

الترسيم :

وجمعه تراسيم وهو الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٤٠ حاشية ٥

التركاش :

الكتانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب .

Dozy. Supp. Dict. AR.

التشريف :

الخلعة أو الملابس المهداة من السلطان الى كبار الأمراء فى مناسبات خاصة أهمها التعيين فى الوظائف الكبرى كالنيابات ٠

تشـــهير :

وجمعه تشاهير وهى الأشرطة التى توضع حول صدر الحصان ٠
Dozy. Supp. Dict. AR.

تعبية :

جمعها تعابى ، أى المناداة بجمع الجند للقتال أو تشكيل قتال

Dozy. Supp. Dict. AR.

ابن منكلى ، الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية ، مخطوط

التوســـيط :

عقوبة تقضى بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف ، على أن تكون الضربة قوية تحت السرة ، فتقسم الجسم نصفين من وسطه وتنهار أمعاء المحكوم عليه الى الأرض ٠

تومان (طومان) :

الفرق التى تبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل ٠

زيادة ، المقريزى ، ١ ص ٩٣٣ حاشية ١ ٠

(ج)

الجاشـــنكير :

الأمير الذى يقوم بذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم أو نحوه ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٦٠ ٠

الجاليش :

راية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تحمل فى مواكب السلطان لا سيما المواكب الخاصة بالحرب · وكان المماليك يطلقون اللفظ أيضا على الطليعة من الجيش ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٢٨ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٠١ ·

الجامكية :

وجمعها جوامك ، الراتب المربوط لشهر أو أكثر
Dozy. Supp. Dict. AR

الجتر :

مظلة أو قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، وتحمل على رأس السلطان فى موكب الصيد ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٧ ــ ٨ ·

جــرخ :

جمعها جروخ ، وهى آلة حربية تستعمل لرمى السهام والنفط والحجارة ويقال لمستخدمها من الجند جرخى ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٠٠٣ حاشية ١ ·

جريـــدة :

فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها · ويقال ركب السلطان جريدة ·· أى ركب على وجة السرعة دون أن يصطحب معه أثقاله أو حشده ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٠٦ حاشية ٨ ·

جنـــب :

وجمعها جنائب ، وهى الخيول التى تسير وراء الســـلطان فى الحروب لاحتمال الحاجة اليها ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٣٤١ حاشية ٣

الجـــوش :

الـدرع .

(ح)

الحـاجب :

أمير وظيفته « أن ينصف بين الأمراء والجند ، تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان ، وعليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند وماناسب ذلك .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٩ .

حاجب الحجاب :

تسـمى وظيفته « الحجوبية الكبرى » وهـو يقوم بالنظر فى مخاصمات الأجناد واختلافهم فى أمور الاقطاعات ونحو ذلك .

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ٢١٩ .

حراقـــه :

وجمعها حراريق : نوع من السفن الحربية استخدمت لحمل الأسلحة النارية (كالنار الاغريقية) ، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو . واستخدم نوع منها فى النيل أثناء الاستعراضات التى تقام فى الحفلات العامة مثل الاحتفال بكسر الخليج .

قاموس محيط المحيط ؛

المقريزى . السلوك ، ١ ص ٣٠٦

حرس :

وجمعها الحرسة ،وهم الجند المكلفون بحراسة مكان من الأماكنة .

الحوائج خاناه :

ومعناها بيت الحوائج : وهى الجهة التى « منهـــا يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطانى والدور السلطانية ، ورواتب الأمراء والمماليك الســـلطانية

وسائر الجند والمتعممين وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ أسماؤهم الدفاتر ـ وكذلك توابل الطعام ٠٠ » ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤٣ ص ١٢ ٠

الحواصل السلطانية :

يطلق هذا الاسم على ثمانية بيوت هي الشرابخاناه ، الطشت خاناه ، السلاح خاناه ، والمطبخ والطبلخاناه ، وكان لكل منها موظفون يقومون بالعمل فيهـــا وتدبيرها ٠

حياصـــة :

وجمعها حوائص ، وهي الحزام أو المنطقة ٠

Dozy, Dict, Vet. Ar. P. 146-147.

(خ)

الخاصكية :

جماعة من حاشية السـلطان يأتون فى ترتيب البروتوكول المملوكى بعد الأمراء المقدمين ٠ كان عددهم فى أول الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا على الأربعمائة وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه وفى خلواته بغير اذن ، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة ، وامتازوا بحسن المظهر وأناقة الركوب والملبس ٠

كترمير ، ٢ ص ١٥٩ : خليل بن شـــاهين ، زبدة كشـــف الممالیك ، ص ١١٥ ــ ١١٦ ؛

ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ٠

خـــبز :

وجمعه أخباز : من معانى هذا اللفظ فى عصر المماليك اقطاع من الأرض ، فيقال أخباز الأجناد أى اقطاعاتهم ٠

الخبز القار :

أو المقر بالنار ، وهو الخبز المقدد الذى يمكث مدة أطول فى النار حتى يمكن حفظه أو خزنه مـدة طويلة دون أن يتلف · وكان الصـوفية بالخوانق يفضلون هذا النوع من الخبز على غيره ·

عبد اللطيف ابراهيم ، دراسات · المجلد الأول تحقيق ٦٩٩ ·

الخركاه :

« بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة يغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد »

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٨ ·

الخـــزان :

الشخص الذى يوكل اليه مراقبة خزانة السلطان فى الأسفار والحروب ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٩٣٧ حاشية ١

خشداش :

زميل فى الخدمة ، والخشـداشـية هى رابطة الزمالة بين الأمراء الذين نشأوا مماليك عند أستاذ أو سيد واحد ·

زيادة السلوك ، ١ ص ٣٨٨

الخوجا (الخوجه) :

المعلم ــ التاجر ــ الكاتب ·

الخوجـة :

باب صغيرة فى بوابة كبرى لسور أو حصن وجرت العادة أن يخصص هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون حاجة الى فتح الأبواب الكبرى الا عند الاقتضاء أو الضرورة ، وقد يقصد بالخوجة متخذ فى السور نفسه دون أن تكون هناك بوابة كبرى ·

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٢١٥ حاشية ٢

خيل النوبة :

الخيل التى تربط قرب قصر السـلطان ليركب منها حين يريد الركوب وتسمى أيضا فرس النوبة ٠

(د)

دبابـة :

جمعها دبابات ، وهى آلة حربية تشبه البرج المتحرك على عجلات وتتكون من عدة أدوار يصعد اليها الجند لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

الدينـدار :

الذى يضرب على الطبلة ٠

الدبـوس :

وجمعه دبابيس : آلة من آلات الحرب فى العصور الوسطى تشبه الابرة ، كانت تصنع من عود طوله قدمان من الخشب الغليظ فى أحد طرفيه رأس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريبا ٠

Dozy. Supp. Dict. AR

الدسـتور :

الاذن : فيقال أعطى السلطان دستورا ، أى اعطاهم اذنا بكذا

Dozy Supp. Dict AR.

دمنـه :

جمعها دمن ، قطعة الأرض من القرية ، وما عليها من دور الفلاحين والجامع والمقبرة وغيرها من المنافع العامة ٠

عبد اللطيف ابراهيم ،دراسات مجلد ٢ تحقيق ٥٩٩

الدوادار :

أى ممسك الدواه ، الوظيفة اسمها الدودارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بابلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى اليه ٠

دولاب :

وجمعها دواليب ، وهى الآلات العجلية المستعملة فى الزراعة والصناعة عموما ، سواء صناعة السكر أو النسيج أو غيرها ٠

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٤٠٨ حاشية ٤

ديوان المفرد :

الديوان الذى يتولى نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوة وايراده من البلاد المفردة له ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣ ص ٤٥٧

ديوان المواريث الحشرية :

هى تركات من يموت ولا وارث له ٠

(ر)

رأس الميسرة :

كبير الأمراء المتقدمين فى السن من أكابر امراء المائة وهم أمراء الشورى ٠
أبو المحاسن : النجوم ، ١٢ ص ٢٤٧ ٠

رأس النوبة :

وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة امراء ، وحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخاناه ٠

القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ ص ١٨ ٠

الربـــاط :

وجمعه ربط ورباطات ، وهو في الاصل مكان اقامة الحاميه المرابطة عند ثغور العدو ، ثم صار اللفظ يطلق على بيت الصوفية حيث يرابطون للزهـــد والعبادة ٠

الرخـت :

كلمة فارسية تفيد عدة معان منهـا المتاع والبضائع والماشـــية والخيل والرياش ، الرختوانية هم الذين يتولون العناية بمتاع السلطانية أو الأمير فى الأسفار ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٩٠ حاشية ٤ :

أبو المحاسن ، النجوم ، ٨ ص ٦٠ حاشية ٦ ٠

الرزق :

وجمعه أرزاق ، وهى المرتبات سواء كانت يومية أو شهرية ٠

أبو المحاسن ، النجوم ، ٩ ص ٣٥ حاشية ٦

الرقبــة :

رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب ، تجعل على رقبه الفرس السلطانى فى موكب العيدين ، وتكون من تحت أذنى الفرس الى نهاية عرفه ٠

القلقشندى ، صبح لأعشى ، ٤ ص ٨ ٠

ركـــاب :

وجمعه ركابون وركابية ، وهم الذين يركبون خيول الســـلطان والأمراء لترويضها وتدريبها (سائس) ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

الركاب خاناه :

أى بيت الركاب الذى تكون به السروج واللجم وغيرها من معدات ركوب الخيل ، وله موظف موكل بحواصله يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٧ ، ص ١٢ ٠

الرنـــك :

وجمعه رنوك ، وهو الشعار الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له · ويقول القلقشندى « ومن عادة كل أمير كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصـه ·· بحسـب ما يختاره ويؤثره ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة اليهم كمطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغير ذلك » ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٦١ ــ ٦٢ ·

الـروك :

وفعله راك ، وهى عمليه مسح الأراضى الزراعية وفك الزمام وتعديل الخراج وقد تمت هذه العملية فى مصر الاسلامية عدة مرات ، وأشهرها فى عصر المماليك الروك الحسامى الذى أجراه حسـام الدين لاجين والروك الناصرى الذى أجراه الناصر محمد ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٨٤١ ــ ٨٤٢ ·

(ز)

الزحافـة :

وجمعها زحافات ، آلة من آلات الحرب والحصار ·

الزراق :

وجمعهـا زراقون ، أى رامى النفط من الزراق وهى الأنبوبة التى يزرق بها النفط ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٥٩٨ حاشية ٢ ·

الزردخاناه :

بيت الزرد أى بيت السلاح وبها « من السيوف والقسى العربية والنشاب والرماح والدروع المتخذه من الزرد المانع وفى كل سـنة يحمل اليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ويجعل على رءوس الحمالين ويزف الى القلعة ويكون

يوما مشهودا وفى السلاح خاناه من الصناع المقيمين بها لاصلاح العدد وتحديد المستعملات جماعة كثيرة .. » .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١١ ــ ١٢ .

الزردخاناه :

أطلق اللفظ أحيانا على السلاح نفسه ، أو على السجن المخصص للمجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب .

Dozy. Supp. Dict AR.

الزردكاش :

الصانع الذى يعمل فى السلاح خاناه ، فى صنع السلاح واصلاحه وتجديده .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٢ .

الزنارى :

كسوة الحصان تكون مفتوحة فوق صدره ومسدولة على الكفل بحيث لا يرى الذيل ، وكان الزنارى يعطى بدل الكنبوش لمن عظمت مقدرته ومقامه عند السلطان ويصنع من الأطلس الأحمر أو الجوخ .

زيادة ، السلوك، ٨٥١ حاشية ٥ .

زنجير :

سلسلة .

الزيار (أو الزيارة) :

جمعها زيارات ، وهى آلة حربية كالقوس الذى يرمى به البندق .

ستارة

وجمعها ستائر ، حائط أو حاجز خارجى يحتمى خلفه المدافعون عن حصن أو سور ويستخدم المهاجمون الستائر كذلك للوقاية من قذائف العدو .

Dozy. Supp. Dict. AR.

(س)

ســــقمان :

خف ثان يلبس فى القدمين فوق خف آخر اعتاد أن يلبسه الســــلطان والأمراء والجنود والحريم فى عصر المماليك ٠

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٣٣١ حاشية ٥

ســـكرجة :

وجمعها سكارج ، وهى الأوانى ٠

الســـماط :

المائدة ، ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين

الســـمط :

الثوب الذى ليس له بطانه ، طيلسان ٠

الســـنجق :

وجمعه سناجق ، وهى رايات صفر صغيرة تربط بطرف الرماح

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٨ ، ٥ ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨

الســنجقدار :

حامل السنجق ٠

الســـواق :

جمعه السواقون ، الشخص المكلف بادارة ساقية الماء فى جامع أو غيره

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٧٥٩ حاشية ١

(ش)

شاد (أو مشد)

مفتش ، فيقال ســـاد الدواوين أى الـذى يفتش على الدواوين ويراجع حساباتها ، ومثله شاد الجوالى وشاد الزكاة ٠٠ وتسمى العملية شد ، فيقال شد الدواوين أى التفتيش عليها ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ١٠٥ حاشية ٢

الشــــاش :

ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق .

الشـــحنة :

الشرطة ، وصاحب الشـحنة وهو متولى رياســة الشرطة ويقال للوظيفة الشحنكية .

Dozy Supp. Dict. AR

الشرابخاناه :

بيت الشراب ، ويحوى مختلف أنواع الأشربة ـ ومنها الأدوية ـ التى يحتاج اليها السلطان ، فضلا عن الأوانى النفيسة المصنوعة من الصينى الفاخر .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٠ ؛

النويرى : نهاية الأرب ، ٨ ص ٢٢٤ .

الشرابى :

هو الذى يصـنع الأسربة ـ الأدوية ، وهو أحـد رجال الشرابخاناه مثل

الشرابدار .

القلقشندى . صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٦٩

الشرب :

وجمعه شرابى . قماش رفيع من الكتان كان يستعمل فى معظم الأحيان للعمائم .

Dozy. Supp. Dict. AR.

الشربوش :

قلنسوه طويلة تلبس بدل العمامة وكانت شـــارة للأمراء فلا يلبســها المعممون ، وقد ألغى استعمالها بمصر زمن المماليك البرجية .

Dozy. Supp. Dict. AR.

شــــنبر :

وجمعه شنابر ، شريط من الحرير الاسود أو الأحمر القاتم ، عرضه شبران وطوله نحو سبعة أذرع ، تلفه النساء على رءوسهن فوق العصابة بحيث يتدلى أحد طرفيه من مقدم الرأس والثانى من مؤخرها .

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٥٢٨ حاشية ١ .

شينى (شينية) :

وجمعه شــوانى . أكبر نوع من الســفن الحربية عرفته مصر فى العصر المملوكى وكان يحدف بمائة وأربعين مجدافــا وتركب فيه المقاتلة والجدافون .

ابن قمانى ، قوانين الدواوين ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ ؛

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ١٩٤ ــ ١٩٥ .

(ص)

صولق :

وجمعه صوالق ، وهو جراب أو كيس من جلد توضع به حاجات السفر من الزاد ، ويضعه الشخص فى حزامه فى الجهة اليمنى .

الخطط التوفيقية ، ١٠ ص ٣٥ ؛

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٨٩ حاشية ٦ ؛

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٧٨ .

(ط)

الطارمــة :

وجمعة طارمات ، بيت من خشــب يبنى ســـقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان

Dozy. Supp. Dict. AR.

الطبائعى :

طبيب الأمراض الباطنية .

طبر :

وجمعه أطبار ، وهو الفأس من السلاح ، معرب ببر ٠

الطبردار :

- هو الذى يحمل طبر السلطان ــ أى فأسه ــ عند ركوبه فى المواكب ٠ وأمير طبر هو الذى يتحدث عن الطبردارية الذين يحملون الأطبار ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٥٨ ، ص ٤٦٢ ٠

طبقة :

وجمعها طباق ، وهى تكنات المماليك بقلعة الجبل وكانت كل طبقة تضم المماليك المجلوبين من بلد واحد ٠

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ٢١٣ ــ ٢١٤ ٠

الطراحة :

وجمعها طراريح ، مرتبة يفترشها السلطان اذا جلس

Dozy. Supp. Dict. AR.

طراد (طريدة) :

وجمعها طرائد . هو نوع من المراكب الحربية يستعمل غالبا فى حمل الخيول والفرسان ٠

ابن مماتى ، كتاب قوانين الدواوين ص ٢٣٩ ٠

طرخان :

الأمير المتقاعد دون أن يكون مغضوبا عليه ، ولذا كان له أن يقيم حيث شاء ٠

الطشت خاناه :

أى بيت طشت ، فيه يكون أنواع الطشوت اللازمة لغسل الأيدى أو القماش أو غيرها ، فضلا عن المقاعد والمخاد والسجادات التى تلزم السلطان ، وللطشت خاناه مهتار يشرف عليه ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٠ ــ ١١

الطشت دارية :

هم غلمان الطشت خاناه ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٠ — ١١

طـلب :

لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال ويطلق اللفظ أيضا على قائد المائه أو السبعين · وقد عدل مدلول اللفظ فأصبح يطلق على الكتيبه من الجيش ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٢٤٨ حاشية ٢

الطمغا (تمغا) :

البراءة التى تصدر من قبل السلطان أو الملك بالعفو عن مجرم أو تأمين خائف · والطمغا أيضا شعار السلطان أو الأمير ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٣٧٩ حاشية ٤ ، ص ٨٧٢ حاشية ١ ·

الطواشى :

وجمعه طوشيه ، وهم الخصيان الذين استخدموا فى الطباق المملوكية ، وفى الحريم السلطانى « وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ، ويعد شيخهم من أعيان الناس » ·

المقريزى ، المواعظ ، ٤ ص ٢١٩ ·

(ع)

العـــبرة :

مقدار المساحة ، وهى فى الاصطلاح المالى القديم مقدار المربوط من الخراج أو الأموال على كل اقطاع من الأرض ، وما يتحصل عن كل قرية من عين أو غلة ·

عبد اللطيف ابراهيم ، دراسات ، مجلد ٢ وتحقيق ٥١٠

عـــرادة :

وجمعها عرادات ، وهى آلة حربيـــة أصـــغر من المنجنيق نرمى الحجارة الى المرمى البعيد ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٢ حاشية ٤

العريـــف :

مساعد المؤدب فى الاسراف على الأيتام المسجلين بالمكتب ويكون بالمكتب عادة عدة عرفاء يختص كل منهم بالاشراف على بضعة صبيان ٠

العصـــابة :

وجمعها عصائب ، وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان ــ وتحمل فى المواكب السلطانية ٠

عـــــلم دار :

هو الذى يحمل العلم فى ركاب السلطان ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٠ ، ٥ ص ٤٥٦ ، ص ٤٦٣

(غ)

غـــــراب :

وجمعه أغربة نوع من الســـفن الحربية تركب فبه المقاتلة والجدافون ٠

ابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ ٠

الغفـــار :

وجمعه غفائر المعطف ٠

Dozy Supp. Dict AR.

غـــــلام :

وجمعه غلمان ، وهو من يقوم بخدمة الخيل ، وهذا اللفظ « فى أصل اللغة مخصوص بالصبى الصغير والمملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم » ٠

القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٧١ ٠

فانوســـية :

وجمعها فانوسيات ، كمية معينة من شمع الفوانيس ·

Dozy. Supp. Dict. AR.

الفراش خاناه :

بيت الفراش ،وكانت تشـتمل على أنواع الفرش من البسـط والخيام اللازمة للسلطان فى أسفاره واقامته خارج القلعة ·

القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١١ ·

فرش النوبة :

فرش مجهز بالسرج والغاشية ، يحفظ بقرب حضرة السلطان لاستخدامه فى الطوارىء أو للركوب اعلانا بقيام سلطان جديد ·

ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ص ٤٣٢ ·

الفرمـــان :

وجمعه فرمانات ، ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاه والوكلاء والقصاد يعلن فيها تقليدهم مناصبهم أو تعيينهم فيها

فهـــاد :

وجمعه فهاده وهم الأشخاص المكلفون بحراسة الفهود ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٤٩٤ حاشية ٤ ·

فوطـــة :

مرادف البقجة ، وهى قطعة من قماش من الحرير السكندرى تحمل فيها الأوراق الرسمية مرتبة الى حضرة السلطان ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٥٧٨ حاشية ١

الفوقانيـة :

وجمعها فوقانيات الرداء الذى يلبس فوق الملابس وعكسها التحتانية ·

Dozy. Supp. Dict. AR

(ق)

القبـــاء :

ملبوس (فرجية ـ قفطان) وقد وصف المقريزى الأقبية على عصر المماليك بأنها « اما بيض أو مشهرة أحمر أو أزرق ، وهى ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الأفرنج اليوم » ٠

Dozy. Supp. Dict. AR

القبق (القباق) :

القرعة العسلية ، وأطلق فى عصر المماليك على الهدف المستعمل فى لعب الرماية المعروف بالقبق أيضا ، وكان هذا الهدف يصنع على شكل قرعة عسليه من ذهب أو فضة ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٥١٨ حاشية ٦

قرباص :

وجمعها قرابيص ، وهى الحجارة

Dozy. Supp. Dict. AR.

القرقـــل :

قميص النساء ، أو الثوب الذى لا أكمام له والقرقل كذلك سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الأحمر والأصفر ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٤٧ حاشية ٤ ؛

عبد اللطيف ابراهيم ، دراسات ، مجلد ٢ تحقيق ٣٠٠

القصـــة :

الطلب ، الالتماس ، الشكوى ، ويرفعها صاحب الحاجة الى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٣ ص ١٥٤ ٠

القطاعـة :

وجمعها قطاطيع ، المطرقة تستعمل لقطع الصخر أو هدم البناء ٠

قطيعـــة :

وجمعها قطائع ، وهى الفئة من الجند ٠

القلعـــة :

وجمعها قلاع ، قصد بها ــ فضلا عن معناها الأصلى وهو الحصن ــ قوس النصر أو الزينه التى تقام بعرض الطريق على ألواح من الخشب ليمر من تحتها موكب النصر ٠

قلنسوة (أو قلنسية) :

وجمعها قلانس ، لباس للرأس (طاقية ــ طربوش) تصنع من جلد الماعز أو الصوف أو الحرير ، وربما لبست تحت العمامة ٠

القياســـة :

وجمعها قياييس ، ســفينة تســتعمل فى الابحار فى المياه القليلة العمق كشواطىء البحار ، وتكون عادة عريضة المساحة قليلة الارتفاع بطيئة الســـر ٠
Dozy. Supp. Dict AR.

القيطـــون :

والجمع قياطين وقيــاطن ، الحجرة الصــغيرة فى لغة أهل مصر ، والخيمة فى لغة المغرب ٠

Dozy, Supp. Dict. Ar.

(ك)

كامليـــة :

وجمعها كوامل ، نوع من الملابس الخارجية كالعباءة ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

كبـــش :

وجمعه كبوش أو أكبشه ، آلة حربية لها رأس ضخم وقرنان تدفعها الجنود نحو أسوار الحصون لتهديمها ٠

Dozy. Supp. Dict. AR.

كحــــال :

طبيب العيــون .

الكــــراز :

كوز ضيق الرأس يستعمل لحفظ الماء صالحا للشرب .

Dozy. Supp Dict. AR.

الكــــراع :

ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٢٠ حاشية ٣ .

كردوس (كردوسة) :

وجمعها كراديس وهى الفرقة الحربية الراكبة والقطعة العظيمة من الخيل

Dozy Supp Dict. AR.

الكزاغنـد :

وجمعه كزاغندبات . وهو المعطف القصير يلبس فوق الزرديه ويصنع من القطن أو الحرير المبطن .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٢٥٣ حاشيه ٤ .

الكســـابة :

هم الذين ينتهزون فرصة الفتن للنهب أو فرصة الحروب لجمع الغنائم .

الكســـارة :

وجمعها كسارات ، وهى من أدوات التعذيب .

Dozy. Supp Dict. AR

الكشـــاف :

وجمعه الكشافة ، جماعة معينة من العسكر تقوم بكشف أخبار العدو .

الكلاليب :

ومفردها كلاب ، وهى المشابك المستخدمة فى تحلية الكلوتة .
Dozy. Supp. Dict. AR.

الكلينـــده :

وجمعها كلبندات ، وهى لباس الرقبة أو الكوفية يلبسـها النسـاء على رءوسهن وتربط تحت الذقن لحفظ ما فوق رءوسهن من اللباس .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٣٣٠ .

وهى كذلك جزء من غطاء الرأس سواء كان عمامة أو كلوتة .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٤٩٤ حاشية ١

كاوتـــة :

وجمعها كاوتات ، غطاء الرأس ، طاقية صـغيرة تلبس وحدهـا أو بعمامة وتسمى أيضا كلفه وكلفتاه وكلفته .

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٣٣٠ حاشية ١

كمـــرّ :

وجمعه كمرات ، لفظ فارسى معناه الحزام المفرغ من وسطه لوضع النقود والأشياء الثمينة فيه .

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٣٣١ .

كبنـــوش :

وجمعه كنابيش ، وهـو خمار لتغطية الوجه . وأطلق اللفظ أيضـا على البرذعة توضـع تحت سرج الفرس . وقـد حرف اللفظ أحيانـا الى كنفوش وكنافيش .

كوســـة :

وجمعها كوسات ، « وهى صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحداها على الأخرى بايقاع مخصوص » والكوس هو الذى يضرب بالكوسـات .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٩ ، ص ١٣ .

(ل)

اللاطية (اللاطئة) :

وجمعها لاطيات . وهى القلنسوة الصغيرة تلطأ بالرأس أى تلصق بها .

اللبخـــة :

لعبة استحدثت فى عصر المماليك ، تشبه اللعبة المعروفة اليوم باســم التحطيب أو النبوت ، فكان الشخص يخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد الجميع .

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ٧٠٣ ،

الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(م)

المارستان (البيمارستان) :

مستشفى لمعالجة المرضى واقامتهم .

مبــاشر :

وجمعه مباشرون ، وهم الموظفون الاداريون .

محــاورة :

وجمعها محاير وهى صناديق تشد الى جانبى الرجل ، وكان للمحاير سوق خاص فى القاهرة اسمه سوق المحايرين .

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ١٠١ .

مــرادة :

وجمعها مرادات ، قطع من المعدن أو غيره تزان بها سرج الفرس وتحاط بقماش السرج .

Dozy. Supp. Dict. AR

مرمـــة :

وجمعها مرمات ، نوع من السفن الكبار .

المســـتوفى :

موظف من كتـاب الاموال بالدواوين ، عمله ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج الأموال ونحو ذلك ، ومن المستوفين مستوفى الصحبة وهو يشـارك الوزير ويعاونه فى الأمور العامة مثل كتابة المراسيم وتسجيلها ، ومثله فى النفوذ مسـتوفى الدولة وكان لكل ديوان من دواوين الدولة ناظر وتحته المستوفى والشاد .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٦٦ .

مســطح :

وجمعه مسطحات ، نوع من السفن له مسطح .

Dozy. Supp. Dict AR.

المشـــارفة :

وظيفة يتولاها الموظفون الذين يشرفون على الأمور المالية ، وبخاصة فى الأوقاف ابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ٣٠٢

المشتريات (المشتروات) :

هم المماليك الجلبان أو الاجلاب الذين كان السلطان يشتريهم لنفسه.

المعصرة :

آلة للتعذيب تتكون من خشبتين مربوطتين ببعضهما يوضع بينهما وجه المعاق أو رأسه ورجلاه أو عقباه ، ثم تشد الخشبتان شـدا وثيقا حتى يؤدى ذلك فى كثير من الأحيان الى كسر عظام المعصور بين الخشبتين .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٤٠ حاشية ٣

المعيـــد :

صاحب وظيفة بالمدرسة يأتى دون المدرس فى الاهمية ، وعلمه أن يعيد للطلبة ما ألقاه عليهم المدرس ليفهموه ويحسنوه .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٦٤ .

المفـــرد :

هو الديوان الذى كانت تخرج منه فى زمن الدولة المملوكية نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوه ، ويرجع تأسيسه الى أيام الفاطميين ٠

. القلقشندى صبح الأعشى ، ٣ ص ٣٥٧ ٠

خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ص ١٠٧

المفـــرد :

يطلق اللفظ على الجندى أو المملوك . فيقال وصل مفرد من الصعيد ٠

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ٩ ص ٣٥ ٠

مفـــردى :

وجمعه مفاردة ، نوع من عساكر حلقة السلطان كانوا يتبعون ديوان المفرد مباشرة ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٤٨٠ حاشية ٢

المقـــام :

لقب من ألقاب كبار رجال الدوله فى عصر المماليك ، فيقال المقام السلطانى أو المقام العالى السلطانى للسلطان والمقام الملكى للملك نفسه وأتباعه المنسوبين اليه من أمراء ووزراء ٠ أما المقام العالى فقط فكان من الألقاب التى اشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ٠

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٥ ص ٤٩١ ، ٦ ص ٥

مقدم المماليك :

. هو أقدم الطواشيه وأقربهم الى السلطان ويشـــغل رتبة أمير طبلخاناه ويعاونه نائب برتبة عشرة ، وكان للأمراء أيضـا مقدمون للقيـام على شـــئون مماليكهم ، وكان لمقدم المماليك أن يتحدث فى شأنهم ويحكم فيهم ، كما كان يحضر تفرقة الجامكية عليهم ٠

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٧٨٠ حاشية ٣ ؛

ابن اياس ، بدائع الزهور ، ٣ ص ١٥٥ ، ٤ ص ٢٩١ ٠

مكاحل البارود :

هى المدافع التى يرمى عنها النفط ، وهى أنواع ·

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١٢ ص ٢٧٧ ·

الملوطـــة :

وجمعها ملالبط ، قباء واسع الكمين طويلهما يلبس فوق الفرجبة وكاس تصنع أحيانا من الحرير الخالص أو الكتان الرقيق ، وكانت لباسا قوميا فى عصر المماليك ·

Dozy. Supp. Dict. AR.

المماليك الأحداث :

هم المماليك الحديثو العهد بالخدمة ، وربمـا قصـــد باللفظ الاراذل أو السفلة ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٤٣ حاسبة ١

مماليك الأمراء :

هم المماليك التابعين للأمراء مباشرة ، ومنهم تتألف الوحدات الحربية التى يذهب بها الأمراء مع السلطان فى حروبه ·

المماليك البرانية :

المماليك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية ، ويقال لهم أيضا الخرجيه ·

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ٢١٧ ·

المماليك الجوانية :

المماليك الخاصكية ·

المماليك الحرسية :

هم المماليك الذين يوكلون بحراسة مكان من الأمكنة ·

المماليك الخاصكية :

قســم من المماليك الســلطانية يمميزون عن بقية المماليك الســـلطانية بانضوائهم وهم صغار فى خدمة السلطان ، فهو الذى يتولى تربيتهم وعتقهم ·

المماليك السلطانية :

مشتريات السلطان وجلبانه . وما يتبقى عنده من مماليك من سبقه فى السلطنة ومرتباتهم جميعا من ديوان المفرد ·

المنــــفر :

الذى ينفخ فى البوق ·

المنـــاخ :

وجمعه مناخات ، وهى الأمكنة المخصصـــة لأنواع الجمال الســـلطانيه ـ كالاصطبلات لأنواع الخيل ـ وجميعها كانت تابعة لادارة الاصطبلات السلطانية·

خليل بن شاهين ، زبده كشف الممالك ص ١٢٥ ،

المقريزى ، المواعظ ، ٢ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ·

منجنيــق :

وجمعه مجانيق ، الة من خشب لقذف الحجر على العدو لمسافات بعيدة ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٢ ص ١٣٧ ·

منشـــور :

وجمعه مناشير ، وهى فى الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج الى ختم كالمكاتبات الخاصة بالولاية ومنح الاقطاعات ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٣ ص ١٥٨ ·

المنطقة (المنطق) :

نوع من الأحزمة التى توضع حول الوســـط . ويكون غالبا من الذهب أو الفضـــة وأحيانا من الجلد أو القماش · جاء فى دوزى أنه لا يجوز للرجـال التحلى بالذهب والفضة الا فى ثلاث مواضع وهى الخاتم والمنطقة وحلية السيف ·
Dozy Supp. Dict. AR

المهتـــار :

لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، فيقال مهتار الشرابخاناه ومهتار الطشت خاناه ، مهتار الركاب خاناه ·

القلقشندى ، ٥ ص ٤٧٠ ،

أبو المحاسن ، النجوم ، ٩ ص ٤٧ حاشية ٣ ·

المهمندار :

هو الذى يتلقى الرسل والعربان والواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويتحدث فى القيام بأمرهم ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢٢ ، ٥ ص ٤٥٩ ·

(ن)

النـــاس :

استعمل هذا اللفظ فى مصطلح مؤرخى عصر المماليك بمعنى الرؤساء أو الزعماء أو الأمراء· وقد وجدت فرق من فرق الجيش المماليكى سميت باسم « أولاد الناس » شملت أبناء أمراء المماليك فقط · .

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٩٠ حاشية ٢ ·

ناظـــر :

وجمعه نظار ، وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين الذين شاركوا الوزير فى تصريف عماله · وقد تنوعت ألقاب النظار حسب الأعمال التى قاموا بها · فناظر الجيش يتحدث فى أموال الجيش وحساباتها ، وناظر الخاص ينظر فى خاص أموال السلطان . وناظر الدولة يشارك الوزير فى القصر عامة ، ويسمى الأخير ناظر الدواوين أو ناظر النظار أو الصاحب الشريف ومقره ديوان النظر ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٣ ·

ناظر الدواوين الحشرية :

هو المتحدث عن الدواوين الحشرية ، ممن يموت ولا وارث له أو لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث فى اطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٣٣ ·

ناظر الاهراء :

يقوم صاحب هذه الوظيفة بالاشراف على سئون الغلال السلطانية وما يصل اليها من غلال وما يصرف منها ·

القلقشندى ، صبح الأعشى . ٤ ص ٣٣ ·

نـــدب :

وجمعه أنداب ، وهو كس صغير يسع خمس بندقات

Dozy Supp Dict. AR.

نـــدب :

ندب النشاب اللعب به ، يقال لعب أندابا في الميدان ، وكان عارفا بانداب الحرب ·

كسرمير ، ٢ مجلد ٢ ص ٩٨ ،

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٧ ص ٦٨٧ ،

Dozy. Supp Dict. AR.

نقيـــب

وجمعها نقباء ، وكان عمل صاحب هذه الوظيفة عند السـلطان أو الأمير بأدية الخدمات الصغير لسيده ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢١ ـ ٢٢ ·

نقيب الجيش :

هو الذى يتكفل باحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم ·

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ٢١ ، ٥ ص ٤٥٦ ·

النوبـــة : ·

الموقعة الحربية ، ويقال ضربت النوبة أى صدر الأمر للعسكر بالتقهقر ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٤٦١ حاشية ٢ ·

نقيب المماليك :

يبدو أن المقصـود بهذه الوظيفة مقدمه المماليك وموضـوع « التحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم » .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ص ٢١ ؛

زيادة ، السلوك ، ٢ ص ١٦٥ حاشية ١ .

النـوبة :

اسم لآلات الطرب اذا عزفت سـويا ولمجموعة من المطربين اذا اجتمعوا (أوركستر) .

النيابـة :

يسمى صاحب هـذه الوظيفة نائب السـلطنة والنائب الكافل ، وكافل الممالك الاسلامية وهو يحكم فى كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم فى التقاليد والتواقيع والحناشير وغير ذلك مما يعلم عليه السلطان وهناك نواب أقل درجة أشبه بالحكام المحليين ، لا يختص الواحد منهم الا بما يتعلق بحدود نيابته .

القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤ ص ١٦ .

(و)

وافـدى :

وجمعه وافدية ، ويقصد به الغريب الوافد الى بلد جديد ، وأطلق هذا اللفظ على الترك والتتر الذين وفدوا على دولة المماليك فى مصر والشام واختص به ــ بوجه خاص ــ الأفراد الذين هاجر معظمهم من بلا المغول الى مصر وافدين مستأمنين أحرارا لا أجلابا مملوكين . واندمج كبير من أولئك الوافدين فى فرق المماليك السلطانية حتى وصلوا الى أرفع مناصب الدولة ، غير أنهم ظلوا دون المماليك الذين جلبوا رقيقا . لأن الوافدى لم ينشأ وأنشأه المالكية .

زيادة ، السلوك ، ٢ س ٨ ، ص ٧٥٠ .

وزير الصحبة :

يكون صاحب هذه الوظيفة وزيرا متنقلا ، يرافق السلطان فى أسـفاره

وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف الشئون ـ وذلك ليسنى للوزير الأصلى أن يقبم بالقاهرة حيث مقر عمله ·

زيادة ، السلوك ، ١ ص ٦٢٧ حاشية ٢ ·

ورقـــة :

وجمعها أوراق ، اســتعملت فى عصر المماليك بمعنى الصــك الذى يكتبه المدين للدائن ·

وطـــاء :

وجمعها أوطيه ، وهو الحذاء ·

Dozy. Supp. Dict. AR.

الوطـــاق :

الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء ·

(ى)

الـــيزك :

رئيس القصص ، ومن يراقب من مضى فيتبعه ·

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ٧ ص ١٧٣ ·

ملحق ٢

نص من معاهدة الهدنة بين الملكة أيزابيلا والسلطان بيبرس

استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة ، فلانة بنت فلان ، مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها لتحقيق مدة عشر سنين متتالية ، أولها يوم الخميس سادس رمضان سنة سبع وستين وستمائة ، على بيروت وأعمالها المضافة اليها ٠ الجارى عادتهم فى التصرف فيها فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وأيام ولده الملك المعظم عيسى ، وأيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز والقاعدة المستقرة فى زمنهم الى آخر الأيام الظاهرية بمقتضى الهدنة الظاهرية ٠ وذلك بمدينة بيروت وأماكنها المضافة اليها من حد جبيل الى حد صيدا ، وهى المواضع الآتى ذكرها :

جونية بحدودها ، العذب بحدودها ، والعصفورية بحدودها ، الرواف بحدودها وسن الفيل بحدودها ، والرح والشويف بحدودها ، وأنطلياس بحدودها ، والحديدة بحدودها ، وحسوس بحدودها ، والبشرية بحدودها ، والدكوانة وبرج قراجار بحدودها ، وقرينة بحدودها ، والنصرانية بحدودها ، وجلدا بحدودها ، والناعمة بحدودها ، ورأس الفقيه ، والوطاء المعروف بمدينة بيروت ، وجميع مافى هذه الأماكن من الرعايا والتجار ، ومن سائر أصناف الناس أجمعين ، والصادرين منها والواردين اليها من جميع أجناس الناس ، والمترددين الى بلاد السلطان « بيبرس » وهى : —

الحميرة وأعمالها وقلاعها وبلادها وكل ما هو مختص بها ، والمملكة الانطاكية وقلاعها وبلادها ، وجبله واللاذقية وقلاعها وبلادها ، وحمص المحروسة

وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها . ومملكه حصن عكا وما هو منسوب اليه . والمملكة الحموية وقلاعها وبلادها وما هو مختص بها . والمملكة الرحبيه وما هو مختص بها : من قلاعها وبلادها . والمملكة البعلبكية وما هو مختص بها : من قلاعها وبلادها . والمملكة الدقبة وما هو مختص بها : من قلاعها وبلادها ورعاياها وممالكها والمملكه الشقيفة وما يختص بها . والمملكه الحلبية وما يختص بها . والمملكة الكركية والشوبكية وما يختص بها من القلاع والبلاد والرعايا . والمملكة النابلسية ، والمملكة الصرخدية ، ومملكة الديار المصرية جميعها . بثغورها ، حصونها ، وممالكها ، وبلادها . وسواحلها وبرها ، وبحرها . ورعاياها ، وما يختص بها ، والساكنين في جميع هذه الممالك المذكوره ، وما لم يذكر من ممالك السلطان وبلاده ، وما سيفتحه الله تعالى على يده ، ويدلوان وغلمان يكون داخلا في هده الهدنة المباركة ، ومنتظما في جمله شروطها ويكون جميع المترددين من هذه البلاد والبها آمنين مطمئنين على نفوسهم وأحوالهم وبضائعهم ، من المملكة فلانه وغلمانها ، وجميع من هو في حكمها وطاعتها : برا وبحرا ، وليلا ، ونهارا ، ومن مراكبها وشوانيها وكذلك رعية الملكة فلانة وغلمانها يكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم وبضائعهم من السلطان ومن جميع نوابه وغلمانه ومن هو تحت حكمه وطاعته : برا وبحرا ، وليلا ونهارا ، : في جبله واللاذقية ، وجميع بلاد السلطان ومن مراكبه وشوانيه .

وعلى أن لا يحدد على أحد من التجار المترددين رسم لم تجربه عادة ، بل يجرون على العوائد المستمرة ، والقواعد المستقرة من الجهتين . وان عدم لأحد من الجانبين مال أو أخدت أخيذه وصحت في الجهة الأخرى ردت ان كانت موجودة ، أو قيمتها ان كانت مفقودة . وان خفي أمرها كانت مدة الكشف أربعين يوما ، فان وجدت ردت ، وان لم توجد حلف والى تلك الولاية المدعى عليه ، وحلف ثلاثة نفر ممن يختارهم المدعى ، وبرئت جهته من تلك الدعوى . فان أبى المدعى عليه عن اليمين حلف الوالى المدعى وأخذ ما يدعيه . وان قتل أحد من الجانبين خطأ كان أو عمدا ، كان على القاتل في جهته العوض عن نظيره : فارس بفارس ، وراجل براجل . وفلاح بفلاح . وان هب أحد من الجانبين الى الجانب الآخر بمال لغيره رد من الجهتين هو والمال ، ويعتذر بعذر .

وعلى أنه أن تاجر فرنجي صدر من بيروت الى بلاد السلطان يكون داخلا في هذه الهدنة ، وان عاد الى غيرها لا يكون داخلا في هذه الهدنة .

وعلى أن الملكة فلانه لا تمكن أحدا من الفرنج على اختلافهم من قصد بلاد السلطان من جهة بيروت وبلادها ، ونمنع من ذلك وندفع كل متطرق بسوء وتكون البلاد من الجهتين محفوظة من المتجرمين المفسدين .

وبذلك انعقدت الهدنة للسلطان ، وتقرر العمل بهذه الهدنة والالتزام

بعهودها والوفاء بها الى آخر مدتها من الجهتين : لا ينقضها مرور زمان ، ولا يغير شروطها حين ولا أوان ، ولا تنقض بموت أحد الجانبين .

وعند انقضاء الهدنة يكون التجار آمنين من الجهتين مدة أربعين يوما ، ولا يمنع أحد منهم من العود الى مستقرة ، وبذلك شمل هذه الهدنة المباركة الخط الشريف حجة فيها . والله الموفق فى تاريخ كذا (١) .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ١٤ ص ٢٦ ــ ٤٢ .

ملحق ٣

خطاب التهديد الذى ارسله هولاكوخان قائد مغول فارس الى سلطان مصر سيف الدين قطز قبيل معركة عين جالوت

من ملك الملوك سرقا وغربا ، القان الأعظم ٠

باسمك اللهم باسط الأرض ، ورافع السماء ٠ يعلم الملك المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم ، يتنعمون بانعامه ، ويقتلون من كان بسلطان بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز ، سائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولهـا من الأعمال ، أنا نحن جنـد الله فى أرضه ، خلق من سخطه ، وسلطنا على من حل عليه غضبه فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن سكى ٠

وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرناها من الفساد ، وقتلنا معظم العباد٠ فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب ، فأى أرض تأويكم ، وأى طريق تنجيكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صـواعق ، وقلوبنـا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع ٠ فانكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند كلام ، وخنتم العهود والايمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان ، فأبشروا بالمذلة والهوان فاليـوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ٠ فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم فان أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وان خالفتم هلكتم ،

فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم ، فقد حذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أننا نحن الكفرة وقد ثبت عندنا أنكم الصخرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة . فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، ولملوككم عندنا سبيل . فلا تطيلوا الخطاب ، وأسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم نار الحرب نارها ، وترمي نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ولا كافيا ولا حرزا ، وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية : فقد أنصفناكم اذ راسلناكم وأيقظناكم اذ حذرناكم ، فما بقي لنا فقصد سواكم . والسلام علينا وعليكم . وعلى من أطاع الهدى ، وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى (١) .

آقل لمصر هاهلاوون (٢) قد أتى ... بحد سيوف تنضي وبواتر
يصير أعز القوم منها أذلة ... ويلحق أطفالهم بالأكابر

قال القلقشندي (٣) : —

وهذه نسخة كتاب ، كتبها عن الملك المظفر قطز . وصاحب اليمن يومئذ المنصور (٤) بالبشارة بهزيمة التتار . وأظنها من انشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (٥) وهي : — أعز الله تعالى أنصار المعز الشريف العالي ، السلطان الملكي المنصوري وأعلا مناره ، وضاعف اقتداره ، نعلمه أنه لما كان النصف من شهر رجب (٦) . فتح الله بنصر المسلمين على أعداء الدين .

.. أما النصر الذي شهر الضرب بصحته ، والطعن بنصيحته ، فهو أن التتر خذلهم الله تعالى ، استطاعوا على الأيام ، وخاضوا بلاد الشام ، واستنجدوا بقبائلهم على الاسلام .

سعى الطمع المروى بهم لحتوفهم ... ومن يمسكن ذيل المطامع يعطب

فأقلعت بهم طرائق الضلال ، وسارت مراكب أمانهم في بحار الآمال ، فتلك آمال خائبة ومراكب للظنون عاطبة .. هذا وعساكر المسلمين مستوطنة

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١٤ ص ٣٩ — ٤٠

(٢) صيغه لاسم هولاكو ترد كثيرا في كتب المؤرخين المعاصرين .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٧ ص ٣٦٠ —٣٦٢ .

(٤) لعله الملك المنصور نور الدين عمر بن علي سلطان الدوله الرسوليه باليمن .

(٥) صاحب ديوان الانشاء أيام قطز وبيبرس وقلاوون والأشرف خليل وتوفي سنة ١٢٩٢ م وله كتاب تشريف الأيام والعصور في سيره المنصور تحقيق مراد كامل (القاهره ١٩٦١) .

هذا التاريخ يتعارض مع ما ورد في المراجع العربية الأخرى من أن موقعة عين جالوت حدثت يوم الجمعة ١٥ رمضان ٦٥٨ هـ — ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م .

فى مواطنها ، جاذبة عقبانها فى وكور ظباها ، رابضه أسداها فى عيل أفناها ، ما نزلزل لمؤمن قدم ــ الا وقدم ايمان راسخة ، ولا بنت لأحد حجة الا وكانت الجمعة ناسخة ، وعقدت برجمة ناقوس الا وحلها الآذان ، ولا نطق كتـــاب الا وأخرسه القرآن ٠

ولم نزل أخبار المسلمين تنتقل الى الكفار ، وأخبار الكفار تنتقل الى المسلمين الى أن حلط الصباح فضيته بذهب الأصيل ، وصار اليوم ٠ كأمس ، ونسخت آية الليل بسورة الشمس ، والنخلف الأعبن بمرور السباب ، وخاف كل من المسلمين اصدار البيات :

نيام باحدى مقلتيه وتبقى بأخرى الأعادى ، فهو يقظان نائم !

الى أن نراءت العين بالعين ، واضطرم نار الحرب بين الفريقين ، فلم نر الا ضربا يجعل البرق نضوا ، ويترك فى بطن كل من المشركين شـــلوا ، حتى صارت المفارز ولاصا ، ومراتع الظبا عراصا ، واقتنصت آساد المسلمين المشركين اقتناصا ، ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجـدوا عنها مناصا ، فلا روضة الا درع ولا جدول الاحسام ، ولا غمامة الا نقع ، ولا ويل الا سهام ، ولا مدام الا دماء ولا نغم الا صهيل ، ولا معربد الا قاتل ، ولا سكران الا قتيل ، حتى صار كافور الدين شقيقا ، وتلون الحصباء من الدماء عقيقا ، وضرب النقع فى السماء طريقا وازدحمت الخنائب فى الفضـــاء فجعلته مضـيقا ، وقتل من المشركين كل جبار عنيد ذلك بما قدمت أيديهم « وما ربك بظلام للعبيد » ٠

وقلت (١) : « وهذه النسخة تلقفتها من أفواه بعض الناس ، ذكر انه وجدها فى بعض المجاميع فحفظها منه ، وهى فى غايــة من البلاغة ، الا أنهـــا لا تخلو من تغيير وقع فى بعض أماكنها ، ولعله من الناقل لهـــا ، من حيث أنه ليس من أهل هذه الصناعة ٠ ولم يسعنى ترك ايرادها لما فيها من المحاســـن ، ولانفرادها بأسلوب من الأساليب التى كتب بها الى ملوك اليمن ، فاوردنها على ما هى عليه ، وجزى الله خيرا من ظفر لها بنسخة صحيحة فقابلها عليها وصححها وأصلح ما فيها ٠

---

(١) هذا كلام القلقشندى : معلقا على الرسالة ٠

المصادر

المراجع العربيـــة

أولا : المخطوطات

١ ـ **ابن أبى السرر** (السيد محمد · ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) :
عيون الأخبار ونزهة الابصار ·

٢ ـ **ابن اياس** (أبو البركات محمد بن أحمد ·ت· ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) :
نزهة الأمم فى العجائب والحكم ·

٣ ـ **ابن بهادر** (محمد بن محمد ·ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) :
فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر ·

٤ ـ **ابن حجر** (الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العســقلانى · ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

أبناء الغمر بأبناء العمر ·

٥ ـ **ابن حجر** الهيتمى :

تاريخ اخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفاء ·

٦ ـ **(أحد تلامذة ابن حجر)**

تاريخ الأمير يشبك الدوادار الظاهرى ورحلته فى آســيا الصغرى

٧ ـ **ابن دقماق** (غرس الدين ابراهيم بن محمد ·ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

(١) نزهة الأنام فى ناريخ الاسلام .

(٢) الجوهر النمين فى سير الملوك والسلاطين .

٨ ـ **ابن قاضى الشبهة** : عبد الوهاب بن محمد . ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) :
الاعلام بتاريخ أهل الاسلام .

٩ ـ **أبو المحاسن** (جمال الدين بوسف بن نغرى بردى . ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :

(١) حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور .

(٢) المنهل الصافى والمسوفى بعد الوافى .

١٠ـ **الأسدى** (محمد بن محمد .ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) .
كتاب التيسر والاعتبار والتحرير والاخبار .

١١ـ **السيوطى** (جلال الدين بن عبد الرحمن .ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) :
ناريخ الملك الأشرف قايتباى المحمودى الظاهرى .

١٢ـ **الصباغ** (محمد بن أحمد ، من علماء القرن الثالث عشر الهجرى) :
تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر والعظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (مخطوط بمكتبة الحرم الملكى رقم (١) .

١٣ـ **أبى حسن على بن على الهروى** : التذكرة الهروية فى الحيل الحربيه .
مكتبة عاطف أفندى باسطنبول ٢٠١٨ .

١٤ـ **العمرى** (شهاب الدبن أحمد بن يحيى بن فضل الله . ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
مسالك الابصار .

١٥ـ **القدسى** (محمد أبو اسحاق الشافعى ، من علماء القرن التاسع الهجرى) .
دول الاسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية ، فى جلب طائفة الأتراك الى الديار المصرية .

١٦ـ **المقدسى** (مجير الدين العليمى الحنبلى .ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م)
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل .

١٧ـ **المقريزى** (تقى الدين أحمد بن على .ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
(أ) السلوك لمعرفة دول الملوك (أنظر رقم ٢٦ بالمطبوعات)
(ب) الأعراب فى ذكر من بأرض مصر من الأعراب
(أنظر ٢٦ بالمطبوعات)

١٨ـ أحمد بن منكلى وله مؤلفات :

(أ) الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية (مخطوط لم يحقق)

(ب) الحيل فى الحروب وفتح المدائن والدروب (مخطوط لم يحقق)

(جـ) أنس الملا بوحش الفلا (مخطوط لم يحقق)

(د) التدابير السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية

(مخطوط لم يحقق)

(هـ) الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال البحرى .

(و) الوجوه العابسة فى نسب الجراكسة (دار الكتب)

١٩ـ **ابن بهـــادة** ١ فتوح النصر فى ملوك مصر ١ رقم ٤٩٧٧ تاريـخ دار الكتب .

٢٠ـ **الطرابلسى** (لاجين بن عبد الله الذهبى الحسامى المعروف بالطرابلسى) تحفة المجاهدين للعمل فى الميادين .

٢١ـ **ابن حبيب** : درة الأسلاك فى دولة الأتراك (مخطوط)

٢٢ـ **البلوى المغربى** (رحلته المسماه تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق) (مخطوط)

٢٣ـ **الخالدى** : المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشا (مخطوط)

٢٤ـ **الخطيب** : نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان (مخطوط)

٢٥ـ **ابن شاكر الكتبى** : عيون التواريخ (مخطوط)

٢٦ـ **العينى** : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (مخطوط)

السيف المهند فى تاريخ الملك المؤيد (مخطوط)

٢٧ـ **ابن قاضى الشبهة** : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام (مخطوط)

٢٨ـ **أبو المحاسن** : (ابن تغرى بردى) المنهل الصافى المستوفى بعد الوافى (ثلاثة أجزاء)

٢٩ـ **النويرى** : أحمد بن عبد الوهاب ، نهايـة الارب فى فنون الأدب (ثلاثة أجزاء)

٣٠ـ **النويرى السكندرى** : (محمد بن قاسم بن محمد) الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الاســـكندرية . (جزءان)

٣١ـ **الهرثمى** : مختصر سياسة الحروب مكتبة كوبريلى باسطنبول ـ ١٢٩٤ .

٣٢- **أبى العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد سبطا بن حرز الله ، هداية الرامى الى طريق المرامى ،**
دار الكتب المصرية - ٧٦ فنون حربية ٠

٣٣- **الحسن بن محمد بن عيسوى الحنفى السبغارى ، هداية الرامى الى الأغراض والمرامى أحمد الثالث باسطنبول - ٢٣٠٥ ٠**

٣٤- **ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسى :**
الغزو النافع للمجاهدين فى سبيل الله بآلات الحروب والمدافع

٣٥- **جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى :** غرس الانشاب فى الرمى بالنشاب مكتبة أحمد الثالث باسطنبول - ٢٤٢٥ ٠

٣٦- **على بن عبد القادر الحسينى الطبرنى المكى :** فوائد الليل بفضائل الخيل نور عثمان باسطنبول - ٤١٣١ ٠

٣٧- **عبد الرحمن بن أحمد الطبرى :** مجموع فى الفروسيه والخيل والرمى مكتبة دوان كشك باسطنبول - ١٩٣٣ ٠

٣٨- **عبد الله بن ميمون بن عبد الله :** الافاده والتبصير لكل رام مبتدىء أو ماهر تحرير بالسهم الطويل والقصير ٠ « كوبريلى باسطنبول ١٢١٣ » ٠

٣٩- **علاء الدين طيبغا البكلمشى الأشرفى اليونانى :** غنية الطلاب فى معرفة الرمى بالنشاب ، مكتبة أحمد الثالث باسطنبول - ٢٦٠٨ ٠

٤٠- **مرضى بن على مرضى الطرسوسى :** تبصره أرباب الألباب فى كيفية البغاه فى الحروب - أيا صوفيا باسطنبول - ٢٨٤٨ ٠

٤١- **محمد بن على الصغير :** رمى النشاب ،
مكتبة أحمد الثالث باسطنبول - ٢٦٢٠ ٠

٤٢- **محمد بن محمود بن حسين الجزائرى الحنفى الشهير بابن العنابى :**
السعى المحمود فى نظام الجنود ١٠ مكتبة سوهاج - ٦٧٨ ٠

٤٣- **محمود بن يعقوب بن أبى خزام :** كتاب الخيول والفروسية ٠
مكتبة الفاتح باسطنبول - ٣٥١٠ ٠

٤٤- **الدين عمر بن الحافظ الهاشمى المكى :** اتحاف الورى بأخبار أم القرى ٠
(مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ٢) ٠

٤٥- **مؤلف مجهول :** الفروسية والطعن والضرب والتبطبلات ٠
الفاتح باسطنبول - ٣٥٠٩

٤٦- **مؤلف مجهول :** آلات الفرسان ٠ أحمد الثالث باسطنبول - ٢٠٦٦

٤٧ـ **مؤلف مجهول :** الكمال فى الفروسية وأنواع السلاح وأداب العمل بذلك وصفات السيوف والرماح (مكتبة الفاتح باسطنبول ـ ٣٥١٣)

٤٨ـ **مؤلف مجهول :** البنود المفردة (مكتبة الفاتح باسطنبول ـ ٣٥٠٩)

٤٩ـ **مؤلف مجهول :** الفروسية برسم الجهاد ، وما أعد الله للمجاهدين من العباد
(مكتبة الأحمدين بحلب ـ ١٤٧٢) .

٥٠ـ **مؤلف مجهول :** بنود الصحابة (مكتبة الفاتح باسطنبول ـ ٣٥٠٩)

٥١ـ **مؤلف مجهول :** الافادة والتبصير لكل رام مبتدىء أو ماهر تحرير بالسهم الطويل والقصير ـ كوبريلى باسطنبول ـ ٣٣١٢ .

٥٢ـ **مؤلف مجهول :** تبصره أرباب الألباب فى كيفية النجاه فى الحروب من الاسواء ونشر أعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء العدو
(ايا صوفيا باسطنبول ـ ٢٨٤٨) .

٥٣ـ **مؤلف مجهول :** تفريج الكروب فى تدبير الحروب .
(مكتبة الفاتح باسطنبول ـ ٣٤٨٢) .

٥٤ـ **مؤلف مجهول :** خزانة السلاح .
دار الكتب المصرية ٢٧٩٦

٥٥ـ **مؤلف مجهول :** أدب الغزو النافع للمجاهدين فى سبيل الله بآلات الحروب والمدافع ، الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية ٨٦ فروسية .

٥٦ـ **مؤلف مجهول :** عون أهل الجهاد من الأمراء والأخبار .
مكتبة أحمد الثالث باسطنبول ـ ١٩٥١ .

٥٧ـ **مؤلف مجهول :** عبارات النفط المحتاج اليها فى الحروب .
مكتبة أحمد الثالث باسطنبول ٣٤٦٩ .

٥٨ـ **مؤلف مجهول :** مجموع فى الفروسية والجهاد والصيد والقنص ووصف آلات الحرب .
مكتبة بلدية الاسكندرية ١٢٠١ .

٥٩ـ **مؤلف مجهول :** أدب كتاب فى الغزو والجهاد وترتيب اللعب بالرماح وما يتعلق به .
مكتبة الفاتح باسطنبول ٣٥٠٩ .

٦٠ـ **مؤلف مجهول :** كتاب فى معرفة الخيل والجهاد وفى علم الضرب بالصوالجة وما يتعلق بذلك من آلات الفرسان .
(أحمد الثالث باسطنبول ـ ٢٠٦٦) .

٦١ـ **مؤلف مجهول :** قطع مبدعه لارهاب العدو فى الحرب .
(مكتبة الفاتح باسطنبول ٣٥٠٩) .

ثانيا : المطبوعات

١ ـ **ابراهيم علي طرخان :** مصر في عصر دول المماليك والجراكسة (القاهرة ١٩٦٠)

٢ ـ **ابن الأثير :** الكامل في التاريخ ١٢ جزءا (القاهرة ١٣٥٧هـ)

٣ ـ **أحمد عزب عبدالكريم :** التقسيم الاداري لسوريه في العصر العثماني (مقال نشر في حولية كلية الآداب)

٤ ـ **ابن الاخوة :** معالم القربة في أحكام الحسبة (كمبوردج ١٩٣٧)

٥ ـ **آدم ميتز :** الحضارة الاسلامية (القاهرة ١٩٥٧)

٦ ـ **ابن اياس :** كتاب تاريخ عصر المعروف باسم موانع الزهور (طبعة بولاق في ثلاثة أجزاء (١٣١١ ـ ١٣١٢ هـ) وكذلك الأجزاء الأخيرة من المتن الى طبعة جمعيه المستشرقين الألمانية التى قام بتحقيقها دكتور محمد مصطفى)

٧ ـ **ابن بطوطة :** رحلته المسماة تحفة النظارة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (باريس ١٨٥٠)

٨ ـ **البلاذري :** فتوح البلدان (القاهرة ١٣١٨ هـ)

٩ ـ **توفيق اسكندر :** نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٥٧)

١٠ـ **توماس ارنولد :** الدعوة الى الاسلام (ترجمة حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي) (القاهرة ١٩٥٧)

١١ـ **ابن الحاج :** المدخل ـ أربعة أجزاء (القاهرة ١٩٢٩)

١٢ـ **ابن حجر :** الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (أربعة أجزاء الهند ١٩٣٩)

١٣ـ **حسن أحمد محمود :** الاسلام والثقافة العربية في أفريقية (الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٦٣)

١٤ـ **حسن الباشا :** التصوير الاسلامي في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٥٩)

١٥ـ **حسن عبد الوهاب :** تاريخ المساجد الأثرية ـ جزءان (القاهرة ١٩٤٦)

١٦ـ **لواء جمال محفوظ :** الاستراتيجية العسكرية الاسلامية (القاهرة ١٩٧٦)

١٧ـ **ابن جوزيه :** المسالك والممالك (ليدان ١٨٨٩)

١٨ـ **ابن خلدون :** العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤ هـ)

١٩ـ **خليل بن شاهين الظاهرى :** زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (باريس ١٨٩١)

٢٠ـ **ريماند :** الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى (القاهرة ١٩٥٣)

٢١ـ **رشيد الدين الهمذانى :** جامع التواريخ ـ نقله الى العربية محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوى ـ وفؤاد عبد المعطى الصياد (القاهرة ١٩٦٠)

٢٢ـ زكى محمد حسن :

(أ) فنون الاسلام (القاهرة ١٩٤٨)

(ب) أطلس الفنون الزخرفة والتقارير الاسلامية (القاهرة ١٩٥٦)

٢٣ـ **ابن ذنبل :** اخوة المماليك ـ نشرة عبد المنعم عامر (القاهرة ١٩٦٢)

٢٤ـ **زيتر ستين :** تاريخ سلاطين المماليك (لندن ١٩١٩)

٢٥ـ **سبط بن الجوزى :** مرآه الزمان (الهند ١٣٥١هـ)

٢٦ـ **السبكى :** طبقات الشافعية الكبرى ، ٦ أجزاء (القاهرة ١٣٥٤ هـ)

٢٧ـ **السخاوى :** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة ٣٤ ـ ١٩٣٦)

٢٨ـ **سعاد ماهر :** عقود الزواج على المنسوجات الأثرية (القاهرة ١٩٦٠)

٢٩ـ **سعيد عبد الفتاح عاشور :** الحركة الصليبية ، جزءان (القاهرة ١٩٦٣)

(أ) فيروس والحروب الصليبية (القاهرة ١٩٥٧)

(ب) المجتمع المصرى فى عصر السلاطين المماليك (القاهرة ١٩٦٢)

(جـ) مصر فى عصر دولة المماليك البحرية (القاهرة ١٩٥٩)

(د) الظاهر بيبرس (القاهرة ١٩٦٣)

٣٠ـ **السيد الباز العرينى :** الاقطاع العربى بمصر زمن سلاطين المماليك (القاهرة ١٩٥٦)

٣١ـ **سيرة الظاهر بيبرس** خمسون جزءا (القاهرة ١٩٢٦)

٣١ـ **السيوطى :** تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله (القاهرة)

(أ) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٨٨١)

(ب) غزوات فرص وردس (فينا ١٨٨٤)

٣٣ـ **ابن شاكر الكتبى :** فوات الوفيات (جزءان) (بولاق ١٨٨١)

٣٤ـ **أبو شامة :** كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين (القاهرة ١٢١٧هـ)

٣٥ـ **ابن الشدياق :** أخبار الأعيان فى جبل لبنان (بيروت ١٨٥٩)

٣٦ـ **الشربينى :** (يوسف بن محمد بن عبد الجواد)
هز القحوف فى شرح قصيدة ابى شادوف (بولاق ١٨٩٠)

٣٧ـ **الشعرانى :** مواقع الأنوار فى طبقات السادة الأخيار (جزءان)
(القاهرة ١٨٨١)

٣٨ـ **صالح بن يحى :** تاريخ بيروت (القاهرة ١٩٢٧)

٣٩ـ **عبد الرحمن فهمي :** النقود العربية (ما فيها وحاضرها) (القاهرة ١٩٦٤)

٤٠ـ **عبد اللطيف ابراهيم على :**
(أ) المكتبة المملوكية (القاهرة ١٩٦٢)

(ب) دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق عصر المماليك (رسالة تحت الطبع)

٤١ـ **عبد المنعم ماجد :**
(أ) نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم
(ب) طومان باى

٤٢ـ **أضواء جديدة على عين جالوت :** مقالة القيت ـ محاضرة بالجمعية التاريخية ١٩٧٥

٤٣ـ **عبد الوهاب عزام :** مجالس السلطان الغورى (القاهرة ١٩٤١)

٤٤ـ **ابن عربشاة :** عجائب المقدور فى أخبار تيمور (القاهرة ١٢٨٥ هـ)

٤٥ـ **على ابراهيم حسن :** دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٣٢٢هـ)

٤٦ـ **عماد الدين الكاتب :** الفتح القسى فى الفتح القدسى (القاهرة ١٣٢٢)

٤٧ـ **أبو الفدا :** المختصر فى أخبار البشر (١٤ جزء) (القاهرة ١٣٢٥)

٤٨ـ **ابن الفرات :** تاريخ الدول والملوك (بيروت ٣٦ ـ ١٩٤٢)

٤٩ـ **ابن فضل الله العمرى :** التعريف بالمصطلح الشريف (القاهرة ١٣١٢ هـ)

٥٠ـ **القلقشندى :** صبح الاعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء (القاهرة ١٣ـ١٩١٧)

٥١ـ **القيروانى :** المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس (تونس ١٢٦٨ هـ)

٥٢ـ **ابن كثير :** البداية والنهاية أربعة أجزاء (القاهرة ١٣٥٨ هـ)

٥٣ـ **أبو المحاسن** : مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة (كمبردج ١٧٩٢)

٥٤ـ **محمد جمال الدين سرور** :

(أ) دولة الظاهر بيبرس « الطبعة الثانية » (القاهرة ١٩٦٠)

(ب) دولة بنى قلاون فى مصر (القاهرة ١٩٤٧)

٥٥ـ **أبو محمد عبد الله با مخرمة** : تاريخ ثغر عدن (ليدن ١٩٣٦)

٥٦ـ **محمد كعت التنبكتى** : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش واكابر (باريس ١٩١٣)

٥٧ـ **محمد مصطفى** : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور لابن اياس

٥٨ـ **محمد مصطفى زيادة** :

(أ) نهاية السلاطين المماليك فى مصر (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥١) .

(ب) المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس (مجلة الجيش ١٩٤٦)

(ج) حمله لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة (القاهرة ١٩٦١)

٥٩ـ **محى الدين بن عبد الظاهر** :

(أ) الالطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الاشرافية (القاهرة ١٩٢٠)

(ب) تشريف الأيام والدهور فى سيرة الملك المقصود نشر مراد كامل (القاهرة ١٩٦١)

٦٠ـ **المسعودى** : مروج الذهب (جزءان) (باريس ١٧٦١ ـ ١٨٧٧)

٦١ـ **مصطفى محمد مسعد** : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٠)

٦٢ـ **مفضل بن أبى الفضائل** : النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ بن العميد (باريس ١٩١١)

٦٣ـ **المقريزى** :

(أ) اغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشرة محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال (القاهرة ١٩٤٠)

(ب) البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب نشرة وستنفلر (جومتجية ١٩٤٧)

(ج) السلوك لمعرفة دول الملوك : نشر وتحقيق محمد مصطفى زيادة حتى

نهايه سنة ٧٥٥ هـ وبقية الكتاب مخطوط بدار الكتب المصريه .

(د) شذور العقود فى أخبار النقود (اسطنبول ١٢٩٨ هـ)

(هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
طبعة بولاق فى جزئين (١٢٧٠ هـ)

٦٤ـ **نظير حسان سعداوى :** نظام البريد فى الدولة الاسلامية (القاهرة ١٩٥٣)

٦٥ـ **ابن واصل :** مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب نشر وتحقيق جمال الدين الشيال حتى نهاية سنة ٦١٥ هـ وبقية الكتاب مخطوط

٦٦ـ **ابن الوردى :** تاريخ ابن الواردى (جزءان) (القاهرة ١٩٣٩)

٦٧ـ **هيئة البحوث للقوات المسلحة المصرية :**

(أ) استراتيجية الردع ١٩٦٤ م

(ب) الاستراتيجية العسكرية السوفينية ١٩٧١ م

(ج) نظرية الردع والسلاح النووى ١٩٧٦ م

٦٨ـ **ابن أبى الفضائل :** المفضل القبطى المصرى :
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (باريس ١٩١٢ م)

٦٩ـ **ابن الجيعان** (شرف الدين أبو البقابجى . ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤) :

(أ) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية . (بولاق ١٨٩٨ م)

(ب) القول المستطرف فى سفر مولانا الملك الأشرف قاينباى (تورينو ١٨٧٨)

٧٠ـ **ابن العماد** (أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (مصر ١٣٥٠ هـ)

٧١ـ **ابن اياس :** بدائع الزهور فى وقائع الدهور
(فى ثلاث مجلدات طبع بولاق ١٣١١ هـ ـ الجزء الناقص ويشمل فى سنة ٨٥٧ هـ الى ٨٧٢ هـ نشرة الدكتور محمد مصطفى ـ طبع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥١ م ـ الجزء الرابع نشرة الدكتور محمد مصطفى والمستشرق كالة ـ طبع استانبول ١٩٣١ م) .

٧٢ـ **ابن خلدون** (عبد الرحمن .ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) :

(أ) تاريخه (مصر ١٢٨٤ هـ)

(ب) رحلة (نشرها ابن تاويت الطنجى ـ مصر ١٩٥١) .

٧٣ـ **ابن دقماق :** الانتصار لواسطة عقد الامصار . (بولاق ١٣٠٩ هـ)

٧٤ـ **ابن شاهين** (غرس الدين خليل ٠ت ٨٧٢ هـ/١٤٦٧ م) :
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ٠
(نشرة بول رافيس P. Ravisse ـ باريس ١٨٩٤)

٧٥ـ **ابن عربشاه** (سهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى ٠ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) :
عجائب المقدور فى أخبار تيمور ٠ (مصر ١٢٨٥ هـ)

٧٦ـ **ابن يحيى** (الأمير صالح بن يحيى من علماء القرن التاسع الهجرى) :
تاريخ بيروت وأخبار الاكراء البحتريين ٠
(نشرة الأب لويس شيخو ـ بيروت ١٩٢٧) ٠

٧٧ـ **الأهوانى** (الدكتور عبد العزيز)
سفارة سياسية من غرناطة الى القاهرة فى القرن التاسع الهجرى ٠
(مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ـ المجلد ١٦ جـ ١ مايو ١٩٥٤ ص ٩٥ ـ ١٢١)

٧٨ـ **الرمزى** (الفقير م٠م٠) :
تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ٠ (طبع أورينرج)

٧٩ـ **عبد الوهاب** (حسن عبد الوهاب) : تاريخ المساجد الأثرية ٠ (مصر ١٩٤٦)

٨٠ـ **العرينى** (الدكتور السيد الباز) :
(أ) الاقطاع الحربى زمن سلاطين المماليك ٠ (مصر ١٩٥٦)
(ب) الاقطاع فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى
(حوليات آداب عين شمس ١٩٥٦)

٨١ـ **عزام** (الدكتور عبد الوهاب ٠ت ١٩٥٩ م) :
مجالس السلطان الغورى
(صفحات من تاريخ مصر فى القرن العاشر الهجرى) ٠ (مصر ١٣٦٠هـ/١٩٤١م) ٠

٨٢ـ **العمرى** : التعريف بالمصطلح الشريف ٠ (مصر ١٣١٢)

٨٣ـ **القرمانى** (أبو العباس أحمد جلبى الدمشقى القرمانى ٠ت ٩٤٩هـ/١٥٣٢م)
أخبار الدول وآثار الأول (بغداد ١٢٨٢ هـ)

٨٤ـ **النويرى** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣ م) :
نهاية الارب فى فنون الأدب ٠ (نشر دار الكتب المصرية)

٨٥ـ **باسـلامه** : تاريخ عمارة المسجد الحرام . (طبع مكة)

٨٦ـ **بوصيلى (الشاطر)** : معالم سودان وادى النيل . (مصر ١٩٥٥)

٨٧ـ **ديل** (شارل ديل) :
البندقية جمهورية ارسقراطية
(ترجمة الدكتور عزت عبد الكريم والأستاذ توفيق اسكندر) (مصر ١٩٤٨)

٨٨ـ **ديماند** (م. س.) ،
(الفنون الاسلامية ، ترجمة الأستاذ أحمد عيسى) (مصر ١٩٥٨)

٨٩ـ **زامباور** (المستشرق Zambaur) .
معجم الانساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى .
(ترجمة المرحوم الدكتور زكى محمد حسن وآخرين) . (مصر ١٩٥١)

٩٠ـ **زيادة** (الدكتور محمد مصطفى) :
(أ) بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ المماليك .
(مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة م٤ جـ ١ مايو ١٩٣٦) .
(ب) المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس .
(ترجمة الشبال ومنصور مجلة الجيش ١٩٤٦) .
(جـ) المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر . (مصر ١٩٤٩) .
(د) نهاية سلاطين المماليك
(مجلة الجمعية التاريخية المصرية م٤ عدد ١ ـ مايو ١٩٥١) .

٩١ـ **زين الدين** : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليس
نشرة داود لويس D. Lpeos لشبونة ١٨٩٨)

٩٢ـ **طرخان** (دكتور ابراهيم على) :
(أ) النظم الاقطاعية فى دولتى المماليك الاولى والثانية (١٢٥٠ ـ ١٥١٧) .
(رسالة دكتوراه ١٩٥٥)
(ب) الاقطاع الاسلامى : أصوله وتطوره ـ دراسة مقارنة
(مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ م ٦ ـ مصر ١٩٥٧) .
(جـ) الاسلام والممالك الاسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى .
(مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ م ٧ ـ مصر ١٩٥٩) .

٩٣ـ **عابدين** (الدكتور عبد المجيد) :
بين الحبشة والعرب . (مصر ١٩٤٨) .

٩٤ــ **عاشــور** (الدكتور سعيد) :
قبرص والحروب الصليبية ٠ (مصر ١٩٥٧) ٠

٩٥ــ **عثمان** (الدكتور حسن) :
مصر العثمانية
(تاريخ مصر العام ــ نشرة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القــاهــرة ١٩٤٢)

٩٦ــ **عبد المنعم ماجد** ، نظم دوله سلاطين المماليك ، جزئين ؛ نفسه ، طومانباى ، مطبعة الانجلو

٩٧ــ **كرد على** (محمد) :
خطط الشام (دمشق ١٣٤٣ ــ ١٣٤٦ هـ) ٠

٩٨ــ **كوبلاند وفينو جرادوف** (G. Coopland and P. Vinogradoff)
الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا ٠
(ترجمة الدكتور زيادة ــ مصر ١٩٥٨) ٠

٩٩ــ **مسعد** (الدكتور مصطفى) :
ممالك النوبة المسيحية ٠ (رسالة الدكتوراه ــ ١٩٥٨) ٠

١٠٠ ــ **مصطفى** (الدكتور محمد مصطفى) :
الرنوك عصر المماليك ٠
(بحث بمجلة الرسالة ــ العدد الممتاز رقم ٤٠٠ فى ٣ مارس ١٩٤١)

١٠١ ــ نويرسيروليام (Sir W. Muir)
تاريخ دولة المماليك فى مصر ٠
(ترجمة محمود عابدين وسلين حسن)
(مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م) ــ أنظر رقم ٢١ من المراجع الأجنبية ٠

المطبوعات غير العربية :

1. **Aylon** : Studies of structure of Mamluk army, II, B. OS. A, V15, 1959.

   Gun powder and fire arms in the Mamluk kingdom.

2. **Allouche** : Un texte relatile aux premiers canons, hesperis, 1946.

3. **Allon** : The cambridge shorter hist of Indis. (Cambridge, 1924)

4. **Alvary** : Portugheus Embassy. (Glascow, 1905)

5. **Arrold** : The Caliphate

6. **Atiya** : Egypt and Aragon (Leipzig, 1938)

7. **Alastros** : Cyprus in History (London, 1955)

8. **Artin,** Contribution à l'étude du du Blason en Orient (London, 1902)

9. **Arnold,** : The Caliphate (Oxf., 1924)

10. **Beazlay** : Note book of Med. History (Oxford, 1917)

11. **Budge** : A History of Ethiopla, Nubia and Abyssinia. (London, 1928).

12. **Coupland** : East Afriica and its Invadors (Oxf., 1956)

13. **Coulbeaux** : Hist. politique et Religieuse de l'Abysirie (Paris 1929)

14. **Dozy** : Essai l'histoire de l'Islamisme trad, Chauvin

15. **Demombynes** : La syria à l'époque des Mamelouks (2 vols)

17. **Davies** : Documents Illustrating the History of Civilization in Med. England. (London., 1936)

›. **Demembynes :** Masalik Alabsar (Paris 1927)

. **Diehe :** Venice (Paris 1916)

'. **Ganshoff :** Feudalısm (Lond., 1950)

). **D'o Hsson** : 1. Hist, des Mongols (4. vol) (Amesterdam 1852)
2. Tableau de 1 empıre Omman (Parıs 1824)

l. **Green :** Renaissance and Reformatıon (A Survey of European Hıst between 1450-1660) (Lond., 1952)

. **Fordinand : 1.** L'art militarie et les armées de Moyen Age,
2. En europe et dans le pradıe Orıend (Paris 1940)

}. **Reinaud** : Traité de commerce entre la républıque de venice et les dernıers mameıoucs d'Egypt.
(J. A. 2m serie — tom paris 1829)

4. **Reinaud et Favé :** Histoire de l'art milıtaire (Paris 1845)

:5. **Grousset :** Hist des croisades et du Royaume franc de jerusalem (3 vols) (Paris 1934)

5. **Huateccour et wiet :** les mosquées du Caire. (le Caire 1932)

.7. **Heyed** : Hist du commrece de levant au moyen age (2 vols) (Leipzig, 1885)

!8. **Hobson (B.L.)** : A guide to the Islamic pottery of the Near East (London 1944)

!9. **Howerth** : The Hist of the Mongles (4 vols) (London 1885)

(). **Ibramim Salamai :** L'ensignement Islamique en Egypte.

i1. **Joinville :** Hist de saint louis. (Paris 1874)

2. **Kammerer :** Le regime et le status des étrangers en Egypte Mêmoires de la S.R.G. d'Egypte tome 15. (Le Caire 1929)

}3. **King** · The knights hospitallers in the holy (London, 1931)

i4. **Lane-pools :** 1. A Hist of Egypt in the Middle Ages (London, 1936)
2. Med. India under Mohammeian Rule (London, 1912)

35. **Machaut** : La prise de l'alexandrie (Genève 1877)

36. **Mac. Michael** · Hist of the Arabs in the Sudan. (London 1922)

37. **Makhiaras** : Recital concerring the sweet land of cyprus (Oxford, 1932)

38. **Marce pols** · Travels (2 vols) (London 1903)

39. **Quatramere** : Mémoire sur l'égypte. Hist de Sultans mamlouks de l'egypte 2 vols. (Paris 1827-1845)

40. **Reinaud** . Traité de commerce entre la republique de venice et les derniers sultans Mameloucs d'Egypte. (J.A. 2m seris - Tome 4 - Paris 1829)

41. **Ronclore** : La Découverte de l'Afrique au Moyen Age. (S.R.G. d'Egypte, 1935)

42. **Runciman** : A Hist. of the crusades (3 vols) (Cambridge, 1957)

43. **Schefer** : Le voyage d'outremer de Jean thenaud (Paris, 1884)

44. **Schlumberger O.,** Prise de saint d'Arc En l'an 1291 par l'armée de soudan d'Egypte (Paris, 1914)

45. **Setton** : A Hist of the crussads (Pensylvania, 1958)

46. **Stevenson** : The Grussdern in the East (Cambridge 1907)

47. **Van Perchem wiet,** G., Titres caligiens (Paris 1926)

Wiet. G., 1. Lampes et Boutalles en verre émaillé catalogue Gênêral de Musée Arabe du caire (Le Caire, 1929)

2. L'Egypt Arabe (Paris, 1926)

3. Objects en cuivres . catalogue Général du Musée Arabe du Caire (le Caire 1932)

48. **Ziada** : Foreign Relations of Egypt in the 15th century (Thosis)

49. **Heyd,** : Histoire du Commerce du levant au Mogen Age (Leipzig, 1923)

50 **Hill,** : A History of Cyprus (Camb., 1948)

51. **Jones** : A History of Abyssinia (Oxf., 1935)

52. **Labouret** : Histoire du Commerce (Paris, 1953)

53. **La Monte** : Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem (Camb , Mass 1932)

54. **Macmichael** : A History of the Arabs in the Sudan Vol. 1 (Camb., 1922)

55. **Malcolm** : The History of Persia (London., 1829)

56. **Mayer** : Saracenic Heraldry (Oxf., 1933)

57. **Moreland** : The Ships of the Arabian Sea about A-D 1500 (J. R. S. January 1939)

58. **Muir** : The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (Lond., 1896)

59. **Poliak** : 1. Les Révoltes Populaires en Egypte à L'Epoque des Mamlukes et leur Causes Economiques (Extrait de la Revue des Etudes Islamiques 1934)

2. Feudalism in Egypt Syria Palestine and the Lebanon (1250-1900) (London., 1939)

60. **Stubbs** : Select chartes (Oxford., 1921)

61. **Sykes** : History of Persia (Land., 1915)

62. **Trimingham** : 1. Islam in the Suden (Oxford, 1949)

2. Islam in Ethiopia (Oxford., 1952)

3. Islam in west Africa (Oxf. 1959)

الفهـــرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٧٣٣ / ١٩٨٣

ISBN ١ ـ ١٩٣ ـ ٠١ ـ ٩٧٧ ـ

هذا الكتاب فريد من نوعه بين كتب المؤرخين لتخصصه في إظهار الاستراتيجية العسكرية الإسلامية . وأسس الفن الحربي في العصر المملوكي البحري . ويوضح بالكروكيات التركيب التنظيمي للجيش في هذا العصر.

وبجانب بيانه للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فقد تناول الجديد من بين المصادر من التجهيزات القتالية وتطبيقاتها للتشكيلات القتالية . والتكتيكات واستراتيجية المعارك مع الصليبيين والمغول.

. . . .

مطابع الهيئة المصرية العامة

٢٢٥ قرشا